عبد المحسن بن حمدان الراجحي
عفا الله عنه

هداية الواعظين وتذكرة السامعين

دار الفكر العربي

هداية الواعظين وتذكرة السامعين

تأليف
عبد المحسن بن عثمان أبابطين
عفى الله عنه

الطبعة الأولى - ١٣٩٦ هـ

دار الفكر العربي - بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف ـ نسبه

هُوَ الشَّيخ: عَبد المُحسن بنِ عُثمانَ بنِ عَبْدِ الكرِيم بنِ عثمانَ ابنِ عَبْدِ الكريم بنِ عُثمانَ بنِ عبد الكرِيم بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ العزيز ابنِ عَبْدِ الرَّحمٰنِ بنِ عبدِ اللهِ أبابَطِين بنِ سُلطانَ بنِ خميسٍ العائِذِي مِن آلِ الصَّغيرِ مِنْ عُبيدَه مِن قحطانَ .

١ ـ مَوْلِدُه :

وُلِدَ فِي قَرْيَةِ الحُصُونِ مِن بُلْدانِ سُدَير عَامَ ١٣٣٧ هـ ولمَّا بَلَغَ العَاشِرَةَ مِن عُمْرِهِ سافَرَ بَاحِثًا عَنِ العَيْشِ وَقَدْ أُقفِلَتْ فِي وَجْهِهِ جميعُ الطُّرُقِ لَولاَ لُطفُ اللهِ ، وَلَمَّا يئِس سافر مرَّةً أُخري مِن سُدَير إلى الرِّياضِ عَاصِمَةِ المملكه وَقَرأ مبادِىء القراءة والقرآن العظيم على الشيخ على شاكر والشيخ محمد بن سنان ، وقرأ الأُصُولَ الثَّلاثةَ وَكتَابَ التَّوحِيدِ وكَشْفِ الشُّبُهات وَمَبادِىء اللُّغَةِ عَلَى مُفْتِي الدِّيارِ السُّعُودِيةِ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ إبْراهِيم رَحِمَهُ اللهُ ، وَقَرأَ مَبَادِىء اللُّغَةِ والفَرائِضَ عَلَى الشَّيخِ عَبْدِ اللَّطِيفِ بنِ إبْراهِيم آلِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ ، وَقَرأَ عُمْدَةَ الفِقهِ والأربعِينَ النَّوَوِيَّةَ وأوَّل بُلوغِ المَرامِ عَلَى الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّطيفِ رحمه الله ، وَقَرأَ الأُصُولَ

الثَّلاثَة ،وكِتَابَ التَّوْحِيـدِ عَلَى الشَّيْخِ صَالِح بنِ عَبْدِ العَزِيزِ آل الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ ، كَمَا قَرَأَ عَلَى الشَّيْخ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بن عَبْدِ اللَّطِيفِ وَالشَّيْخ عُمَر بنِ عَبْدِ اللَّطِيف آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُـما اللهُ الْأُصُولَ الثَّلاثَةَ وَالْأَرْبَعِينَ النَّووِيَّة والْعَقِيدَةَ الوَاسِطِيَّةَ ، وَحَضَرَ مَجَالِسَ الشَّيْخ عَبْدِ اللهِ بنِ حُمَيْـد والشَّيْخِ عَبدِ العَزِيزِ بنِ بَازِ لَمَّا كَانَا يَدرّسَانِ طَلَبة العِلْمِ فى مسْجدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بن إبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ بإِذْنٍ مِنهُ .

٢ — وَظَائِفـهُ:

١ — فَتَحَ مَـكْتَبةَ تِجارِيَّـةَ : مِمَّاهَا : المَـكْتَبةَ الأَهْلِية عامَ ١٣٦٤هـ واسْتَمرَّتْ حَتّى عَامَ ١٣٨٣ هـ ثُمَّ قَفَلَهَا .

٢ — عُيِّنَ مُدِيراً لِدَارِ الأَيْتَامِ فِى عامِ ١٣٦٢ هـ ثُمَّ عُيِّنَ مُدَرّساً بِالْمدرسةِ الْعَزِيزِيَّةِ بِالرّياضِ ، ثُمَّ مُدِيراً لِمَدْرَسةِ رَوْضَة سُدَير فى عام ١٣٦٩ هـ ، ثُمَّ مُدِيراً لِمَدْرَسَةِ سَدُوسَ فى عام ١٣٧٤ هـ ثُمَّ مديراً لِمَدرسَةِ الحُلَلِ بِالرّيَاضِ فِي عام ١٣٧٥ هـ ثُمَّ مُفَتِّشاً بِوِزَارَةِ الْمَعَارِفِ فى عام ١٣٧٧ هـ ،ولاَ زَالَ عَلَى رأْسِ العَمَلِ .

٣ — مُؤلَّفاتُه :

التَّطفُّلاتِ الأَدَبيَّةِ قُرِّرَ كَمُطَالَعةٍ في عـام ٦٥ و ١٣٦٦ هـ في مدارس الرِّياضِ — أَخْلاَق التِّلْمِيذِ — نَظَراتٌ في الشَّرِيعَةِ الإسْلاَميَّة — ثَمَنُ الكِفَاح — في سَبِيل الكِفَاحِ — حَاشِيةٌ عَلَى مَتْنِ الأَرْبعِينَ النَّوَوِيَّة — هَدِيةُ الْواعِظِينَ وَتَذكِرَة السَّامِعينَ — وعِقْدُ الجُمَانِ في وظَائِفِ رَمَضَانَ — المجموعةُ البَهِيّةُ في الأَشْعَارِ النَّبَطِيةِ — الأَنَاشِيد المدْرَسيَّةُ — الحَدِيثُ لِلصَّفِّ السَّادِسِ والصَّفِّ الخَامِسِ — وَنَالاَ جَائِزَةَ المعَارفِ ولم يُطبعاَ بعدُ.

هَذِهِ نُبذَةٌ من تَرْجَمةِ المؤلِّفِ وباللهِ التَّوفيقُ ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ العزيزِ الغفّارِ مُقلّبِ القلوبِ والأبصارِ ومُقدّرِ الأمورِ كما يشاءُ ويختارُ، أجرى الشمسَ والقمرَ بحسبانٍ ومقدارٍ لنعلمَ بها تعاقُبَ الليلِ والنهارِ والأيامِ والشهورِ والأعوامِ في هذهِ الدارِ، أحمدُهُ حمدَ عبدٍ أخلصَ لمولاهُ في الإعلانِ والإسرارِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمّدا عبدُهُ ورسولُهُ وحبيبُه وخيرتُه منْ خلقه، بعثَهُ اللهُ لهدايةِ الناسِ أجمعينَ بعدَ أنْ أبانَ لهُ نبأَ ما قبلَهُ منَ المرسلينَ، ومهمّتُهُ أنْ يحولَ بينَ النفوسِ وشهواتِها والقلوبِ وأهوائِها فيُباعِدَ بينَها وبينَ ما ألفتْ منَ الشهواتِ ويُقارِبَ بينَها وبينَ ما تركتْ منَ الفضائلِ، فهوَ مُربٍّ سلكَ بالناسِ صراطًا سويًّا ومهذّبٍ يحاولُ أنْ يُنشئَهُمْ نشأةً صالحةً ويُؤلّفَ بينَهم، ولكنْ كثيراً ما تستحكمُ الأهواءُ والشهواتُ ويتمكّنُ الفسادُ منَ الأمّةِ إلى حدٍّ كبيرٍ فلا عجبَ أنْ تكونَ سيرةُ الرسولِ قدوةً لكلٍّ منْ سلكَ طريقَ الوعظِ والإرشادِ.

فَسُنَنُ اللهِ لاَ تَخْتَلِفُ فِى الْمُصْلِحِينَ وَالْمُفْسِدِينَ يَسُوقُهَا اللهُ عِبْرَةً لأَصْحَابِ الْعُقُولِ ، وَكَثِيراً مَا يَأْمُرُ اللهُ فِى كِتَابِهِ بِالاعْتِصَامِ بِالصَّبْرِ قَالَ تَعَالى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ) .

وَقَالَ تَعَالَى (خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عنِ الْجَاهِلِينَ) ثُمَّ يُطْلِعُنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِسِيرَةِ الرُّسُلِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ عَلَى تَارِيخِ الإِصْلاَحِ فِى الأَرْضِ وَيُرِينَا أَنَّ ذَلِكَ التَّارِيخَ حَافِلٌ بِالْعِظَاتِ وَالْعِبَرْ (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّى سَلَكْتُ فِى هَذَا الْكِتَابِ طَرِيقَةً اسْتَحْسَنْتُهَا وَرَأَيْتُ أَنَّ لَهَا فَائِدَةً لِمَنْ يَعْقِلُهَا ، وَهِيَ وَضْعُ قِصَّةٍ هَادِفَةٍ بَعْدَ مُضِيِّ فَتْرَةٍ مِنَ الْوَعْظِ لِتَكُونَ عِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرَ ، وَلَم أَتَقَيَّدْ بِنَوْعِيَّتِهَا مَعَ عَدَمِ تَكْرَارِ لَفْظِهَا ، فَقِصَصُ الْمَاضِينَ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرْ وَتَذْكِرَةٌ لِمَنِ ادَّكَرَ وَسَمَّيْتُهُ (هَدِيَّةُ الوَاعِظِينَ وَتَذْكِرَةُ السَّامِعِينَ) وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِى خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَيَنْفَعَ بِهِ قَارِئَهُ وَسَامِعَهُ وَمُؤَلِّفَهُ وَكَاتِبَهُ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ بَرٌّ رَؤُفٌ رَحِيمٌ .

﴿ إخلاص النية لله تعالى ﴾

قال اللهُ تعالى (قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ) .

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسلَّم يَقُولُ (إِنَّما الْأَعمَال بالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكل امْرِىءٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُه إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وَعَنْ جَابر بن عَبْدِ اللهِ الأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُم مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُم الْمَرَضُ) وَفِي رِوَايَةٍ إِلاَّ شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ ، رواه مُسلم ، وَعَنْ سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: جَاءَنِي رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي ، فَقُلتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي بَلَغَ بِي مِن الْوَجَعِ مَا تَرَى وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ لِي أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي ، قَالَ لاَ ، قُلْتُ فَالشَّطْرُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ لاَ ، فَقلْتُ فَالثُّلثُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَال الثُّلثُ وَالثُّلثُ

كَثِيرٌ إِنَّكَ إِن تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِن أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ آجَرَكَ اللهُ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي امْرَأَتِكَ ، قَالَ فَقُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصحَابِي ؟ قال إِنَّكَ لَن تَخْلُفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِى بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً وَلَعَلَّكَ أَنْ تَخْلُفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصحَابِى هِجْرَتَهُمْ وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ « لَكِنْ الْبَائِسُ سَعْدَ بن خَوْلَه يَرْثِى لَه رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم إِنْ مَاتَ بِمَكَّةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيه .

وَفِي الصَّحِيحين عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن اتَّبَعهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيءٌ ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعهُ مِنْ غَير أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ .

وَعَنْ عُمَر بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ يَقولُ إِنمَّا الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ فَالنِّيَّةُ هِيَ مِيزَانُ الأَعمَالِ فَحَيْثُ صَلحَتِ النِّيَّةُ صَلحَ العَملُ وَمَتَى فَسَدَتِ

النِّيةُ فَسدَ الْعَمَلُ (ومَنْ كانَتْ هِجرَتُه لِدُنياَ يُصيبُهاَ أوِ امْرأَةٍ يَنْكِحُهاَ فهِجْرَتهُ إلي ما هاجَر إليْهِ) .

وَعَنْ عَائِشة رَضِيَ اللهُ عَنْهاَ قالَتْ قاَلَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ مَنْ أحْدَثَ فِي أمْرِناَ هَـذَا ماَليْسَ مِنْهُ وَفِي رِوَايةٍ مَنْ عَمِلَ عَملًا ليْسَ عَلَيْه أَمْرُناَ فهُوَ ردٌّ مُتَّفَقٌ علَيه ، هذَانِ الْحدِيثاَنِ حَدِيثُ عُمَرَ وَحَدِيثُ عَائِشَة يَدْخُلُ فِيهمَا الدِّين كُلُّهُ أُصُولهُ وفرُوعُهُ ظاَهِرُهُ وَباَطِنُهُ فَحَدِيثُ عُمَرَ مِيزَانٌ لِلْأَعماَلِ الباَطِنَةِ وَحَدِيثُ عاَئشةَ مِيزانُ الْأَعماَلِ الظَّاهِرَةِ ، أمَّا النِّيَّةُ فهِى الْقصْدُ لِلعَملَ تقرُّباً إلَى اللهِ وَطَلباً لِمَرضاَتِهِ وَثوابهِ فَيَدْخلُ فِيهِ نِيَّةُ الْعملِ وَنِيَّةُ الْمَعْمُولِ لهُ واللهُ أعْلَمُ .

﴿ أداء الصلاة فى أوقاتها ﴾

قاَلَ اللهُ تعاَلَى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّـلاَةِ الوُسْطَى) وَسبَبُ نُزُولِ هذِهِ الْآيةِ أَنْ النَّبِي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَخَّرَ صَلاَةَ الْعَصْرِ يومَ الْخنْدَقِ لِأشْتِغاَله بِجِهَادِ الْـكُفَّارِ وَلَمْ يُصلِّهاَ إلاَّ بَعْـــدَ غُرُوبِ الشَّمْس ، وَقَدْ ثبتَ فِى الصَّحِيحَيْن عَنِ النَّبيِّ صَلَّي اللهُ عَليهِ وَسلَّمَ أنَّه قاَلَ مَنْ فاَتتْهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ فَـكأَنَّمَا وَتِرَ أهْلَهُ وَمالَهُ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أنَّ النَّبِي صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ

قَالَ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ، وَفِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ وَحَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ » فَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ صَلَاةِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا صَلَاةِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ لِشُغْلٍ ، بَلِ الْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلِّي الْفَجْرَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا يَتْرُكَ ذَلِكَ لِشُغْلٍ مِنَ الْأَشْغَالِ وَعَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَمَنْ أَخَّرَهَا حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ اسْتَحَقَّ عُقُوبَةً وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي مَيْدَانِ الْجِهَادِ قَالَ اللهُ تَعَالَى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) فَمَنْ قَالَ أُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِاللَّيْلِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ أُؤَخِّرُ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَصُومُهُ فِي شَوَّالَ ، وَإِنَّمَا يُعْذَرُ بِالتَّأْخِيرِ النَّائِمُ وَالنَّاسِي لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ وَقْتُهَا لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ) .

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا فَصَلُّوهَا لِوَقْتِهَا ثُمَّ اجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِى ذَرٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا كَانَ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا وَيَنْسَوْنَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا: قلْتُ فَمَاذَا تَأْمُرُنِى؟ قَالَ صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُم فَصَلِّ فَإِنَّهَا نَافِلَةٌ).

قَالَ اللهُ تَعَالَى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ إِضَاعَتُهَا تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبحَانَه أَنَّ الوَيْلَ لِمَنْ أَضَاعَهَا وإِنْ صَلَّاهَا، وَمَن كَانَ لَهُ الوَيْلُ لَمْ يَكُن يُقْبَلُ عَمَلُهُ وَإِن كَانَ لَهُ ذُنوبٌ أُخْرَى فَإِذا لَمْ يَكُنْ مُمْتَثِلًا لِلْأَمْرِ فِى نَفْسِ العَمَلِ لَمْ يَتَقَبَّلْ ذَالِكَ الْعَمَلُ.

﴿ أدب المشى إلى الصلاة وصفتها ﴾

ثَبَتَ فِى الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِى صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسلَّمَ أَنهُ قَالَ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتمْ تَسْعَوْنَ وأْتُوهَا وأَنْتمُ تَمْشُونَ وعَلَيكم السَّكِينَةُ فمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا ومَا فَاتَكمْ فَأَتِمُّوا وفِى رِوايَةٍ فَاقْضُوا.

وفِي الصَّحِيح عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلمَ أَنَّهُ قَالَ فِى صِفَةِ

الصَّلاةِ أَلاَ تُصَفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الملائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، قالُوا يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَصَفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّها، قالَ: يسُدُّونَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ فَالأَوَّلَ وَيتَراصُّونَ في الصَّفِّ.

وَعَنْهُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّداءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ. وَفِي الصَّحِيحِ قال صلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: خَيرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وشرُّهَا آخِرُها وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّساءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُها أَوْ كَمَا قَالَ وَأَمْثالُ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ الَّتِى يَنبَغى فِيهاَ لِلْمُصَلِّينَ أَنْ يتِمُّوا الصفَّ الأَوَّلَ ثمَّ الثَّانى وَهَكَذا فَمَنْ جَاءَ أَوَّلَ النَّاسِ وَصَفَّ فى غَيرِ الصفِ الأَوَّل فَقَدْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ.

وَإِذَا ضُمَّ إِلَى ذَلِكَ إِسَاءَةُ الصَّلاَةِ أَوْ فُضُولُ الكَلاَمِ أَوْ مَكْرُوهُهُ أَوْ مُحَرَّمُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يُصَانُ المَسْجِدُ عَنْهُ فَقَدْ تَرَكَ تَعْظِيمَ الشَّرائِعِ وَخَرَجَ عَنِ الحُدُودِ المَشْرُوعَةِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ نَقْصَ مَا فعَلَه وَلَمْ يلْتَزِمْ اتباع أَمْرِ اللهِ اسْتَحقَّ العُقُوبَةَ البَلِيغَةَ الَّتِى تحمِلُهُ وأَمْثالَهُ عَلَى أَداءِ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ وتَرْكِ ما نَهَى اللهُ عَنْهُ. وليس لأَحَدٍ أَنْ يُصلِّىَ مُنْفَرِداً خَلْفَ الصَّفِّ بلْ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُصلُّوا مُصْطَفِّينَ.

وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا صلاة لفذ خلف الصف.

وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم عن سهل بن سعد أنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر وكبر وكبر الناس معه وراءه وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى حتى سجد فى أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى.

وفى سنن أبى داود والنسائى عن سالم البراد قال: أتينا عقبة ابن عامر الأنصارى أبا مسعود فقلنا له حدثنا عن صلاة رسول الله فقام بين أيدينا فى المسجد فكبر فلما ركع وضع يديه على ركبتيه وجعل أصابعه أسفل من ذلك وجافى بين مرفقيه حتى استقر كل شىء منه ثم قال سمع الله لمن حمده فقام حتى استقر كل شىء منه ثم كبر وسجد ووضع كفيه على الأرض ثم جافى بين مرفقيه حتى استقر كل شىء منه ثم رفع رأسه فجلس حتى استقر كل شىء منه ففعل ذلك أيضا ثم صلى أربع ركعات مثل هذه الركعة فصلى صلاته ثم قال هكذا رأينا رسول الله يصلى صلى الله عليه وسلم وهذا إجماع الصحابة رضى الله عنهم فإنهم كانوا

لا يصلون إلا مطمئنين وإذا رأى بعضهم من يصلى بدون اطمئنان أنكر عليه ونهاه ولا ينكر واحد منهم المنكر ذلك، وهذا إجماع منهم على وجوب الطمأنينة والسكون فى الصلاة قولا وفعلا ولو كان ذلك غير واجب لكانوا يتركونه أحيانا كما كانوا يتركون ماليس بواجب.

﴿وجوب الصلاة جماعة خلف الإمام﴾

قال الله تعالى (واركعوا مع الراكعين) وثبت فى الصحيح أن ابن أم مكتوم سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يرخص له أن يصلى فى بيته ،فقال هل تسمع النداء قال نعم قال فأجب، وفى رواية ما أجد لك رخصة . وابن أم مكتوم رجل صالح من المهاجرين أعمى وفيه نزل قول الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) فعلم أنه لا رخصة لمؤمن فى ترك الصلاة مع الجماعة وكان الصحابة يرون أنه لا يتخلف عنها مع الجماعة إلا منافق.

وتقديم الأئمة حسب درجاتهم فى القراءة أو الهجرة أو العلم فإذا استووا فى كمال الصلاة قدم الأفضل وعلى الإمام الأمر بإقامة الصلاة واعتدال الصفوف كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم من سننها الخمس وهى تقويم الصفوف ورصها وتقاربها وسد الأول

فالأول وتوسيط الإمام حتى ينهى عما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة المنفرد خلف الصف ويأمره بالإعادة كما أمره بذلك النبي في حديثين ثابتين عنه فإنه أمر المنفرد خلف الصف بالإعادة كما أمر المسيء في صلاته بالإعادة وكما أمر المسيء في وضوئه الذي ترك لمعة في قدمه لم يصبها الماء بالإعادة .

وتقديم الإمام بما قدم به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال (أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد) وكان إماما .

قال الله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) فإن الأمر بالإنصات داخل في معنى اتباع المأموم

لإمامه فى الصلاةِ الجهريةِ وهو دليلٌ على أنّ المنصتَ يحصُلُ له بإنصاتهِ واستماعهِ ماهُو أولى بهِ من قراءتهِ .

ثم إنَّ المأمومَ إذا سها يتحمَّلُ إمامُهُ عنهُ سهوهُ لأجلِ متابعتهِ لهُ مع إمكانه أنْ يسجدَ بعدَ سلامهِ وإنصاتهِ لقراءتهِ ، لذا أُدخِل فِي المتابعةِ فإنَّ الإمامَ إنما يجهرُ لمن يستمعُ قراءتهُ فإذا اشتغل أحدٌ مِنَ المصلِّينَ بالقراءةِ لنفسهِ كانَ كالمخاطِبِ لمنْ لا يستمعُ إليهِ وَكالخطيبِ الذِى يخطبُ الناسَ وَكلهم يتحدثُونَ وَمَنْ فعلَ هذا فهوَ كمَا جاءَ فى الحديثِ الصحيحِ الذِى قالَ فيهِ من تكلّمَ أوْ مسَّ الحصَي فقدْ لغى وَمنْ لغى فلا جمعةَ لهُ أوْ فلا جُمعَةَ له .

فالإمامُ قدوةٌ للمصلّينَ خلفهُ والنبىُّ صلّي الله عليهِ وسلّمَ قالَ ﴿ إذَا صلَّى الإمامُ جالساً فصلُّوا جلوساً أجمعُونَ ﴾ وَعللَ ذلكَ بأنّهُ يُشبهُ قيامَ الأعاجم بعضِهم لبعضٍ فسقطَ عن المأمومينَ القيامُ لمَا فى ذلكَ مِنَ المفسدَةِ التى أشارَ إليهاَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ منْ مخالفةِ الإمامِ والتّشبُّهِ بالأعاجمِ فى القيامِ لهُ ففي صحيحِ مُسلِمٍ عن أبِي مُوسَي الأشعرىّ قالَ إنّ رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلّم خطبناَ فبيّنَ سُنتَناَ وَعلّمناَ صلاتناَ فقالَ ﴿ أقيمُوا صفوفكمْ ثمّ ليؤُمّكم أحدُكم فإذَا كبرَ فكبّرُوا وإذا قرأَ فأنصتُوا ﴾ فإنْ

الإنصاتَ إلى قراءةِ الإمامِ مِنْ تمامِ الائتمامِ بهِ فإنَّ من قرأَ على قومٍ لاَ يستمعونَ لقراءتهِ لمْ يكونوا مؤتمينَ بهِ وهذا ما بيَّنَ حكمةَ سقوطِ القراءةِ عَلَى المأمومِ فإنَّ متابعةَ الإمامِ مقدَّمةٌ على غيرِهاَ .

وعنَ أبى هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (إنمَا جُعِلَ الإمامُ ليؤتمَّ بهِ فإذَا كبَّرَ فكبروُا وَإذا قرأَ فأنصِتوا) روَاهُ الإمامُ احمدُ وأبُو داوُدَ والنسَائى وابنُ ماَجَه .

ومُسابقةُ الإمامِ حرامٌ لاَ يجُوزُ لأحدٍ أن يرْكعَ قبلَ إمامهِ ولا يرْفعَ قبلهُ ولا يسجدَ قبلَهُ ، وقدْ استفاضتِ الأحاديثُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالنهى عَن ذلك كقوله فى الحديثِ الصَّحيح (لاَ تسبِقونِى بالرُّكوعِ ولا بالسُّجُودِ فإنِّى مهما أسبقكمْ به إذَا ركعتُ تُدركُونِى بهِ إذَا رفعتُ إنِّى قد بدنتُ) إنما جُعلَ الإمامُ ليؤتمَّ بهِ فإذَا كبَّر فكبرُوا وإذا ركعَ فاركعوا فانَّ الإمَام يركعُ قبلكمْ ويرفعُ قبلكمْ ، قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فتلك بتِلْكَ ، وَإذا قالَ سمعَ اللهُ لمنْ حمدهُ فقولُوا ربَّنا ولكَ الحمدُ يسْمع اللهُ لكمْ ، وَإذَا كبَّر وَسجدَ فكبِّروا

وَاسجُدوا فإنَّ الامَامَ يَسجُدُ قبلكُمْ وَيرفَعُ قبلكُمْ فتلكَ بتلكَ ﴾ .

﴿ فصل فى أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات ﴾

اتفقَ العلماء عَلى أَن صلاةَ الجَماعة مِنْ أوكدِ العبادات وَأجلّ الطَّاعاتِ وَأَعظم شعائرِ الإسلامِ فقدْ ثبتَ عن النبي صَلَّى الله عليهِ وَسلّم أنهُ قَال تفضُلُ صَلاةُ الرَّجلِ فِي الجَماعَةِ عَلَى صلاتهِ وَحْده بخمسٍ وَعشرينَ دَرَجةً .

فإنَّ اللهَ سبحانهُ وَتعالى شَرعَ الصلاةَ فى المساجدِ لقولهِ تعالَى ﴿ وَمنْ أَظلَمُ مِمنْ مَنعَ مَساجدَ اللهِ أَن يُذكَرَ فيهَا اسْمهُ وسَعى فى خَرابهَا ﴾ وقالَ تعالى ﴿ قُل أَمرَ ربِّى بالقِسطِ وأقيمُوا وُجوهكمْ عِندَ كلِّ مَسْجدٍ ﴾ وقالَ تعالَى ﴿ مَا كانَ لِلمشركينَ أَنْ يعمرُوا مَساجدَ اللهِ شَاهِدينَ عَلَى أَنفسِهمْ بالكُفرِ ﴾ إلى قولِه ﴿ إنما يَعمُرُ مَساجدَ اللهِ منْ آمن باللهِ واليوم الآخِر وأقامَ الصلَاةَ وآتى الزكَاة ولمْ يخشَ إلا اللهَ فَعسىَ أُولئكَ أَنْ يكونُوا مِن المُهتَدِينَ ﴾ وقالَ تعالى ﴿ فى بُيوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفعَ وَيذكَرَ فيها اسْمهُ يُسبّحُ لهُ فيها بالغُدوِ والآصَالِ رِجالٌ

لاَ تُلْهِيهِمْ تِجارةٌ ولاَ بيعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ وقَالَ تعالي ﴿ وأَنَّ المساجدَ للهِ فلا تدعُوا مع اللهِ أحدا ﴾ .

والمقْصُودُ أنَّ أئمةَ المسْلِمين متَّفقون عَلَى أنَّ إقامةَ الصَّلوات الخمسِ فِي المساجِدِ منْ أعْظم العِبادات وأجلِّ الطَّاعات وأفضَلِ القُرُبات والواجِبات، فمنْ فضَّل تركَها عليهـا إيثاراً للخَلْوة والانْفراد علَى الصَّلوات الخمْسِ في جماعةٍ أوْ جعل الدُّعاء والصَّلاة في المشاهد أفضَلُ من ذَلك فقدْ انخلَع من رِبْقة الدِّين واتَّبع غَير سبيلِ المؤْمنين .

قَال تعالَى ﴿ وَمن يُشاقق الرَّسُولَ منْ بعْدِ ماَ تبيّنَ لهُ الْهدى وَيتّبعْ غيرسبيلِ المؤْمنين نُولِّه مَاتولَّىوَنُصْلِه جَهنم وساءت مَصيراً ﴾ وَعن أبِي هُريرةَ رَضِي اللهُ عَنهُ عنِ النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قَالَ : ولقدْ همَمْتُ أنْ آمُر بالصَّلاة فتُقامُ ثمَّ آمُرُ رجلا فيصلِّي بالنَّاس ، ثمَّ أَنطلِقُ إلى قومٍ لايَشْهدونَ الصلاَة فأُحرِّقَ عَليهمْ بيُوتهُمْ بالنارِ» مُتفقٌ عَليهِ ،لقدْ همَّ صَلى اللهُ عليهِ وَسـلَّم بتحريقِ بيُوتِهم بالنَّارِ لعَدم شُهودِهِم الصَّلاةَ وَبيَّنَ أنَّما منَعهُ مِن ذلِكَ منْ فيهاَ منَ النِّساء والذُّرِّيةِ فإنهم لا يجِبُ عليهم شُهودَ الصَّلاة جماعـةً وفي تحْرِيق البيوتِ قتلُ منْ لا يجُوز قتْلهُ وكَان ذَلك بمنزِلةِ إقامةِ الحدِّ علَى

الجبل ، قال تعالى :

﴿ ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرّةٌ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ فإنّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم ما كانَ يؤاخذُ المنافقينَ عَلَى الأمورِ الباطنةِ وإنما يعاقبهم عَلَى مايظهرُ منهم من تركِ واجبٍ أو فعل محرّمٍ ، فلولا أنَّ في ذلك تركَ واجبٍ لمَا همَّ بتحريق بيوتهم بالنَّارِ .

وعَنْ عبدِ الله بن مسعودٍ رضى اللهُ عنهُ أنَّه قالَ منْ سرَّهُ أنْ يلقى اللهَ غداً مسلماً فليصلِّ الصَّلواتِ الخمسِ حيثُ ينادى بهنَّ ، فإنَّ اللهَ شرع لنبيِّهِ سُنَنَ الهدى وإنَّكمْ لوْ صلَّيتمْ في بيوتكم كما يُصلِّي هذا المنافقُ المتخلِّفُ في بيتهِ لتركْتم سُنَّةَ نبيِّكمْ ولوْ تركْتمْ سُنَّةَ نبيِّكُمْ لضللْتم ، لقدْ رأيتُنا ومَا يتخلَّف عنها إلاَّ منافقٌ معلومُ النِّفاقِ ، ولقدْ كانَ الرَّجلُ يؤْتَى بهِ يُهادَى بينَ الرَّجلين حتَّى يقامَ في الصَّفِّ ، ذكرَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّه لمْ يكنْ يتخلَّف عَن الصلاةِ إلاَّ منافقٌ معلومُ النِّفاقِ ، وفي هذا دليلٌ على استقرارِ وجوبِها عندَ المؤمنينَ ولمْ يعلمُوا ذلكَ إلاَّ منَ النَّبيِّ صلَّى الله عَليه وسلَّم إذْ لوْ كانتْ عِندهمْ مُستحبةً كقيامِ الليلِ

والتَّطوُّعات التي مع الفرائض وصلاة الضُّحى ونحو ذلك كان منهم من لا يفعلها مع إيمانه، كما قال له الأعرابيُّ والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص منه فقال أفلح إن صدق، ومعلوم أنَّ كلَّ أمرٍ أمر به النبيُّ لا يتخلَّف عنه إلاَّ منافق، كان واجباً على الأعيان كخروجهم إلى غزوة تبوك فإن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمر به المسلمين جميعاً، لم يأذن لأحدٍ في التَّخلُّف إلاَّ من ذكر أنَّ له عذراً فأذن له لأجل عذره، ثمَّ لما رجع كشف الله أسرار المنافقين وهتك أستارهم وبيَّن أنَّهم تخلَّفوا لغير عذرٍ، والَّذين تخلَّفوا لغير عذرٍ مع الإيمان عوقبوا بالهجر حتَّى هجران نسائهم إلى أن تاب الله عليهم، وفي السُّنن أنَّ أعمى استأذن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يصلِّي في بيته فأذن له، فلمَّا ولَّى دعاه فقال هل تسمع النِّداء قال نعم قال فأجب فأمره بالإجابة إذا سمع النِّداء، ولهذا أوجب الإمام أحمد الجماعة على من سمع النِّداء، وفي لفظٍ في السُّنن أنَّ ابن أمِّ مكتومٍ قال يا رسول الله إنِّي رجلٌ شاسع الدَّار، وإنَّ المدينة كثيرة الهوامِّ ولي قائدٌ لا يلائمني فهل تجد لي رخصةً أن أصلِّي في بيتي؟ فقال: هل تسمع النِّداء قال نعم قال لا أجد لك رخصةً وهذا نصٌّ في الإيجاب للجماعة مع كون الرَّجل مؤمناً.

وَقدْ ثبتَ فى الصَّحيح منْ أدركَ ركعةً مِن العَصرِ فقدْ أدركَ العصرَ والقاعدةُ الشرعيَّةُ أنَّ من كانَ عازماً عَلَى الفِعلِ عزماً جازماً وَفعلَ ما يقدرُ عليهِ منهُ كان بمنزلةِ الفَاعل ، فهذَا الَّذى كان لهُ عملٌ فى صحتهِ وإقامتهِ وَنيَّته أنْ يفعَلهُ وَقدْ فعل فى المرضِ والسَّفرِ ما أمكنهفكانَ بمنزلةِ الفاعلِ ، كما جاءَ في السُّننِ فيمنْ تطهَّر فى بيتهِ ثمَّ ذهَب إلىَ المسْجدِ ليُدْركَ الجمَاعَة فوجدَهاَ قدْ فَاتتهُ أنهُ يكتَبُ لهُ أجرُ صلاةِ الجمَاعَةِ .

وَفى الصَّحيح منْ قولهِ صلّى اللهُ عَليهِ وسلَّم إنَّ بالمدينةِ لرجالاً ما سِرتمْ مَسيرا ولا قطعتمْ وَادياً إلاَّ كَانوا مَعكُمْ قالُوا وهم بالمدينةِ قالَ وهُمْ بالمدينةِ حبسَهمُ العُذرُ ، فالمعْذُورُ يكتبُ لهُ مثلُ ثوابِ الصَّحيح إذَا كانت نيَّتهُ أنْ يفعلَ وَقدْ عمِل ما يقدرُ عليهِ وذلِكَ لا يقتضِىَ أنْ يكُونَ نفسُ عملِه مِثلُ عَملِ الصَّحيح وَإنمَا فيهِ يُكتبُ لهُ منَ العَملِ مَا كانَ يعملُ وهو صَحيحٌ مقيمٌ كمَا يكتبُ لهُ أجرُ صلاةِ الجماعةِ إذَا فَاتتهُ معَ قصْدهِ لهاَ .

﴿ ما يكره فى الصـلاة ﴾

قالَ اللهُ تعـالىَ ﴿ إنَّ الانسانَ خُلقَ هلوعاً إذَا مسَّهُ الشرُّ

جزُوعاً وإذَا مَسَّه الخيرُ منوعاً إلاَّ المصلين الَّذين هُم عَلَى صلاتِهم دَائِمونَ ﴾ .

وقالَ تعالَى ﴿ قدْ أفلَحَ الْمُؤْمنونَ الَّذين هُمْ فى صَلاتهمْ خَاشِعُون والَّذينَ هُمْ عنِ اللّغوِ مُعْرضون والَّذينَ هُمْ للزَّكاةِ فاعلُونَ والَّذين هُمْ لفرُوجِهمْ حافظُون إلاَّ عَلَى أزواجِهمْ أو ما مَلكتْ أيمانهمْ فإنَّهمْ غَيرُ ملومِينَ فَمنْ ابْتغَى وَراءَ ذلكَ فأُولَئكَ هُم الْعادونَ والَّذِين هُم لأَماناتِهمْ وَعَهدهمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هم عَلَى صلَوَاتِهمْ يُحَافظُون ﴾ .

وَقال تعالَى ﴿ واسْتَعِينوا بالصَّبْر وَالصلاَةِ وَإنَّها لـكبيرةٌ إلاَّ عَلَى الْخاشِعِين ﴾ وَقدْ أَخْرجَ الْبُخارىُّ وَمسلِمٌ فى الصَّحِيحين وأَصْحاب السُّنَنِ ، النّسائى وابنُ ماجَه وأبو دَاود وأحْمد فى مُسندِهِ عَنْ أبى هُرَيرة رَضِى الله عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلمَ دَخَل الْمسْجِدَ فدخَل رجلٌ ثمَّ جاَء فصَلّ ثمَّ جَاء فسلَّم عَلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ فَردَّ عليهِ وقَال ارْجعْ فَصلّ فإنكَ لم تُصلِّ ، فعلَ ذلكَ ثلاثَ مراتٍ والرسُولُ فى كلِّ مرَّةٍ يقولُ له ارْجعْ فصَلِّ فإنَّكَ لم تُصَلِّ ، ثم قالَ والَّذى بعَثكَ بالْحقِّ ما أُحْسِنُ غَيرَ هَذا فعلِّمْنى ، فقالَ صَلَّى الله عليهِ وسلَّمَ إذَا قمْتَ إلى الصَّلاةِ فكبِّرْ ثمَّ اقرأْ ماتيسَّرَ

مَعَكَ مِنَ الْقُرآنِ ثمَّ ارْكعْ حَتى تطمئن رَاكِعاً ثمّ ارفع حَتى تعتدلَ قائماً ثمّ أسجدُ حَتى تطمئنّ ساجداً ثم أجلِسْ حَتى تطمئنّ جَالِساً ثمّ أفعلْ ذلِك فى صلاتك كُلِّها ، وفى روايةٍ لِلبخارى إذا قُمتَ إلى الصَّلاَةِ فأسْبغ الوُضوء ثمّ استَقبل القِبلة فكَبّر إلى آخِر الحديث . فَالنّبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلّم أمرَ ذلكَ المسىء فى صلاتهِ بأنْ يُعِيد الصَّلاة وأمْرُ اللهِ وَرسولهُ إذا أُطْلِق كانَ مُقتضاهُ الوُجوب ، وأمرَ المسىَ فى الصّلاةِ بالطُّمأنينَةِ كما أمرهُ بالرُّكوع والسُّجودِ وأمْرهُ المُطْلق عَلَى الإيجاب وقدْ بيّنَ له أنه لم يُصلِّ بقولهِ فإنّكَ لم تصلِّ نفى أنْ يكُونَ عملُه الأوّل صلاةً بيّن أنّ الكمالَ الّذى نفى هُو هَذا التمامُ الّذى ذكرهُ النّبىُّ صلَّى الله علَيْه وسلّم ، فإنّ التاركَ لبعْضِ ذلكَ قد انتقصَ مِنْ صلاته بعض ما أوْجبهُ اللهُ فيها ، وَكَذلِكَ قوله فى الحديثِ الآخرِ فإذا فعلَ هـذا فقدْ تمّتْ صَـــلاتُه .

وعَنْ عَلىٍّ بن شيبانَ الحنفىّ قَال خرجنا حتّى قدِمْنا عَلى رسُول اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم فبايعْناه وصلّينا خلْفَهُ فلمح بمؤخّرِ عينهِ رجلاً لا يقيم صَلاتَه — يعنى صُلبهُ — فى الرُّكوعِ والسُّجودِ فلمّا قضى النبىُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم الصّلاة قال يا معشر المسْلِمين

لاصَلاةَ لمنْ لايقيمُ صُلْبهُ فى الرُّكُوعِ والسُّجودِ ،رواهُ الإمَامُ أحمَدُ وابنُ ماجةَ ، وَفى رِوايةٍ للإمامِ أحمـد أنَّ رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وَسلَّم قالَ : لاينظُرُ اللهُ إلى رجلٍ لايقيمُ صلبه بيْنَ ركوعهِ وسجُودِه، وَروى الإمَامُ أحمدُ فى السَّند عن أبى قتَادَةَ رَضى اللهُ عنهُ قَالَ : قالَ رسُول اللهُ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم أسْوأُ النَّاسِ سَرقةً الّذى يسْرِقُ مِن صَلاتهِ ؟ قَالَ لا يُتِمُّ رُكوعِهاَ وَلا سُجودِها أوْ قالَ لا يقيمُ صُلْبه في الرُّكوعِ وَالسُّجودِ » وهَذَا التّردُّد فى اللَّفْظِ ظاهرهُ أن المعنىَ المقصودُ مِن اللَّفظين وَاحِدٌ وإنمَا الشكُّ فى اللفظِ .

وَعَن أبى وَائلٍ عنْ ابن وهْبٍ أَنَّ حذَيفة بن اليمانى رَضى اللهُ عَنهُ رأى رَجلاً لا يُتِمُّ رُكوعه وَلا سجودهُ فلمَّـا قضي صَلاتهُ دعَاهُ وَقَالَ له حُذَيفة ما صليتَ وَلوْ متَّ مِتَّ عَلَى غيرِ الْفِطرةِ الَّتِي فَطَر الله عَليهاَ مُحمَّداً صلى الله عليه وَسلَّم،وهَذا الَّذى لم يُتمَّ صلاتهُ إنما تركَ الطُّمأْنينةَ أوْ تركَ الاعْتدالَ أَو تركَ كِلاَهُما فإنَّهُ لا بدَّ أَن يكونَ قدْ تركَ بعْض ذَلك ، إذْ نَقْرُ الغُراب وَالْفصلُ بينَ السَّجدتين بحدالسَّيفِ والْهبوطُ منَ الرُّكوعِ إلَى السُّجودلايمكن أنْ ينقصَ مِنه مَع الإتيانِ بمَا قد يقَالُ إنه ركوعٌ وسجودٌ لـكنهُ لم يُتمّه وَمع هذا قالَ له حُذيفة (مَا صَلَّيت) فنفى عَنهُ الصَّلاَةَ ثمَّ قالَ

﴿ لو مِتَّ مِتَّ عَلَى غير الفطرةِ الّتى فَطر اللهُ عليها مُحمّداً ﴾ فهى تتناولُ ما سنهُ مِنَ الواجبات أعظمُ مما سنهُ من التطوعات كما فى الصحيح عَن ابن مَسعُودٍ رَضىَ اللهُ عنهُ قال: إنَّ الله شرعَ لنبيكمْ صلى الله عليه وسلم سُنَنَ الْهدى وَإن هذه الصَّلوات فى جماعةٍ من سنن الْهدى وإنكم لَوْ صليتم فى بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلفُ فى بيتهِ لتركْتم سنةَ نبيكم وَلوْ تركْتم سُنةَ نبيكم لضَللْتمْ ، وَلقدْ رأَيْتنَا وما يتخلفُ عنها إلاَّ منافقٌ مَعلومُ النفاقِ ، ومنه قولهُ صلى الله عليه وسلم عَليكم بسُنتِى وَسُنّةِ الْخلفاء الْمهديِّين منْ بعْدى تمسكُوا بهـا وَعضُّوا عَليها بالنواجذِ .

﴿ أشياء ينهى عن الصلاة فيها ﴾

نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الصـلاةِ فى مواطنَ كما ثبت ذلكَ فىِ الصحيح عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنهُ سُئلَ عنِ الصلاةِ فى أعطانِ الإبلِ ، فقال : لا تصلوا فيها ، وسُئلَ عنِ الصَّلاةِ فى مَبارِكِ الْغنم فقَالَ : صَلُّوا بها ، وَفى السننِ أنهُ قَالَ الْأرْضُ كلها مَسجدٌ إلا المقبرة والحمَّامُ ، وفى الصحيح عنهُ صلى الله عليه وسلم أنَّه قالَ لعن اللهُ اليهودَ والنصارىَ اتَّخذُوا قبورَ أنبيائهمْ مَساجدِ يُحذِرُ ما صنعُوا .

وَفى الصحيح عنهُ صلى الله عليه وسلم أنهُ قال : إنَّ منْ كانَ قبلكم كانُوا يتَّخذُونَ القبورَ مساجدَ ألاَ فلاَ تتخذُوا القبورَ مساجِدَ فإِنِّى أنهاكم عنْ ذلِك .

وفى السنن أنه نهى عن الصلاة بأرض الخسْفِ ، وفى سُنن ابن ماجه وغيره إنه نهى عن الصلاة فى سبع مواطِنَ ، المقبرةُ والمجْزرةُ والمزبلةُ وقارعةُ الطَّريق ، والحمَّامُ . وظهر بيتَ اللهِ الحرَامِ وهذهِ المواضعُ غيرُ بيتِ اللهِ الحرام قدْ يُعلِّلُها بعض الفقهاء بأنهاَ مَظنةُ النجاسة وبعضهمْ يجعل النَّهى تعبُّدًا ولهاَ عللٌ مختلفةٌ تارةً تكونُ العلةُ مشابهَةُ أهلِ الشرك كالصلاةِ عندَ القبورِ وتارةً لِكونها مأوى للشياطينِ كَأعطانِ الإبل وتارةً لغيرِ ذلك والله أعلم ، أمَّا إذا كانَ عَلَى المرءِ ثوبٌ بهِ نجاسةٌ وليسَ عِندهُ غيرهُ ولاَ ما يزيل النَّجاسةَ فله أن يصلِّى فيه فى الوَقتِ ولا يفوت الوقتِ كما صلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجرحه يثعَبُ دماً ولم يؤَخِّر الصلاةَ عن وقتها . ومنْ صلى بغيرِ وضوء ناسياً فعليهِ أنْ يعيدَ الصلاةَ كما أمرَ النبى صلى الله عليه وسلم من توضأَ وتركَ لمعةً فى قدمهِ لم يمسها الماء أنْ يعيد الوضوء والصَّلاةَ .

وَمنْ صلى خلفَ الصفِّ مُنفرداً فعليهِ الإعادَةُ لأنَّه لم يأتِ

بالواجبِ مع بقاء الوقتِ، فثبتَ الوجوب في حقهِ حيث أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم منْ يعيد لِبقاء وقتِ الوجوبِ .

﴿ مما جاء في تارك الصلاة ﴾

ارتدَّ في حياةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم خلقٌ كثيرٌ اتبعوا الأسود العنسي الذي تنبأ بصنعاء اليمن ثم قتلهَ الله وعادَ أولئكَ إلى الإسلام ولم يؤمروا بإعادةِ الصلاةِ .

وتنبأ مُسَيلمةُ الكذاب واتبعهُ خلقٌ كثيرٌ قاتلهم الصديق رَضيَ الله عنه والصحابة بعدَ موتهِ حتىَّ أعادوا منْ بقيَ منهم إلىَ الإسلام، ولم يُؤمرَ أحدٌ منهم بالقضاء لما تركَ من صلاتهِ وكذلكَ سائر المرتدّين بعدَ موتِ الصديق وكانَ كثير البوادي قد ارتدُّوا ثم عادوا إلى الإسلامِ ولم يقضِ أحدٌ منهم ما تركَ منْ صلاتهِ، أيام ردّتهِ وقولِ الله تعالىَ (قلْ لِلَّذين كفروا إنْ ينتهوا يُغفرَ لهم ما قد سلفَ) يتناول كلّ كافرٍ ، قالَ الله تعالى (إنّ ربكَ للذينَ هاجروا منْ بعدِ ما فُتِنُوا ثم جاهدوا وصبروا إنّ ربكَ منْ بعدها لغفورٌ رَحيمٌ) .

عبيدُ الله بن سَريح عاد عامَ الفتح وبايعهُ النّبي صلى الله عليه وسلم

ولمْ يأمر أحداً منهم بإعادة ما تركَ من صلاةٍ حالَ الكفرِ في الرِّدة كما لمْ يأمر سائرَ الكفار إذا أسلمُوا .

ومتى امتنع الرجل عن الصلاةِ ولم يقرّ بوجوبِها ولم يلتزِم بفعْلها فهو كافرٌ باتفاق المسلمين كما استفاضت بذلك السنةُ والآثارُ عن الصّحابة. قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بينَ العبدِ وبينَ الكُفر إلا تركُ الصلاةَ ،رواه مسلمٌ ، وقولُه العَهد الذى بيننا وبينهُم الصلاة فمن تَركها فقدْ كفر ، وقولُ عبد الله بن شقيق كان أصحابُ محمد لا يرونْ شيئاً من الأعمال ترْكهُ كفر إلا الصلاةُ فمن كان مُصِرًّا على تركها حتى يموتَ لا يَسجد لله سجدةً قطُّ فهذا لا يكون مسلماً مقَرا بوجوبِها فإن اعتقادَ الوُجوب واعتقادَ أن تارِكها يستحقُّ القتْل هذا دَاع تام إلى فِعلها .

ولقَدْ توعَّد الله بالوَيل والغَى لمن يسهُو عن الصَّلاة ويُضيعها عن وقتها فقالَ تعالى(فويلٌ للمصلِّين الَّذين هم عن صَلاتهم ساهون).

وقال تعالى (فخلفَ من بعدِهم خلفٌ أضاعوا الصلاةَ واتَّبعوا الشَّهواتِ فسوف يلقَون غيًّا) .

وقد سُئل ابن مسعودٍ عن إضاعتِها فقالَ تأخيرها عن وقْتها ،

فقالوا ما كنّا نرى ذلك إلا تركها فقال لو تركوها لكانوا كفّارا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادُكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هُم الخاسرون) .

فمن ألهاه مالُه وولده عن فعل الصلاة المكتوبة في وقتها دخل في ذلك فيكون خاسراً ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث من فاتته صلاةُ العصر فقد حبط عملهُ ، وحبوطُ العمل لا يتوعد به إلا على ما هو من أعظم الكبائر وكذلك تفويتُ العصر أعظم من تفويت غيرها ، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (من فاتتهُ صلاة العصر فكأنما وتر أهْلَه ومالَه) والموتور أهله وماله يبقى مسلُوباً ليس له ما ينتفع به من الأهلِ والمالِ وهو بمنزلةِ الذى حبِطَ عَمَلُه .

(الذكر بعد انقضاء الصلاة)

كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أنْ ينصرفَ من الصّلاة يستغفر ثلاثاً ، ويقول اللهم أنت السّلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلالِ والإكرامِ .

وفي الصحيحين عن المُغيرة بن شُعبةَ أنه كان يقول « لا إله إلا الله

وحدَه لا شريك له ، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير .
اللَّهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا معطِيَ لما منعتَ ولا ينفع ذا الجدِّ
منك الجدُّ .

وصحَّ عنه أنه كان يهلل بهؤلاء الكلمات « لا إله إلا الله وحده لا شريكَ لهُ له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله ، لا إله إلاَّ الله ولا نعبد إلاَّ إياه ، له النِّعمةُ ولَهُ الفضلُ وله الثناء الحَسَنُ ، لا إله إلا الله مخلِصين له الدِّين ولو كَرِهَ الكافِرون » وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهُ أن رفع النَّاس أصواتهم بالذِّكر كان على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى لفظ كُنَّا نَعْرِفُ انقضاء الصَّلاة بالتكبير والأذْكار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يُعلِّمها المسلمين عُقيب الصلاة أنواعٌ منها : أنه يسبِّحُ ثلاثًا وثلاثينَ ويُحَمِّدُ ثلاثا وثلاثين ويكبِّر ثلاثًا وثلاثين فتلك تسعةٌ وتسعون ، ويقولُ تمام المائة لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وَعَدُّ التَّسبيح بالأصابع سُنَّةٌ كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للنساء سبِّحن واعقِدْن بالأَصابع فانهُن مسئولاتٌ مستنطقاتٌ .

وأما عدُّهُ بالنَّوى والحصى ونحو ذلك فحَسَنٌ وكان من الصحابة

رضى الله عنهم من يفعل ذلك وروى أن أبا هريرة كان يسبح به ،
وأما التسبيح بما جعل فى نظام من الخرز ونحوه فقال شيخ الإسلام
ابن تيمية رحمه الله من الناس من كرهه ومنهم من لم يكرهه وإذا
حسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه .

﴿ فضل قيـــام الليل ﴾

ذكر الله قيام الليل فى عدة آيات من كتابه العزيز تارة بالمدح
وتارة بالأمر فقال تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون آخذين
ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلاً من الليل
ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) .

وقال تعالى (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالأسحار) .

وقوله تعالى (قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلا
أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) .

وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أوتروا يا أهل القرآن قال أعرابى ما يقول
رسول الله فقال ابن مسعود إنها ليست لك ولا لأصحابك فقد
خاطب أهل القرآن من قيام الليل بما لم يخاطب به غيرهم ،

وقال صلى الله عليه وسلم (نظرتُ فى سيئات أمتى فوجدتُ فيها الرجل يؤتيه الله آيةَ من القرآنِ فينامُ عنها حتى ينساها) .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قالَ (مَن صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصفَ الليل ومن صلى الصبحَ فى جماعةٍ فكأنما قام الليلَ كلَّه) أى الصبح مع العشاء فهذا يدلُّ على أنهما ليسا من قيامِ الليلِ ولكن كمن قامَ الليلَ .

وفى الحديث الذى رواه مُعاذ وقال فيه يا رسولَ الله أخبرنى بعملٍ يُدخلنى الجنةَ ويُباعدنى من النار ، قالَ لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه تعبُدُ اللهَ ولا تُشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ ، ثم قال ألا أدلُّك على أبواب الخير الصومُ جُنَّة والصدقة تطفىء الخطيئةَ كما يطفىء الماء النارَ ، وصلاةُ الرجل فى جوف الليلِ ثم تلا (تتجافى جنوبهُم عن المضاجعِ يدعون ربَّهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم يُنفقون فلا تعلمُ نفس ما أُخفىَ لهم من قرَّة أعينٍ جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (أمْ من هُو قانتٌ آناء الليلِ ساجِداً وقائما يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمة رَبه قُل هل يَستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكرُ أُولو الألبابِ) .

وقال تعالى (مِن أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) .

وقال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) .

وقال تعالى فى سورة المزمل (قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا) .

﴿ أفضل العمل ما كان على السنة ﴾

ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أفضل القيام قيام داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وثبت فى الصحيح أن عبد الله بن عمرو قال لأصومن النهار ولأقومن الليل ولأقرأن القرآن كل يوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين أى غارت ونفهت له النفس أى سئمت ، ولكن صم ثلاثة أيام من كل شهر فذلك

صيام الدهر يعني الحسنة بعشر أمثالها فقال إني أطيق أفضلَ من ذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أفضلَ من ذلك .

وقال له في القراءة اقرأ القرآنَ في كلِّ شهرٍ فما زال يُزايدهُ حتى قال له اقرأ في سَبعٍ وذكَر له أنَّ أفضلَ القِيام قيام داود وقال له إن لنفسك عليكَ حقا ولأهلِك عليك حقا ولزوْجك عليك حقا فآت كل ذي حقٍّ حقَّه .

فبيَّن له صلى الله عليه وسلم أن المداومةَ على هذا العملِ تُغيِّر البدنَ والنفْس وتمنع مِن فعل ما هو آجَر مِن ذلك مِن القيام لِحقِّ النَّفس والأهل والزَّوج وأَفضل الجهادِ والعملِ الصَّالح ما كانَ أطوَع للربّ وإنفع للعبدِ فاذا كان يَضرُّهَ ويمنعه مما هو أنفعَ منه لم يَكُن ذلكَ صالحاَ .

وقد ثبت في الصحيح أنَّ رجالا قال أحدُهم أمَّا أنا فأصوم لا أفطِر، وقال الآخر أما أنا فأقوم لاأنام ، وقال الآخـــر ، أما أنا فلاَ آكل اللَّحم ،وقال الآخر أما أنا فلا أتزوَّج النساء ،فقال صلى الله عليه وسلم ما بال رجالٍ يقول أحدهم كيتَ وكيتَ لـكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رَغب عن سنّتي فليس مني،فبيّن صلى الله عليه وسلم أنَّ مثل هذا الزّهْد الفاسدَ والعبادةَ الفاسدة لَيست

من سنته فمن رغب فيها عن سنته فرآها خيرا من سنته فليس منه،
قال أبي بن كعب رضى الله عنه: عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فاقشعر جلده من خشية الله
إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجر، وما من
عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله
إلا لم تمسه النار أبدا وإن اقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد
فى خلاف سبيل وسنة فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت
اجتهاداً واقتصادا على منهاج الأنبياء وسنتهم .

وكذلك قال عبد الله بن مسعود اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد
فى بدعة، وفى الصحيح أن سائلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم
الدهر، فقال ومن صام الدهر فلا صام ولا أفطر قال فمن يصوم يومين
ويفطر يوما فقال ومن يطيق ذلك ! قال فمن يصوم يوما ويفطر
يوما فقال ذلك أفضل الصوم، فسألوه عن صوم الدهر ثم عن صوم
ثلثيه ثم عن صوم شطره وقد بين صلى الله عليه وسلم حكمة النهى
فقال من صام الدهر فلا صام ولا أفطر فانه يصير الصيام له عادة
كصيام الليل فلا ينتفع بهذا الصوم ولا يكون صام ولا
هو أفطر .

﴿ أخلص العمل وأصوبه ﴾

قال الله تعالى (لِيبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً) قال الفضيل بن عياض رحمه الله لمَا قيل له يا أبا على ما أخلصُ العمل وأصوبه ؟ قالَ إن العمل إذا كان خالصا ولم يَكنْ صوابا لم يُقبل، وإذا كانَ صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكونَ خالِصا صوابا ، والخالِص أن يكونَ لله والصوابُ أن يكونَ على السُّنة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى أنا أغْنى الشُّركاء عن للشِّركِ مَن عمل عملا أشْركَ فيه غَيرى فإنى برِىء منه وهو كلّه لِلّذى أشْركَ به، وفى السُّنن عن العِرباض بنِ سارِية قال وعَظَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَوعظةَ ذَرَفت منها العيون ووجِلت منها القلوب فقال قائلٌ يا رسول الله كأنَّها موعظةُ مودِّعَ فماذا تعهَد إلينا فقال أوصِيكُم بالسَّمع والطَّاعة فإنَّه من يعِش منكم فسيرَى اختلافا كثيراَ فعليكم بِسُنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين مِن بعدى تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذِ وإياكم ومحدثاتِ الأمور فإنَّ كلُّ بِدْعةٍ ضلالةٌ ، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أحدَث فى أمرِنا ما ليس مِنه فهو رَدٌّ وفى لفظ

من عَمِل عملا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ أى مردودٌ غير مقبول وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضى الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوَاهم المبيت إلى غارٍ فدَخلوه فانحدرتْ صخرةٌ من الجبلِ فسدَّت عليهم الغارَ ، فقالوا إنه لا ينجيّكم مِن هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بِصالح أعمالِكم، قال رجلٌ منهم اللَّهم إنَّه كانَ لى أبَوان شيخان كبيران وكنت لا أغبقُ قبْلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشَّجر يوما فلم أُرِح عليهما حتَّى ناما فحلبت لهما غبُوقهما فوجدْتهما نائمين فكرِهت أن أُوقظهُما وأن أغْبِق قبلهما أهلا أو مالا فلبِثْت والقدح على يدىَّ أنْتظر استيقاظهما حتى برَق الفجر والصِّبْية يتضاغَون عِند قدمىَّ فاستيقْظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاءَ وجهكَ ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرة، فانفرَجت شيئا لا يستطيعون الخروجَ منه ، وقال الآخر اللهم إنَّه كانت لى ابنةُ عمّ كانت أحبَّ الناس إلىَّ وفى رواية كنت أُحبها كأشد ما يُحب الرجالُ النساء فأردْتها على نفسى فامتنعتْ منى حتى ألمَّتْ بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى قدَرْت عليها وفى رواية فلما قعَدت بين رِجليها قالت إتقِ اللهَ ولا تفضَّ الخاتَمَ إلا بحقّه فانصرفتُ منها وهى

أحبُّ الناسِ إليَّ وتركت الذَّهب الَّذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاءَ وجهِك فأفرج عنَّا ما نَحْن فيه فانفرجت الصَّخرةُ غيرَ أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث اللهم إنِّى استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم غيرَ رجلٍ واحدٍ ترك الَّذى له وذهب ، فثمَّرْتُ أجره حتى كثُرت مِنه الأموالُ فجاءنى بعدَ حينٍ ، فقال يا عبدَ الله أدِّ إليَّ أجْرى فقُلت كلُّ ما ترَى مِن أَجْرك مِن الإبل والبقرِ والغنمِ والرَّقيقِ ، فقال يا عبدَ الله لا تَستهزىء بى فقُلت لا أستهزِىء بكَ فأخذَه كلَّه فاستاقه فلم يترْك مِنه شيئا ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك إبتغاءَ وجهْك فأفرُج عنَّا مانحن فيه فانفرجَت الصَّخرة فخرَجوا يَمشون متفقٌ عليه . شعر :

عليك بِما يفُيدكَ فى المَعاد ... وما تَنْجو به يوم التَّناد
فمالكَ ليْس ينفع فيك وعظٌ ... ولا زَجْر كأَنَّك مِن جمادِ
ستَندمُ إن رَحلْت بغير زادٍ ... وتَشقى إذ يُناديك المناد
فلا تَفرحْ بِمالٍ تقتنَيه ... فإنَّك فيه معكُوس المُرادِ
وتُب مِمَّا جنَيتَ وأنت حىٌّ ... وكُن متنبِّها مِن ذا الرّقَادِ

﴿ من نور الرسالة ﴾

قال الله تعالى: (أَوَمَن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)؟ وصف الله المؤمن بالميت من ظلمات الجهل فأحياه الله بنور الإيمان نور الرسالة وجعل له نوراً يمشى به في الناس.

أما الكافر فميت القلب لا يعى ولا يفقه من ظلمة الكفر التى حجبت عنه النور وجعلته يتقلب فى ظلمات بعضها فوق بعض لا يدرى أين طريق الله القويم ولا كيف يسير على صراط مستقيم فلو سار على نهج الرسول الذى قال الله فيه (وكذلك أوحينا إليك رُوحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) فذكر الأصلين اللذين هما الروح والنور وضرب الله للحياة الإيمانية ونور البصيرة مثلا بالماء الذى ينزل من السماء كما قال الله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) شبه الله القلوب

بالرّياض التى يتجمّع فيها الماء وتُنبِت الكلأ فكُلُّ ما اتّسعَ عِلمُ العالِمْ صار قلبُه كالرّوضةِ الواسعة التى تحفظُ كثيرا من الماءِ وتُنبِت كثيرا من الزّهور والأعشابِ وكل ما قلّ عِلم المرء صار كالرّوضة الصّغيرةِ .

أمّا الكافرُ فهُو كالأرضِ السّبخَة لا تحفظُ ماءً ولا تُنبت كلأً وإن احتفظت بشىءٍ من الماء تغيرّ طعمهُ ولا يُنتفع به كالْملحِد الذى يُجادل بعلمٍ لا ينفعُ وضررُه ظاهِرٌ أو علمه كالزّبد الذى يعلو على السيل ثمّ يقذِفُ به الموج على جنبات الوادِى فيذهبُ جُفاء يختفى بعْد القذْفِ به . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوىّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خيرٌ إحرصْ على ما ينفعُك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىءٌ فلا تقُل لو أنى فعلْت كذا كان كذا وَكذا ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فإنَّ لَوْ تفتحُ عمل الشيطانِ) رواه مسلمٌ .

دلّ الحديث على أنّ الإيمانَ يَشملُ العقائدَ القلْبيّة والأقوالَ والأفعالَ كما هو مذْهب أهلِ السنّة والجماعةِ فإنَّ الإيمانَ بِضع وسبعونَ شُعبةً أعْلاها قول لا إلهَ إلا الله وأدْناها إماطة الأذى عن الطريقِ والحياء شُعبةٌ من الإيمانِ .

وفى الحديث أنَّ المؤمنين يتفاوتون فى الحمية ومحبة الله والقيام بدينه وإنهم فى ذلك درجاتٌ .

ولما فاضل صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين قويِّهم وضعيفهم خشى من توهُّم المفضولِ فقال وفى كلٍّ خيرٌ وفى هذا الاحتراز فائدةٌ نفسيةٌ وهى أنَّ على من فاضل بينَ الأشخاصِ أو الأجناسِ أو الأعمالِ أن يذكرَ وجهَ التَّفضيل ويحترِزَ بذكر الفضلِ المشتركِ بيْنَ الفاضلِ والمفضول لئلا يتطرّقَ القدحُ إلى المفضولِ .

لا يدرك المجدَ إلا سيّدٌ فطِنٌ ... لما يشُقّ على السّادات فعّالُ
لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهم ... الجود يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ
إنّا لفى زمنٍ قولُ القبيح به ... من أكثر الناسِ إحسانٌ وإجمالُ

﴿ مولد النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ثبت فى الصحيح من حديث أبى قتادة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم سُئل عن صيام يوم الإثنين فقال ذاك يومٌ وُلِدت فيه وأُنزلت علىَّ فيه النبوةُ ، والحديث يدل على أنه وُلد نهارا فى يوم الاثنين ، وقد رُوى أنه ولد عند طلوع الفجر ومولدُه يوم الإثنين كالمجمع عليه بينَ العلماء . روى أبو جعفر بن أبى شيبة فى تاريخه

وخرّجه من طريقة أبو نعيم فى الدلائل باسناد فيه ضعف عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال كان بمرّ الظّهران راهبٌ يدعى عيص من أهل الشام وكان يقول يُوشِك أن يُولد فيكم يا أهلَ مكة مولود تدين له العرب ويملك العجمَ هذا زمانه، فكان لا يُولد بمكة مولودٌ إلاَّ سأل عنه، فلمّا كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيص فناداه فأشرف عليه فقالَ له عيص كُن أباه فقد ولد ذلك المولودَ الذى كنتُ أحدّثكم عنه يومَ الإثنين ويبعث يوم الإثنين ويموت يومَ الإثنين، قال إنَّه ولد لى مع الصُّبح مولودٌ قال فما سميته قال مُحمداً قال والله لقد كنت أشتهى أن يكونَ هذا المولود فيكم أهلَ البيت لثلاث خصال بها نعرِفُه فقد أتى عليهن منها أنه طلع نجمه البارحةَ وأنه ولد اليوم وأنَّ اسمه محمدٌ انطلق إليه فإنَّه الذى كنتُ أحدّثكم عنه.

وقد روى ما يدلُّ على أنه ولد ليلا وقد سبق فى ذلك من الآثار ما يُستدل به لذلك، فمن عائشة رضى الله عنها قالت كان بمكة يهودى يتَّجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلةَ مولودٌ قالوا لا نعلمهُ فقال ولد الليلة نبىُّ هذه الأمّة الأخيرةِ بين كتفيه علامةٌ فيها شعراتٌ

متواترتٌ كأنهن عُرف فرس فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه، فقالوا أخرجى إلينا إبنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشّامة فوقع اليهودىُّ مَغشيا عليه، فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال ذهبت والله النبوةُ من بنى إسرائيل، وهذا الحديث يدلُّ على أنه ولد بخاتم النُّبوةِ بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته التى كانَ يعرِفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوفَ عليها .

والمشهور فى شهر ولادته أنَّه ولد فى ربيع الأوّلِ كما نقل ابن الجوزى وغيرُه وهو قولُ جمهورِ العُلماء ثم اختلفوا فى أىّ يومٍ كانَ من الشَّهر، فمنهم من قال هو غير معيَّن وإنَّما ولد فى يومِ الاثنين من ربيع الأول قيلَ لِليلتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لإثنتى عشرة وقيل لِسبع عشرة وقيل لِثمانىَ عشرة وقيل لثمان بقِين منه وقيل إن هذين القولين غير صحيحين عمّن حكيا عنه بالكُلية، والمشهور الذى عليه الجمهور أنَّه ولد يوم الإثنين ثانىِ عشر ربيعِ الأوّلِ وهو قول ابن إسحاق وغيره .

وأما عامُ ولادته فالأكثرون على أنَّه عام الفيلِ وممّن قال ذلك قَيس ابن مخرمة وابن عباس وغيرُهما .

ورُوى أنه ولد يوم الفيل وقيل أن هذه الرواية وَهْمٌ إنَّما الصحيح

عن ابن عباس أنه قال عام الفيل ، ومن العلماء من حكى الاتفاق على ذلك ، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بخمس وخمسين يوما ، وفيه أقوال كثيرة .

﴿ المعجزة والكرامة ﴾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات وأن اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات ، لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة فنقول ، صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم والقدرة والغنى وإن شئت أن تقول العلم والقدرة : والقدرة إمّا على الفعل وهو التأثير وإمّا على الترك وهو الغنى والأول أجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده فإنه الذي أحاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملك إن أتبع إلا إلا ما يوحى إليّ) .

وكذلك قال نوح عليه السلام فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم وكلاهما تبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم تارة بعلم الغيب كقوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) و (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى) وتارة بالتأثير كقوله جل شأنه (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) إلى قوله سبحانه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية كقوله تعالى (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله ولا هو ملك غنى عن الأكل والمال إن هو إلا متبع لما أوحى إليه واتباع ما أوحى إليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته علما وعملا بالباطن والظاهر وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى، فيعلم منه ما علمه إياه ويقدر منه ما أقدره الله عليه ويستغنى عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب

الناسِ ، فما كان من الخوارقِ من باب العِلم فتارةً بأن يسمع العبد ما لا يسمعُه غيرهُ ، وتارةً بأن يرى مالا يراه غيره يقظةً ومناما وتارةً بأن يعلمَ ما لا يعلمُه غـــيرهُ وَحيا أوْ إلهاما ، أو إنزالَ علم ضرورى أو فراسةً صادقةً ويُسمَّى كشفاومُشاهَداتٍ ومُكاشفاتٍ ومُخالطاتٍ ، فالسماعُ مخاطباتٌ والرؤيةُ مُشاهداتٌ والعِلم مكاشفةٌ ويسمَّى ذلك كلُّهُ كشفا و (مُكاشفةً) أى كُشِف لهُ عنه .

وما كان من باب القُدرة فهو التأثير وقد يكون همَّـة وَصِدقا ودَعوة مُجابةً ، وقد يكون من فِعل الله الذى لا تأثير له فِيه بحالٍ مثل هَلاكِ عدُوِّه بغير أثر منه كقوله (من عادى لى وليًّا فقدْ بارزَنى بالمحاربةِ ، وإنى لأثأرُ لأوليائى كما يثأرُ الليثُ الحربِ) ومِثل تذليل النفوسِ له ومحبتِّها إيّاهُ ونحو ذلك ،وكذلك ما كان مِن بابِ العِلم والكشفِ قد يكشفُ لِغيره من حاله بعضَ أمُورٍ .

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المبشّرات (هى الرّؤيا الصّالحة يَراها الرجُل الصّالح أو تُرى لهُ) .

وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم (أنتم شُهداء الله فى الأرْض) وكلُّ واحدٍ مِن الكشْف والتأثير قد يكونُ قائما به وقد لا يكونُ قائما به بل يكشف اللهُ حالَه ويصْنعُ له،وقال أحمد بن حَنبل لو وُضع

الصّدق على جُرح لبرأ لكنْ من اقام بغيره له من الكشف والتأثير فهُو سببُه أيضاً وإن كان خرْق عادةٍ فى ذلك الغير ، فمعجزاتُ الأنبياءِ وأعلامُهم ودلائل نبوّتهم تدخُل فى ذلك وقد جُمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم جميعُ أنواع المعجزات والخوارق ، أما العِلم والأخبارُ الغيبيّة والسَّماعُ والرؤية فمثل أخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء المتقدّمين وأمُمِهم ومُخاطباتِه لهم وأحواله معهم ، وغيرِ الأنبياء من الأولياءِ وغيرهم بما يُوافق ما عِندأهل الكتابِ الذين ورثوهُ بالتواتُر أوْ بغيره من غير تعلُّمَ له منهم ، وكذلك إخبارُه عن أمورِ الرُّبوبية والملائكة والجنْة والنارِ بما يوافق الأنبياء قبْله من غير تعَلُّم منهم ، ويعلم أنّ ذلك مُوافقٌ لِمنقول الأنبياء تارةً بما فى أيديهم من الكتبِ الظّاهرَة ونحو ذلك من النقل المتواتِر وتارة بما يعلمه الخاصة من عُلمائهم وفى مثل هذا قد يستشهد أهلُ الكتاب وهُو من حكته إبقائهم بالجِزْية وتفصيلُ ذلك ليس له موضعُه .

فإخبارُه عن الأمورِ الغائبة ماضِيها وحاضِرها هو من باب العلم الخارق ، وكذلك إخْبارُه عن الأمور المستقْبلة مثل مملكة أمَّته وزوالُ مملكةِ فارس والرُّوم وقتال التُّرك وألوف مؤلفة من الأخبار التى أخبر بها مذكورٌ بعضها فى كتب دلائل النبوّة ، وسيرَة الرّسول وفضائِله وكُتب التفسيرِ والحديث والمغازى مثل دلائلُ النبوّة

لأبى نعيم والبيهقىّ وسِيرة بن إسحاق وكتُب الأحاديث المسندة كمسندِ الإمامِ أحمد والمدوّنة كصحيح البخارى وغير ذلك مما هو مذكورٌ أيضاً فى كتب أهلِ الكلام والجدل كأعلام النبوة للقاضى عبد الجبار وللماوردى والرّد على النصارى للقُرطبى ومُصنّفاتٍ كثيرةٍ جداً. وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد فى كتب الأنبياء المتقدمين. وهى فى وقتنا هذا إثنتان وعشرون نبُوّة بأيدى اليهود والنصارى، كالتوراةِ والإنجيل والزّبور وكتاب شَعيا وحبقوق ودانيال وأرميا وكذلك أخبارُ غيرِ الأنبياء مِن الأحْبار والرّهبان وكذلك أخبارُ الجن والهواتِف المطلقة وأخبارِ الكهنة كسطيح وشِقٍّ وغيرهما.

وكذلك المنامات وتعبيرُها كمنام كسرى وتعبير المربذان وكذا أخبارُ الانبياء المتقدمين بما مضى وما غبَرهو من أعلامهم وأمّا القدرةُ والتأثيرُ فإما أن يكون فى العالم العُلوى أو ما دُونه، وما دونه إما بسيط أو مُركب والبسيط إمّا الجوّ وإما الأرض والمركب إمّا حيوانٌ وإما نباتٌ وإما معدن، والحيوان إما ناطقٌ وإما بهيمٌ، فالعُلوى كانشقاقِ القمر وردِّ الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فاتت عليا الصلاة والنبى صلى الله عليه وسلم نائم فى حجره إنْ صح الحديث فمن الناس مَن صحّحه كالطحاوى والقاضى عياض ومنهم من جعله موقوفا كأبى الفرج بن الجوزى وهذا أصح وكذلك معراجهُ إلى السموات.

وَأما الجوّ فاستسقاؤه وَاستصحاؤه غير مرة كحديث الأعرابي الذى فى الصحيحين وَغيرهما وَكذلك كثرة الرمى بالنجوم عند ظهوره وَكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وَأمّا الأرض وَالماء فكاهتزازه الجبل تحته وَتكثير الماء فى عين تبوك وَعين الحديبية وَنبع المـــاء من بين أصابعه غير مرة وَمزادة المرأة، وَأما المركبات فتكثيره الطعام غير مرة فى قصة الخندق من حديث جابر وَحديث أبى طلحة وَفى أسفاره وَجراب أبى هريرة وَنخل جابر ابن عبد الله وَحديث جابر وَابن الزبير فى انقلاع النخل وَعودها إلى مكانه وَسقياه لغير وَاحد من الأرض كعين أبى قتادة.

وَهذا باب وَاسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنوَاع معجزاته بخصوصه وَإنما الغرض التمثيل.

وَكذلك من باب القدرة عصا موسى عليه السلام وَفلق البحر والقمل وَالضفادع وَالدم، وَناقة صالح وَإبراء الأكمه وَالأبرص وَإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، كما أن من باب العلم إخبارهم بما يأكلون وَما يدخرون فى بيوتهم، وَفى الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات التى لغير الأنبياء من باب الكشف وَالعلم فمثل قول عمر فى قصة سارية وَإخبار أبى بكر بأن ببطن زوجته أنثى وَإخبار عمر بمن يخرج من وَلده فيكون عادلا، وَقصة صاحب

موسى فى علمه بحال الغلام والقدرة مثل قصة الذى عنده علمٌ من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى مسلم الخولانى وأشياء يطولُ شرحها ، فإنَّ تعدادَ هذا مثل المطر وإنما الغرض التمثيلُ بالشيء الذى سمعهُ أكثر الناس ، وأمَّا القدرة التى تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه . انتهى .

﴿ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم﴾

فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال إنّ عبداً خيَّرهُ الله بين أن يؤتيه من زهرة الدُّنيا ما شاء وبين ما عندهُ فاختار ما عندَه فبكى أبو بكرٍ وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال فعجبنا وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدُّنيا ماشاء وبين ما عند الله وهُو يقولُ فَدَيناكَ بآبائنا وأُمَّهاتِناَ ، قال فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو المُخيرّ وكان أبو بكرٍ هو أعلمُنا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنّ من أمَنّ الناس على صحبته وماله أبو بكر ولو كنتُ متَّخذاً من أهل الأرض خليلا لاتَّخذت أبا بكرٍ خليلا ، ولكن

أُخُوَّةَ الإسلامِ، لا تبقى فى المسجد خوخةٌ إلاَّ سُدت إلاَّ خوخةُ أبى بكر رضىَ اللهُ عنه، الموت مكتوبٌ على كلِّ حى، الأنبياء والرُسل وغيرهم، قال الله تعالى لِنبيِّه صلى الله عليه وسلم (إنك ميتٌ وإنهم ميِّتُون) وقال سبحانه (وما جعلْنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإن مِتّ فهُم الخالدون كلُّ نفس ذائقةُ الموت ونبْلوكم بالشَّر والخير فتنةً وإلينا تُرجَعون).

وقال سبحانه وتعالى (وما مُحمَّدٌ إلا رسولٌ قد خلَت من قبله الرُّسلُ أَفإنْ مَاتَ أَو قُتِلَ انقلبتم عَلَى أَعْقابِكم) وقوله تعالى (اللهُ يتوفَّى الأنفسَ حِينَ موتها والَّتى لم تمُت فى منامِها فيُمسكُ التى قضى عليها الموتَ ويرسلُ الأخرَى إلى أجلٍ مُسَمَّى إنَّ فى ذلك لآياتٍ لِقومٍ يتفكَّرونَ).

وَفى مُسند البزّار عن أنس أنَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال لهم لما ناموا عن الصَّلاةِ إن هذه الأرواح عارِيةٌ فى أجساد العباد فيقبضها إذا شاء ويُرْسلها إذا شاء: شعرا

إسْتعدى للموت يا نفسُ واسعى ... لنجـــاةٍ فالحازم المستعدُّ
قد تَيقنتُ أنه ليْس للحىِّ ... خُلودٌ ولا مِن الموتِ بدٌّ

قال الربيعُ بن خَيْثم أكْثروا ذِكرَ الموت فإنكم لم تَذوقوا قبله مِثله ويتزايدُ الألم بمعرفةِ المحتضر فإن جسدَه إذا فارقتهُ الرُّوح صار جيفةً مُستقذَرةً تأكله الهوامُ ويبليه الترابُ حتى يعودَ ترابا وإنَّ

الرُّوح المفارقة له لا تدرى أين مُستقرُّها هل هوَ فى الجنَّة أوْ فى النارِ ، فإن كان عاصيا مُصرا على المعصيةِ إلى الموتِ فربما غلب على ظنِّه أنَّ روحه تصير إلى النار فتتضاعف بذلك حسْرته وألمهُ وربما كُشِف له مع ذلك عن مقعده من النار فرآه أو يُبشَّر بذلك فيجمع له مع كرْب الموتِ وألمهِ العظيم معرفتهُ بسوء مصيرهِ وهذا هُو المرادُ بقوْله عزّ وجل (والْتفَّت السّاقُ بالسّاق) على ما فَسَّر به كثيرٌ مِن السّلف فيجْتمعُ عليه سكْرةُ الموتِ مع حسرةِ الفوت فلا يُسأَل عن سُوء حاله وقد سمّى اللهُ ذلك سكرةً لأن ألم الموت مع ما ينضم إليه يُسْكرُ صاحِبه فيغيبُ عقلهُ غالبا قال الله تعالى (وجاءتْ سكْرةُ الموتِ بالحقِّ) .

يا غافِل القلبِ عن ذكر المَنِيَّاتِ	عمَّا قليل ستُلقى بين أمْواتِ
فاذْكُر محلّك من قبل الحُلول به	وتُبْ إلى اللهِ من لهْو ولذّات
إن الحِمَام له وقتٌ إلى أجلٍ	فاذكُر مصائبَ أيّام وساعاتِ
لا تطمَئنّ إلى الدُّنيا وزينتَها	قد آنَ للموت ياذا اللبُّ أن يأتى

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه لابنه اقتصِد فى الكفن فإنَّه إن كان لى عند الله خيرا بدّلنى ماهُو خيرٌ منه ، وإن كُنتُ على غير ذلك سلبنِى فأسرع سلبي واقتصدوا فى حُفرتى ، فإنّه إن كان لى عند الله خيرٌ أوْسع لى فيها

مَدى بصرى وإن كنتُ على غير ذلك ضَيِّقها علىَّ حتى تختلف أضلاعى ولا تخرج معى امرأةٌ ولا تزكُّونى فيما ليس فىَّ فإن الله هو أعلمُ بى فإذا خرجتم فأسرِعوا فى المسير ، فإنه إن كان لى عند الله خيرا قدمتُمونى إلى ما هو خيرٌ لى وإن كنتُ على غير ذلك ألقيتمُ عن رقابكم شراً تحمِلونه .

وروى أنَّ العباس بن عبد المطَّلب ، قال سألت اللهَ حوْلا بعد مامات عمر أن يُرينيه فى المنام فرأيته بعد حَوْل فقُلت ياأمير المؤمنين ما شأنك فقال هذا أوانٌ فرغتُ فيه من الحساب ألاَ وإنْ كادَ عرْش عمر ليهُدُّ لوْلا أنى لقيت رءوفا رَحيما .

﴿ مما ورد فى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (أُعطيت خمسا لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبْلى ، نُصِرت بالرُّعب مسيرةَ شهر وجُعِلَت لى الأرضُ مسجدا وطَهُورا وأُحِلَّت لى الغنائمُ ولم تُحلَّ لأحدٍ قبْلى وأعطيت الشَّفاعة وكان النبى يُبعث إلى قوْمه خاصة وبُعثتُ إلى النّاس عامّة) قوله وأعطيت الشفاعة يعنى بذلك الشفاعة العُظمى وهى الأولى التى يشْفَعُ فيها عند الله عز وجل ليأتى لفصل القضاء وهىَ التى يرغب إليه

فيها الخلقُ كلُّهم حتى الخليلُ إبراهيم وموسى الكليم وسائرُ النبيين والمرسلين والمؤمنين ، ويغبطهُ الأولون والآخِرون فهذه هىَ الشفاعةُ التى اختُصَّ بها دون غيره .

أمّا الشفاعةُ فى العُصاة فكما ثبتتْ له ثبتتْ لغيره منَ الأنبياءِ وكذلك الملائكةُ وسائرُ المؤمنينَ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال ، أنا أولُ من تنشقّ عنه الأرضُ وأولُ شافِعٍ وأولُ مُشفّع .

وعن أبى هريرة رضى اللهُ عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فخرَ وأنا أولُ من تنْشقُّ عنه الأرض وأنا أول شافع ومشَفَّع بيدى لواء الحمْد ، تحتي آدمُ فمن دونَه .

وفى صحيح مسلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال إنَّ ربىّ أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن عَلَى حرفٍ قال فردَدْت عليه يارب هَوِّن عَلَى أمتى ، فردَّ علىّ ثانية أن أقرأهُ على حرفين قال قُلت يا رب هوّن عَلَى أمّتى ، فردّ على الثالثة أن أقرأَه على سبعةِ أحرفٍ ولك بِكل ردَّةٍ ردَدْتكها مسألةَ تسألنيها فقلتُ اللهم أغفِر لأمتى ، اللهم أغفِر لأمتى ، وأخرْت الثالثةَ إلى يومٍ يرغب إلىَّ فيها الخلْقُ حتى إبراهيمَ .

وعن عبد الله بن عباس قال قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

(يُنصَب للأنبياء يومَ القيامةِ منابرَ مِن ذهب فيجلِسون عليها قال ويبقى مِنبرى لا أجلِس عليه قائما بين يدَى الله عز وجل مُنتصبا لأُمتى مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقولُ يا ربِّ أمتى فيقولُ اللهُ يا محمدُ وما تريدُ أن أصنعَ بأمتك فأقولُ يا رب عجِّل حسابهم فيُدعى بهم فيُحاسبون فمنهم من يدخلُ الجنة برحمةِ الله ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى وما أزالُ أشفعُ حتى أُعطى صِكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار حتى أنَّ مالِكا خازن جهنم ليقولُ يا محمدُ ما تركتَ لِغضبِ ربِّك لأُمتك مِن نقمةٍ) أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال يحشر الناسُ عُراةً فيجتمِعون شاخِصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصلَ القضاء قِياما أربعين سنة فينزِل الله عز وجلَّ من العرش إلى الكرسى ، فيكونُ أولَ من يُدعى إبراهيم الخليل عليه السلام فيُكسى قِبطيَّتين من الجنة ثم يقول ادعو إلىَّ النبيَّ الأُميِّ محمدا قال فأقوم فأُكسى حُلّة من ثيابٍ قال ويُفجَّر لى الحوضُ وعرضه كما بين أيلة إلى الكعبة قال فأشربُ وأغتسِلُ وقد تقطَّعت أعناقُ الخلائق من العطش ثم أقومُ عن يمين الكرسى ليس أحد قائم يومئذٍ ذلك المقام غيرى ثم يقال سَل تُعطه واشفع تُشفَّع ، قال فقال رجل أترجو لِوالديك شيئا يا رسولَ

الله قال إنى لشافع لهما أُعطيت أو مُنِعت ولا أرجـو لهما شيئاً .

وعن أبى نَضرة قال خطبنا ابنُ عباس رضىَ اللهُ عنه على منبر البصْرة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَنه لم يكن نبىٌّ إلاَّ له دعوةٌ قد تنجَّزها فى الدنيا وإنى قد اختبأْتُ دعوتى شفاعةً لأمَّتى، وأنا سيدُ ولد آدمَ يوم القيامة ولا فخرَ وأنا أوَّلُ من تَنْشقُّ عنه الأرض ولا فخرَ وبيدى لواء الحمد ولا فخر، آدم فمنْ دونه تحت لِوائى ولا فخر يطُول يومُ القيامة على الناس فيقولُ بعضهم لبعض انْطلقوا بنا إلى آدم أبى البشر فلْيَشْفع لنا إلى ربّنا فليقضِ بيننا فيأتُون آدم فيقولون يا آدم أنتَ الذى خلقك الله بيده وأسْكنك جنَّته وأسْجد لك ملائكته اشْفع لنا إلى ربّك فليقضِ بيننا فيقولُ إنى لستُ هُنا كم إنى قد أُخرِجت من الجنة بِخَطيئتى وإنَّه لا يُهمنى اليوم إلا نفسى ولكن إئتوا نوحا رأسُ النَّبيِّين، فيأتون نوحا فيقولون يا نوحُ اشفعْ لنا إلى ربنا فلْيقض بيْننا فيقولُ إنى لست هُنا كم إنى دعوت بِدعوة أغرقتْ أهلَ الأرضِ وإنى لا يُهمنى اليومَ إلا نفسى ولكن إئتوا إبراهيمَ خليلَ اللهِ، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيمُ اشْفع لنا إلى ربِّك فلْيقض بيننا فيقول إنى لسْتُ هُنا كم إنى كذبْت فى الإسلام

ثلاثَ كذبات واللهِ إنْ حاولَت بهن إلاَّ عن دينِ الله قوله (إنى سقيم) وقوله (بلْ فعله كبيرُهم هذا فاسئلوهم إن كانوا يَنطِقون) وقوله لامرأته (حين أتى على الملك أختى) وإنَّه لاَ يُهمنى اليوم إلا نفسى ولـكن إئتوا موسى الذى اصطفاه اللهُ برسالته وبكلامه ، فيأتونه فيقولون يا موسى أنتَ الَّذى اصطَفاكَ الله برسالتِه وكلَّمك فاشْفع لنا إلى ربك فلْيقض بيننا فيقولُ لسْت هُنا كم إنى قتلْت نفسا بغير نفسٍ وإنَّه لا يُهمنى اليوم إلا نفسى ولـكن إئتُوا عيسى روحُ الله وكلمتِه فيأتون عيسى ، فيقولون يا عيسى اشْفع لنا إلى ربّك فلْيقض بيننا فيقول، لسْت هُنا كم إنى اتخذت إلها من دون الله وإنه لا يُهمنى اليوم إلاّ نفسى، ولـكن أرأيتم لوْ كانَ متاعٌ فى وعاء مختومٍ عليه أكانَ يُقدَر على ما فى جوفه حتى يُفَض الخاتم قال فيقولون لا فيقولُ إنَّ محمدا خاتمُ النبيين وقد حضر اليومَ وقد غفِر له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخّر،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتُونى فيقولون يا محمد اشْفع لنا إلى ربّك فلْيقضِ بيننا فأقول أنا لها حتى يأذنَ اللهُ لِمن يشاء ويرضى، فإذا أراد اللهُ تباركَ وتعالى أن يَصْدعَ بين خلْقه نادَى منادٍ أين أحمدُ وأمته فنحن الآخِرون الأوّلون نحنُ آخِر الأمَمِ أول من يحاسَب فيُفرج لنا الأممُ عن طريقنا فنمضى غُرا مُحجَّلين من أثر الطُهور ،فتقولُ الأممُ كادَت هذه الامةُ أن تـكونَ أنبياءَ كلّها

فآتى بابَ الجنة فأخذُ بحلقة الباب فأقرعُ البابَ فيُقالِ مَن أنتَ فأقولُ أنا محمدٌ فيُفتح لى فآتى ربى عزّ وجلّ وهو على كرسيه أو سريره شكّ حمادُ فأخِرُّ له ساجدا فأحْمَده بمحامدَ لم يحْمَده بها أحدٌ كان قبلى وليس يحمده بها أحدٌ بعدى ، فيُقال يا محمــدُ ارْفع رأسك وقل تُسمَع واسأل تُعطَه واشفع تُشَفَّع فأرفعُ رأسى فأقولُ أىْ ربّ أمتى أمتى فيقولُ أخرِج من كان فى قلبه مثقالَ كذا وكذا لم يحفظ حمَّادُ، ثم أعودُ فأسجدُ فأقولُ ما قلت فيقال ارفع رأسك وقل تسمع وأسألْ تُعطه واشفع تشفَّع فأقولُ أىْ ربّ أمتى فيقولُ أخرِج من كان فى قلبه كذا وكذا دونَ الأوّل ، ثم أعودُ فأسجُد وأقول مثل ذلك فيُقال ارفعْ رأسك وقُل تُسمع واسألْ تعطه واشفع تشفَّع فأقول رب أمتى أمتى فيقولُ أخرِج من كان فى قلبه كذا وكذا دون ذلك .

﴿ شفاعة المؤمنين لأهليهم يوم القيامة ﴾

فى الصحيح من حديث عطـاء بن يسار عن أبى سعيد مرفوعا (إذا خَلِص المؤمنون من الصِّراط ورأوا أنهم قد نجوا فما أنتم بأشدّ مُناشدةً فى الحقّ بعد ما تبيَّن منهم لربِّهم عزَّ وجل فى إخوانهم الذين فى النار يقولون ربَّنا إخوانُنا كانوا يُصلُّون معنا ويصُومون معنا

ويحجون معنا ويغزون معنا) فيقال لهم اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه من النار ثم فيقول نصف مثقال ثم يقول مثقال ذرة (وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقول أدخلوا أدخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شىء أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذكر دخول أهل الجنة الجنة ثم أقول يا رب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى فيقول نعم أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، من كان فى قلبه ثلثى دينار من إيمان ، نصف دينار ، ثلث دينار ، ربع دينار ، حتى بلغ قيراطين أخرجوا من لم يعمل خيراً قط ، قال ثم يؤذن فى الشفاعة فلا يبقى أحد إلا شفع

إلا الله فإنه لا يشفعُ حتى إن إبليس ليتطاولُ يومئذٍ فى النار رجاءَ أنْ يُشْفع له بما يرى مِن رحمةِ الله حتى إذا لم يبقَ أحدٌ إلا شُفّع قال بقيتُ وأنا أرحم الراحمين فيخرُجُ منها مالا يحصى عِدَّتهم غيره كأنهم الخشَب المحترِق فيُطرحُون على شطِّ نهرٍ على باب الجنــة يُقال له الحيَــوان فينْبتون كما تنْبت الحبـةُ فى حَمِيـل السَّيل .
رواه ابن أبى الدنيـا .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رســول الله صلى الله عليه وسلم ، يُصَفُّ أناسٌ يومَ القيامة صُفوفا وقال ابن نُمير يُمَرُّ الرَّجل من أهل النارِ على الرَّجل مِن أهل الجنة فيقولُ يا فلانُ أما تذكرُ يوم استَسْقيتَنى فسقيتُك شَرْبة قال فيشفع له ويمرُّ الرجل على الرجل فيقُول أما تذْكر يوم بعثْتنى لِحاجة كذا وكذا فذهبتُ لك فيشفعُ له .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مِن أمتى رجالا يشفعُ الرجلُ منهم فى الفِئَام من الناس فيدخلونَ الجنَّة بشفاعتِه ويشفع الرَّجل لِلْقبيلة فيدخلُون الجنة بشفاعتِهِ ويشْفعُ الرجلُ منهم لِلرَّجل وأهلِه فيدخلون الجنةَ بشفاعتهِ . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلك رجلان مفازةً أحدُهما عابدٌ والآخر به رهَقٌ ومع الذى بهِ

رهَق إدَاوة فيها ماء وليس مع العابدِ ماء فعطش العابدُ فقال أىْ فلان أسقِنى فهو ذا أموتُ فقال إنَّما معى إداوة ونحنُ فى مفازة فإنْ سقَيْتك هلَكتُ فسلَكا ثم إنَّ العابدَ اشتدَّ به العطشُ فقال أى فُلان إسْقنى فهو ذا أموتُ فقال إنَّما معى إداوة ونحن فى مفازة فإن سقَيتُك هلَكتُ فسلَكا ثم إن العابد سقط فقال أىْ فلان أسْقنى فهو ذا أموت قال الذى به رهَق والله إنَّ هذا العبدَ الصالح يموت ضياعا لايبْلُنى عند الله بالةً أبداً فرشَّ عليه من الماء وسقاه ثم سلكا المَفازة فقطعاها قال فيُوقفان لِلحساب يومَ القيامة فيؤمَرُ بالذى به رهَق إلى النار فيعرف الذى به رهق العابد ولا يعْرف العابدُ الذى به رهَق فيُنادِ به أى فلانُ أنا الَّذى آثَرْتُك على نفسى يومَ المفازةِ وقد أُمِرَ بى إلى النّار فاشْفع لى إلى ربّك فيقولُ أىْ ربِّ هَبْهُ لىِ اليومَ فيُوهبُ له فيأخذُ بيده فينطلق به إلى الجنةِ زاد فيه فيقولُ يا فلانُ ما أشدَّ ما غرّتك نِعمةُ ربى عزَّ وجلَّ .

﴿ محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

عن أبن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجْت من ولد آدمَ مِن نكاح غيرَ سِفاح ، قال علماءُ السِّيَرَ لما حملت به آمنةُ قالت ما وجدْت له ثِقلا وكانت ولادَته يومَ الإثنين

لِليلتين خَلَتا مِن ربيع الأول وقال بعضهم لعشر خَلَون منه فلمّا ظهر خرجَ معه نُورا أضاء له ما بينَ المشرق والمغرب وتُوفى أبوهُ وهو حَمْلٌ فى بطن أمّه وماتت أمُّه وهو ابن ستّ سنين ، فكفَلَه جدّه عبدُ المطلب ومات جده وهو ابنُ ثمان سِنين فأوْصى به إلى عمه أبى طالبٍ وكان يُسمّى فى صِغره الأمينُ ، وكانت آياتُ النبوّة تظهر عليه فكان يرى النُورَ والضوء ولا يمُر بحجَر ولا شجَر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وقال إنى لأعرِف حجَرا بمكة كان يُسلِّم علىّ قبْل أن أُبعَث إنى لأعرِفهُ الآن ثم رُميَت الشُهب لبعثه .

أرضعته ثويْبَة مولاةُ أبى لهب أياما ثم قدِمت حليمةُ السّعدية فأكملَت رضاعَه وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأصدقَهم لهْجة وأكرمَهم عَشيرةً تزوّج خديجةَ وهُو ابنُ خمس وعشرين سنة فأتتْ مِنه بزينبَ ورُقية وأمّ كلثوم وفاطمةِ والقاسمِ والطاهر والطيّب وَقيل ولدت له عبد الله فى الإسلام فلُقّب بالطّاهر والطيّب وقيل ولدت له مارية إبراهيم وبعث لأربعين سنة فنزل عليه الملك وهو فى غار حِراء يومَ الإثنين لِسَبع عشرةَ خلت من رمضانَ وبقىَ ثلاثُ سنين يسْتَتر بالنبوّة ثم نزل عليه (فاصْدع بما تُؤمَر وأعْرِض عن المُشركين) .

فأعلى الدعوةَ ولقيَ الشدائدَ من قومه وهـو صابرٌ وكان يُصلى وسَلا جُزور قريبٌ منه فأخذه عُقبة بن أبي مُعيط فألقاهُ على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره فقال حينئذ اللّهم عليك بالملأ من قُريش، وكان في كل موسم يخرجُ فيعرِض نفسَهُ على القبائل فيقول من يُوقيني من ينصرُني فإن قريشاً قد منعُوني أن أبلغ كلامَ ربيِّ ثم أُسرى به صلى الله عليه وسـلم في سنة اثنتيْ عشرة من النُبوة .

بايعهُ أهـلُ العَقبةِ وتسلَّل أصحابهُ إلى المدينة وخرج هو وأبو بَـكر إلى الغار فأقاما فيه ثلاثا ثُم دخل المدينةَ فتلقّاه أهلُها بالرّحب والسّعة ، فبنى مسجده ومنزِله وغزَا سبعا وعشرين غزاةَ وبعث ستا وخمسين سريَّة ومازال يلطُف بالخلق ويُريهم المعجزات فانشَق له القمرُ ونبع الماءُ من بين أصابعه وحنَّ له الجذعُ وأخبرَ بالغائبات ، فكان كما قال فُضّلت على الأنبياء فصلَّيتُ بهم في ليـلة المعراج وأنا المُقدّم عليهم يومَ القيامة بالشّفاعة وقالَ أنا سيدُ ولد آدمَ ولا فخر وأول من تنشقُ عنه الأرضُ وأولُ شافع ومُشفّع، وقال أنا أولُ الناسِ خروجا إذا بُعثوا وأنا خطيبُهم إذا وفدُوا وأنا مُبشّرهم إذا أيسُوا لواء الحَمْد بيدى،وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطّر قدماه قالت

وكان إضجاعه الذى ينامُ عليه من أدمٍ حَشوه ليف، وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما شبع وأهلُه ثلاثة أيامٍ تباعا من خبز حتى فارق الدنيـــا .

وعن أنس رضى الله عنه أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بِكسرة خُبز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكِسرة قالت قرصٌ خبزته فلم تطب نفسى حتى آتيتُك بهذهِ الكسرة، فقال أما أنه أولُ طعام دخل فمَ أبيك منذُ ثلاثة أيام ما ضرّه من الدنيا ما فات وهُو سيّد الأَحياء والأموات .

وفى أفراد مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علىَّ واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات وحَط عشرَ خطيئاتٍ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل فى الأرض ملائكة سيَّاحِين يُبلغونى عن أمتى السلام فالحمدُ لله الذى جعلنا من أمّته ، فاحشُرنا اللهم على كتابه وسُنّته .

ضيّعت وقتكَ فانقضى فى غفلةٍ وَطويت فى طلب الخوادع أدهُرا
افهِمت عن هذا الزمانِ جوارَهُ فلقد أبانَ لك العظاتِ وكرّرا
عاينتَ ما ملأ الصدورَ مخافةً وكفاك ما عاينْته مَنْ أخْبرا

﴿ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

روى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت أتى الصريخُ أبا بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج من عِندنا، وإن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله، فولّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر فرَجع إلينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا جاءمعه وهو يقول تباركت يا ذا الجلالِ والإكرام .

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أمنّ الناس علىّ فى صَحبه وماله أبو بكر ولو كنتُ متّخذا خليلا غيرَ ربى عزّ وجل لاتخذت أبا بكرٍ خليلا، ولكن أخوّة الاسلام ومَودّته لا يبقى فى المسجد بابٌ إلا سُد إلا بابُ أبى بكر .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما لِأحدٍ عندنا يدٌ إلاّ وقد كافيناه ماخلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه اللهُ بها يومَ القيامة وما نفعنى مالُ أحـــد قط ما نفعنِى مالُ أبى بكر، فبكى أبو بكر وقال وهل أنا ومالى إلا لك يا رسولَ الله، وعن أبى الدرداء رضيَ الله عنه قال رآنى النبى صلى الله عليه وسلم

أمشى أمام أبى بكر، فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر .

وعنه أيضا قال كنتُ جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدا عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمّا صاحبكم فقد غامر فسلّم وقال إنّى كان بينى وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى علىّ فأقبلتُ إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل أثمّ أبو بكر قالوا لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله والله أنا كنت الظالم مرّتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبي مرتين فما أوذى بعدها وقد أنفرد أبو بكر رضى الله عنه بأن أفتى في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وقدّمه في الصلاة ونصّ عليه نصا خفيا بإقامته مكانه في الصلاة، ومما روى عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة النبيّ صلى الله عليه وسلم فأمرها أن

ترجعَ إليه فقالت أرأيتَ إنْ جئتُ ولم أرك كأنَّها تقولُ الموت قال إن لم تجديني فأْتِي أبا بكر ، أخرجاه فى الصحيحين .

واعلَم أنَّ خصالَ أبي بكر معلُومة منها الورَعُ والخوفُ من الله والزهدُ والبكاءُ والتواضعُ ، وأنه لما استُخلِف أصبح غَادِيا إلى السوق وكان يحلُب لِلْحيِّ أغنامَهم قبلَ الخلافة فلَّما بويع قالت جاريةٌ من الحيِّ الآن لا تحلُب لنا فقال بلى لأحلُبنَّها لكم وإنى لأرجو أن لا يُغيّرنى ما دَخلتُ فيه .

وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبى أىُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم أىُّ قال عمرُ وقال وخشيت أن أقول ثم من فيقول عثمان فقلت ثم أنت فقال ما أنا إلا رجل من المسلمين ، أخرجه البخارى .

وروى أنه لما قُبض أبو بكر الصديق رضى الله عنه وسُجِّيَ عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه مستعجلا مسترجعا حتى وقف على البيت الذى فيه أبو بكر فقال رحمك اللهُ يا أبا بكر فلقد كنتَ إلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سرّه وكنتَ أولَ القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدّهم لله يقينا

وأخوفهم لله وأعظمهم عناء فى دين الله عزّ وجــل وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسنهم صُحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجةً وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا، وأكرمهم عليه فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء ، صدّقت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كذّبه الناسُ وكنتَ عنده بمنزلة السمع والبصرِ وسمّاكَ اللهُ فى تنزيله صديقا فقال (والّذى جاء بالصّدق وصدّق به) ،وأعطيته حين بخلوا وقمتَ معه على المكارهِ حين قعدُوا وصحبته فى الشدّة أكرمَ الصُّحبة ثانى اثنين وصاحبه فى الغارِ والمنزّلِ عليه السكينةُ ورفيقه فى الهِجْرة، وخلَفْته فى دينِ الله وأمّته أحسنَ الخلافة حين ارتدّوا وقويت حين ضعفوا ولزمت مِنهاج رسوله ، كنتَ خليفته حقا لن تنازعَ ولن تضارعَ برِغمْ المنافقين وكبْت الحاسدين وقمت بالأمر حين فشلوا واتّبعوك فهدُوا، وكنتَ أخفضهم صوتا وأقلّهم كلاما وأصدقهم منطِقا وأبلغهمُ قولا وأشجعهم نفسا وأشرفهم عملا ، كنتَ للمؤمنين رحيما حين صاروا عليك عيالاً حملت أثقالَ ما عنه ضعُفوا ورعيت ما أهملوا وعلمت ما جهلوا وصبرْت إذ جزعوا وزاجعوا برأيك رشدهم فظفِروا ونالوا برأيك ما لم يحْتسبوا ، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنّ الناس عليه فى صُحبتك وذاتِ يدكِ وكنت كما قال ضعيفا

فى بدنك قويا فى أمر الله عزّ وجل متُواضعا فى نفسك عظيما عندَ الله عزّ وجل،جليلا فى أعين الناس كبيرا فى أنفسهم لم يكن لأحد فيكَ مغمَز ولا لقائل فيك مهمَز الضعيفُ الذّليل عندك قوىٌ عزيزٌ حتى تأخذَ بحقّه ، القريبُ والبعيد عندك فى ذلك سواء وأقربَ الناسِ عندك أطوعُهم لله وأتقاهم،شأنك الحقٌ والصدقُ والرفقُ،إعتدلَ بك الدين وقوِى بك الإيمان فسَبقْت والله سبْقا بعيدا وأتعبْت من بعدك إتعابا شديدا وَفزت بالخير فوزاً مُبينا ، فجَلّت عن البكاء وَعظُمت رزِيتّـك فى السماء هدّت مُصيبتُك الأنام فإن لله وَإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وَسلّمنا له أمْره وَاللهِ لن يُصاَبَ المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وَسلم بمثلك أبدا ، كُنت للدّين عزا وَحرزا وَ كهفا فألحقك الله بنبيك صلى الله عليه وَسلم وَلا حرمنا أجرك وَلا أضلّنا بعدك .

حُبِّب الفقرُ إليـه إنه سُؤْد رد وَهُــو بذاك الفقر يَغنى

وَشريف القوم من يبقى لهم شرف الدّ كروَخل المال يغنى

يهدم الأموال من جُـدرانها أبدا ما دامت العَلياء تُبنى

﴿ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

روَى عن أنَس بن مالك رضى الله عنه، قال خرج عمر متقلِّدا بالسيف فلقيه رجلٌ من بنى زُهرة قال أين تعمدُ يا عُمر قال أريد أن أقتُلَ محمدا، قال وَكيف تأمنُ فى بنى هاشم وَبنى زهرة وَقد قتلت محمداً فقال عمر ما أراك إلا قد صَبأت وَتركتَ دينك الذى أنتَ عليه، فمشى عمرُ ذامراً حتى أتاهما وَعندهما رجلٌ من المهاجرين يقال له خبَّاب فلما سمع خبَّاب حسّ عمرَ توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ماهذه الهَيْمنة التى سمعتُها عندكم، قال فكانوا يقرؤن طه فقالا ما عَدى حديثا تحدَّثناه بيننا قال فَلعلَّكما قد صبأْتُمَا فقال له ختنه أرأيت يا عمرُ إن كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على خِتْنه فوطِئه وَطْئا شديدا، فجاءت أختُه فَدفعتْه عن زوجها فنفحَها نفْحَةً بيده فدَمى وجْهها فقالت وهىَ غضْبى يا عمرُ إنْ كان الحقُ فى غير دينك فأنا أشْهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأشهد أنَّ محمداً رَسولُ الله، فلمَّا يئس عُمر قال أعْطُونى هذا الذى عندكم فأقرأهُ فقالت أخته إنك رِجْس ولا يمسُّه إلاَّ المطهَّرون فقُم فاغتسل أوْ توضَّأ فقام فتوضَّأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انْتهى إلى قوله إنَّنى أنا اللهُ لا إلهَ إلاَّ أنا فاعْبدْنى وأقم الصَّلاة لِذكْرى، فقَال عُمر دلُّونى على محمد فلمَّا سمِع خبَّابُ قولَ عُمر

خرج من البيت فقال ابشر يا عمرُ فإني أرجو أن تكونَ دعوةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس، اللّهم أعِز الإسلام بعُمر ابن الخطاب أوْ بعمْرو بن هشام قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصْل الصَّفا فانطلق عُمر حتى أتى الدارَ ، قال وعلى باب الدار حمزةُ وطلحةُ وأناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجلَ القوم من عُمر قال حمزةُ نعمَ فهذا عُمر فإن يرد الله بعمر خيراً يُسلم ويتّبع النبيّ صلى الله عليه وسلم، وإن يُرد غير ذلك يكُن قتله علينا هيّنا قال والنبيُّ صلى الله عليه وسلم داخلٌ يوحَى إليه فخرج رسُول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السَّيف، وقال ما أنت مُنتهيا يا عمرُ حتى يُنزل اللهُ بك ما أنْزل بالوليد بن المغيرة ثم قال اللّهم أهدِ عمرَ بن الخطاب اللّهم أعزّ الدّينَ بعُمر بن الخطاب، فقال عمرَ أشهد أنك رسولُ الله فأسْلم وقال اخرُج يا رسولَ الله، قال ابنُ عباس رضيَ اللهُ عنهما لمّا أسلم عمرُ كبّر أهلُ الدار تكبيرة سَمعها أهلُ المسجد، وقال يا رسولَ الله ألسْنا على الحقّ إن مِتْنا وإن حَيينا قال بلى والذي نفسي بيده قال ففِيم الاختفاء والذي بعثك بالحقّ لنخرجنّ قال عمرُ فخرجنا في صفّين حمزةُ في إحداهما وأنا في الآخرَ له كَديدٌ ككديد الطّحين حتى دخلْنا المسجدَ فنظرتْ قريشٌ إلى حمزةَ وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلُها قال

فسمّانى رسولُ الله صلى الله عليه وَسلم يومئذ الفاروق قال بن مسعود ما زلنا أعِزّةً مُنذُ أسلم عمرُ .

وَفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وَسلم قال بينا أنا نائمٌ رَأيتُني فى الجنةفإذا إمْرأةٌ تتوضّأُ إلى جانبِ قصرٍ فقُلت لِمَنَ هذا القصرُ قالوا لِعُمر وذكرْت غَيْرته فولَّيتُ مدبرا فبكى عمر وَقال أعَليْك أغارُ يا رسول الله .

وَفيهما من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وَسلم أنه قال لِعُمر وَالذى نفسى بيده ما لِقيَك الشيطان قط سالكا فجّا إلا سلَك فجّا غير فجّك ، وَفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وَسلم أنه قال إنّ اللهَ جعلَ الحقّ على لسانِ عمر .

وَفى حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وَسلم أنه قال اتّقوا غضبَ عمر فإن اللهَ يغضب إذا غضب ،وَقالت عائشةُ رضى الله عنها إذا شِئتمُ أنْ يطيبَ المجلسُ فعليكم بذكرِ عمر ، قَويت شدّة عمرَ فى الدّين فصلبتُ عزائمُهُ وَاختال فى مشيته وَقال عِند خرُوجه هَا أنا أخْرُج إلى الهجرةِ فمَن أراد لِقائى فلْيَلْقنى فى بطنِ هذا الوادى .

نَبذ الدّنيا مِن وراء ظهره فتخفّف من أثقالِها لأجل السِّباق.
وكان يخطب وفى إزارِه اثنتا عشرة رُقْعة ، لما ولى الخلافة شمّر عن ساقِ جدّه وكظم عَلَى هوى نفْسِه وحمــل فى الله فوقَ طاقتِه فى سبيل رضا ربّه :

مُتيقِّظُ العزَمات مذ نهضت به   عزَماته نحو العُلى لم يقْعِدِ
ويكادُ من نورِ البصِيرة أن يرى   فى يومه فِعل العواقبِ فى غدِ

رأى يوما صَبيّة فى السوقِ والرّيح تلقِيها لِضعفها فقال مَن يعرفُ هذه فقال ابنه عبد الله هذه إحْدى بناتِك ، قال أَىُّ بناتى قال بِنْت عبدالله بن عمر قال فما بلَغ بها ما أَرَى قال إمْسا كُك ما عندكَ ، فقال إمْسا كِي مَا عِندى يَمنعُك أنَ تطلب لِبناتِك ما يطلبه الناسُ أمَا والله مالكَ عِندى إلاّ سَهمُك مع المسلمين وسِعك أو عجزَ عنك بينْى وبينكُم كتابُ الله .

ورآه طلحةُ ليلةَ يدخُل بيْتا فلما أَصبح دخل طلحةُ ذلك البيْت فإذا عجوزٌ عمياء مُقعَدة فقال ما صنع عِندك الرجلُ البارحة ، فقالت أنه يتعاهدُنى مُنذ كذا وَكذا ويأتينى بما يُصلحنى ويخرج عنِى الأذَى فقال ثكلَتك أمُّك يا طلحة أعثرَاتُ عمر تُتبِّع وكان يقول لوْ مَات جدْى بِطف الفرات لخشِيت أنْ يُحاسِب اللهُ عمر .

وفي الصحيحين أنه لما توفى قال على رضى الله عنه ما خلَّفت أحدا أحبُّ إلى أَنْ ألقي اللهَ بمثل عملِه مِنْك ما نفِذت فضائلُ عمرَ وإنه حَسنةٌ مِن حسنات أبى بكر رضيَ الله عنهما :

كلَّ يوم فخرٌ ومجدٌ يشاد   وطريف مِن المُنى وتلادَ
وكرامٍ من المساعى جسامٌ   عجزَتِ عن صِعابها الحُسَّاد
هِمَم دُونها الكواكِبُ تتلو   عزَماتٍ للِنَّار فيها اتقاد
وكُلّما قيلْ قد دَجى ليلُ خطبٍ   فلِرأى الفاروق فيه زِنادُ
مُغرَم بالمكارم الغرّ لما   ضمّ أبكارَها إليه الوِلادُ
شاهرُ العين بالعزائم يقظا   نَ وقد قيَّد العيونَ الرُّقَاد

﴿ عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من أول اللَّيل إلى أن طلعَ الفجر رافعا يدَيْه يدْعو لِعُثمان بن عفان يقول اللَّهم عثمان رَضِيتُ عنه فارْض عنه .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال أَشْرفَ عثمانُ مِنِ القصرِ وهو محصُورٌ فقال أَنشُد باللهِ من شهِد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُد إذ أهتزَّ الجبلُ فركله بِقدمِه ثم قال اسْكن أحد

ليس عليك إلاّ نبيّ أو صِدّيق أو شهيد وأنا معه، قال فانتشد له رجالٌ قال أنشدُ بالله من شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة الرّضوان إذ بعثنى إلى المشركين أهل مكة فقال هذه يدي وهذه يدُ عثمانَ فبايعَ لى فانتشد له رجالٌ، قال أنشدُ بالله من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يُوسّع لنا بهــذا البيت فى المسجد ببيت له فى الجنة فابتعته من مالي فوسّعت به في المسجد فانتشد له رجالٌ، قال وأنتشد بالله من شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ جيش العُسْرة قال من يُنفقَ اليوم نفقة مُتقبلّة فجهزتُ نصف الجيش من مالى قال فانتشد له رجالٌ، قال وأنتشد بالله من شهد بئر دُومَة يُباع ماؤُها ابن السّبيل فابتعتها من مالى وأبحتُها ابنَ السّبيل فانتشدَ له رجالٌ .

وعن عبدِ الرحمن بن سُمرة رضىَ اللهُ عنه قال جاء عثمانُ بألف دينار فى ثوبه حين جهّز النبى صلى الله عليه وسلم جيش العُسرة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يُقلّبها ويقول ما ضرّ عثمانَ مافعلَ بعْدَ هذا، وقال عبدُ الرحمن بن خبّاب شهدْت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حثّ على جيش العُسْرة فقام عثمانُ فقال يا رسول الله علىّ مائةُ بعير بأحْلاسها وأقتابِها فى سبيل الله، ثم حضّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول ما على عثمانَ ما عمِل بعدَ اليوم وقال شرحْبيل

بن مُسلم كان عثمانُ يُطعِم النَّاس طعامَ الإمارة ويدخُل بيتَه فيأ كلُ الخل والزّيت ، وقالت امرأتُه حين أطافوا به يريدون قتْله أيقتلُوه أو يترُكُوه فإنه يحيِّ اللَّيل فى ركعةٍ يجْمع فيها القرآنَ .

وقال بنُ عمر جاء علىٌّ إلى عثمان رضى الله عنهم يومَ الدّار وقد أغلق البابَ ومعه الحسنُ بنُ على وعليه سِلاحُه فقال الحسنُ ادْخُل إلى أمير المؤمنين فأقرِئه السلام وقل إنمّا جِئت لِنُصرتك فمُرْنى بأمْرك، فدخل الحسنُ ثم خرج فقال لأبيه إن أميرَ المؤمنين يُقرِئك السلام ويقول لك لا حاجةَ لى بقتالٍ وإهْراق الدّماء ،وقال فنزَع علىٌّ عمامةً سوداء ورَمي بها بين يدى الباب وَجعل يُنادى (ذلك ليَعْلَمَ أنى لَمْ أخُنْه بالْغيْبِ وَأن الله لا يَهدى كيْدَ الخَائنين) وَأحرقُوا البابَ فقال عثمانُ ماعندهم بعد هذا بقِيَّة فدخلوا فقتلوه ، وَكان قد رأى رسولَ الله صلى الله عليه وَسلم فى منامه ليلةَ قتْلِه وَهو يقول أفطِرْ عندنا الليلةَ فأصْبح صائماً ، فلما دخلوا عليه ضرَبه رجلٌ بالسيف فقطع يَده فقال أمَا وَالله إنها لأوّل كَفٍّ خطَّت الفَضْلَ .

لقد أخرج عثمانُ المالَ راضيا فبات عنه الرسولُ صلى الله عليه وَسلم راضيا .

تنبهَّ أيها الظلومُ من رُقادِك إلى كم تنومُ حصِّل شيئا ترْضى به

الخصوم قتلتك هموم الدنيا وبئس الهموم انجلى من الهوى كل يوم عروسا وهاجم الموت قد تهيأ للهجوم .

يا خليلي أسعدانى على الوجـــــد فقد يسعد الحميم الحميم
وقفا بى على الديار فعندي مقعد من سؤلها ومقيم

﴿على بن أبى طالب رضى الله عنه﴾

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ،قال فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال ابن على ابن أبى طالب فقيل هو يشتكي عينيه فدعاه فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

وقال انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتينا

الكعبة ، فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إجلس وصعِد عَلَى مِنْكبي فذهبْت لِأَنْهض به فرأى منى ضَعْفا فنزل وجلس نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم وقال إصعد عَلَى مِنكبي فصعِدْت عَلَى مِنكبه ، قَال فنهض بى قال وإنه يُخيَّل لى أَنّى لو شِئتُ لنلت أُفُقَ السماء حتى صعِدتُ علي البيت وعليه تمثالُ صفر أو نحاس فجعلْت أُزاوله عن يمينه وعن شِمَاله وبينَ يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنْتُ منه ، قَال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذِف به فقذفت به فتكسَّر كما تتكسَّر القوارِيرُ ، ثم نزلتُ فانطلقْت أَنَا وَرسول الله صلى الله عليه وسلم نستَبق حتى توَارينَا بالبيوت خشْيةَ أن يَلقَانَا أحدٌ من الناس، وكان الخَلْق يحتاجونَ إلى عِلْم عليٍّ رضىَ الله عنه ، قال عمر رضىَ الله عنه آهِ من مُعضِلةٍ ليْس فيها أَبُو الحسن .

ولما ولىَ الخلافةَ لم يتغيَّر عن الزُّهد فى الدنيا وكان أحمدُ ابن حنبل رحمه الله يقول إن عايًا ما زَانته الخلافةُ بلْ هُو زَانهاَ .

وَروى الكلْبيُّ عن أبى صالح قال معاويةُ رضى اللهُ عنه لضرار ابنِ ضُمْرَةَ صِف لى عليا ، فقال أو تُعفِينى قال بل تصِفُه قال أو تعفِينى قال لا أُعْفِيك ، قال أمَّا إذا ولا بدَّ فإنه والله كان بعيدَ المدَى شديدَ القُوى يقول فَصْلاً ويحكم عَدْلا يتفجَّر العِلم من جوانبه وتنطِق

الحكمةَ مِن نواحيه يتوحّشُ من الدُّنيا وزهْرتها ويستأنِس بالليل وظُلْمته كان واللهِ غزيرَ الدَمعة طويل الفِكْرة يُقلّب كفه ويُخاطِب نفْسهُ يعجبه من اللباس ما خشن ، كان والله كأحَدِنا يُحيينا إذا سألْناه ويبتدِينا إذا أتيْناه ويأتينا إذا دَعوْناه ونحنُ والله معَ تقريبه لنا وقُربه منا لا نكلمه لِهيْبته ولا نبْتديه لِعظمته ، يُعظّم أهـلَ الدِّين ويحب المساكينَ لاَ يَطمع القويُّ فى باطله ولا ييْأس الضّعيفُ مِن عدْله ، وأشهدُ بالله لرأيته فى بعض مواقفِه وقد أرْخى الليلُ سدوله وغارت نجومه وقد مَثُل فى محرابه قابضا على لحْيته يتململ تَململَ السَّليم ويبكى بكاء الحزين ، وكأنى أسمعُه وهو يقول يا دُنيا ألِى تعرّضتِ أمْ لى تَشوّقت هيهات هيْهات غيْرى غَيْرى قد بتَتُّكِ ثلاثا لا رجعة لى فيك فعُمْرك قصير وعيْشك حقير وخطرُك كبير ، آه من قِلة الزّاد وبعد السَّفر ووحشة الطّريق ، قال فذَرَفَت عيونُ معاوية فما يملكها وهو ينَشِّفها بكُمه وقد اختنق القومُ بالبكاء فقال معاويةُ رحم اللهُ أبا الحسن كانَ والله كذلك فكيْف حزنك عليه باضرارُ قال حزنُ من ذُبِح ولدُها فى حجرِها فلا ترقأ عَبْرتُها ولا تسكُن حسْرتها .

أهْوى عليًّا وإيمانى محبتُه ... كمْ مُشرك دمعُه من سيفه وكفا
إن كُنتَ ويحك لم تسمع مناقبه ... فاسمع مناقبه مِن (هَلْ أتى) وكَفى

وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه

وسلم جَلَّل الحسنَ والحسينَ وعلياً وفاطمة كِساءً ثم قال اللّهم هؤلاء أهلُ بيتى وخاصَّتى أذهِب عنهمُ الرجْس وطهِّرهم تطهيرا ، فقالت أمُّ سلمة وأنا معهم قال إنك إلى خير ، وكان أحمدُ بن حنبل رحمه الله إذا سُئل عن علىّ وأهلِ بيته قال أهلُ بيتٍ لا يُقاس بهم أحدٌ .

﴿ عائشة وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين ﴾

قال الله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبَةٌ منكم) أجمع المفسرون على أن هذه الآية وما يتعلَّق بما بعْدها نزلت فى قصَّة عائشة رضىَ اللهُ عنها والإفكُ الكذب والعُصْبة الجماعة وفى المخاطب بقوله (لا تحسَبُوه شرا لكم بلْ هوَ خيرٌ لكم) قولان أحدُهما عائشةُ وصَفْوان بنُ المعطَّل والثانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشةُ رضىَ الله عنهما ، والمعنى أنكم تُؤجَرُون فيه والأجرُ يُعطِى المكروهُ وفى هذا تسْليةٌ للانسان فيما يُصيبه من المكارهِ وليعلم أنه ما سلِم أحدٌ من شرّ الناس (لكلِّ امْرىءٍ منهم) يَعْنى من العُصْبة الكاذبة ما اكْتسبَ من الإثم أىْ من جزاء ما اجترَح من الكذِب فذنبه على قدرخوضه فيه ، واعْلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقدِّم عائشةَ رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتُك فى المنام ورجلٌ يحمِلك فى سَرقةٍ من حريرٍ فيقولُ هذه

امرأتك فاقول إن يك هذا من عند الله يمضه ، وقد كان عليه الصلاة والسلام تزوج خديجة رضى الله عنها أول من تزوج فولدت له القاسم وعبد الله وهو الطيب والطاهر ولد فى الاسلام فلقب بالقبين ، ومن الإناث زينب ورقيــة وأم كلثوم وفاطمة ولم يتزوج على خديجة حتى ماتت ، فتزوج سودة ثم عائشة وتزوج حفصة فطلقها تطليقة فقال له جبريل إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة فراجعها .

وتزوج أم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجويرية بنت الحارث وصفية بنت حيى وميمونة بنت الحارث ، ولما تعبت خديجة فى تربية الأولاد أتاه جبريل فقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، ولما خطب زينب بنت جحش قالت ما أنا صانعة شيئا حتى يأمرنى به ربى فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن فى نكاحها فجاء الرسول فدخل عليها وكانت صوامة قوامة تعمل بيدها وتتصدق ، وكان آثر الكل عنده عائشة رضى الله عنها لأنها جمعت الجمال والكمال فى الذكاء والفطنة فى العلم والفصاحة فبنى بها وهى بنت تسع سنين .

وفي الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رَضيَ اللهُ عنه أنه أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال يا رسولَ الله أيُّ الناس أَحبُّ إليك قال عائشةُ ، قال من الرِّجال قال أبُوها قال ثم مَن قال عُمر وفيهما من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يسأَلُ في مرضه الذى مات فيه أيْن أنا غدا أَين أنا غَدا يُريد يومَ عائشةَ فأذِن له أزواجُه يكونُ حيثُ شاء فكان فى بيتِ عائشةَ حتى مات عِندها ، وفى إفراد البُخارى من حديث عائشةَ رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لِأمٍّ سلمة لا تُؤذِيني في عائشةَ فإنه واللهِ ما نزل عليَّ الوحيُ وأنا فى لحاف امرأةٍ مِنكُنَّ غيرِها .

وعن أبي سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس وهو يُكلّم رجلا ، فقلت يا رسول الله رأيتُك واضعا يدك على معرفة فرس دِحْيَةَ الكلبي وأنت تكلمه قال ورأيت قلتُ نعمَ قال ذاك جبريل وهو يُقرِئكِ السلام قلتُ وعليه السلام ، وقال أبو موسى ما أُشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثٌ فسألنا عائشةَ رضي الله عنها إلا وَجدْنا عِندها منه عِلما وقال عُروةُ ما رأيتُ أحداً من الناس أعْلَم

بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة ، وكانت غزيرة الكرم قسمت يوما سبعين ألفا وهى ترقع درعها وكانت كثيرة التعبد .

وعن ذكوان أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة قال فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت هذا ابن عباس يستأذن ، فقال لها ابن أخيها هذا عبد الله بن عباس وهى تموت فقالت دعنى من ابن عباس قال يا أمتاه إن ابن عباس من صالحى بيتك يسلم عليك ويودعك ، فقالت إئذن له إن شئت فأذن له فلما جلس قال أبشرى ما بينك وبين أن تلقى محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيبا ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنزل وأصبح ليس معهم ماء فأنزل الله تعالى أن تيمموا صعيدا طيبا فكان ذلك فى سببك ، وأنزل براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا تتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار ، فقالت دعنى منك يا ابن عباس والذى نفسى بيده لوددت أنى كنت نسيا منسيا .

﴿ رمى عائشة بالإفك ﴾

قال الله تعالى (والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) الذى تولى كبره ابن أبى معظمه ، لقد برأها الله حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، وذكر عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت فأقرع بيننا فى غزاة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ، ونقل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرى فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فحملوا هودجى فطرحوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه ، قالت وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش

وجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب فيمَّمتُ منزلي الذي كنتُ فيه وظننتُ أنَّ القومَ سيفقدونني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني عيني فنمتُ وكان صفوانُ بن المعطَّل السُّلمي ثم الذَّكواني قد عرَّس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان رآني قبلَ أنْ يُضرب الحجاب ، فاستيقظتُ باسترجاعه فخمَّرت وجهي بجلبابي والله ما كلَّمني كلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطِيء على يدها فركبتُها فأطلق يقودُ بي الرَّاحلة حتى أتينا الجيشَ ، بعد ما نزلوا مُوغرين في نحر الظَّهيرة . فهلكَ من هلكَ في شأني وكان الَّذي تولىَّ كبْره منهم عبد الله بنُ أبي بنُ سُلول ، فقَدِمتُ المدينةَ فاشتكيتُ حين قدِمْنا شهرا والناسُ يفيضون في قول أهْل الإفك وأنا لا أشعُر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرِف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللُّطْف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُسلِّم ثم يقول كيف تيكُم فذاك يريبني ولا أشعر بالشرَّ حتى خرجْت بعد ما نقِهت وخرجتْ معي أمُّ مِسطح قبل المناصع وهو متبرَّزُنا ولا نخرج إلاَّ ليلاً إلى الليل وذاك قبلَ أن نتَّخذ الكنفَ قريباً من بيوتنا ، وأمرُنا أمرُ العرب الأول في التَّنزُّه وكُنا نتأذَّى بالكُنف عِند بيُوتنا فانطلقت

أنا وأمُّ مِسْطَح وهي بنتُ أبي رُهم بنُ المطلب أمُّها بنتُ صخر ابن عامر خالة أبي بكر الصّديق وابنها مسطح بن أُثاثه ، فأقبلْتُ أنا وبنت أبي رُهم قِبلَ بيتي حين فرغْنا من شأنِنا فعثرتْ أمُّ مِسطح في مُرْطها فقالت تعِس مِسطحٌ ، فقلت لها بئس ما قلتِ تسبّين رجلا قد شهِد بدراً قالت أيْ هَنْتاه أوَ لَم تسمعِي ما قال ، قلتُ وما قال ، فأخبرَتْني بقول أهل الإفكِ فازدَدْتُ مرَضا إلى مرضي فلمَّا رجعت إلى بيتي فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تِيكُم ، قلت أتأذنُ لي أن آتي أبويَّ قالت وأنا حينئذ أريدُ أن أتيقَّن الخبر من قبلهما فأذن لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبويَّ فقلت لأُمّي يا أمتَاه ما يتحدّث الناس قالت أيْ بنيَّة هوِّني عليك فوالله لَقَلَّما كانت امرأةٌ قطوضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلاّ أكْثرن عليها ، قالت قلت سبحان الله أوقد تحدّث الناس بهذا قالت فبكَيْتُ تلك اللّيلةَ لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكْتحِل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بنَ أبي طالب وأسامة بن زيد حِين استلَبَث الوَحي يستشيرهما في فراقِ أهله ، قالت فأمَّا أسامةُ بن زيد فأشارَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالَّذي يعلَم من براءةِ أهله وبالَّذي يعلم في نفسه لهم من الودِّ فقالَ يا رسول الله هم أهلُك ولا نعلم إلاّ خيرا .

وأما علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه فقال لم يُضيّق اللهُ عليك والنساء سواها كثيرٌ وإنْ تسأل الجاريةَ تصدُقك، قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرةَ فقال أىْ بريرةُ هل رأيتِ من شىء يُريبك من عائشةَ، قالت له بريرةُ والذى بعثك بالحق ما رأيتُ عليها أمرًا قط أغمصه أكثر من أنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّن تنامُ عن عجين أهلها فتأتى الداجنُ فتأكلهُ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستَعْذر من عبدِ الله بن أبى فقال وهو على المنبر يا معشرَ المسلمين من يعْذرنى من رجل قد بلغنى أذاهُ فى أهل بيتى فوالله ما علِمْت على أهلى إلاّ خيراً ولقد ذكرُوا رَجُلا ما علمت عليه إلاَّ خيراً وما كانَ يدخلُ على أهلى إلا معى فقام سعدُ بنُ معاذ الأنصارى فقال أنا أعذِرك منه يارسولَ الله إنْ كان معى من الأوس ضربْنا عنقه وإنْ كان معى من إخواننا من الخزرج فأمرْتنا فعلْنا أمرك قالت فقام سعدُ بن عبادة وهو سيد الخزْرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملتْه الحمِيّة فقال لِسعد بن مُعاذ لعمْر واللهِ لا تَقتلُه ولا تَقْدِر على قتله فقام أُسيدُ بن حُضَر وهو بنُ عم سعد بن مُعاذ فقال لسعد بنِ عبادة كذبْتَ لعمر والله لنقتلُنَّه فإنك مُنافق تجُادلُ عن المنافقين فثار الحيَّان الأوسُ والخزرج حتى همُّوا أنْ يقتتِلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ علِى المنبر فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخفِّضهُم حتى سكنوا وسكت قالت وبكيتُ يومى ذلك

لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى، قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت علىّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلّم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى بشىء فتشهّد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال أمّا بعد يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرّئك الله عز وجل، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إنى والله قد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم وصدّقتم به، ولئن قلت لكم إنى بريئة لا تصدّقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بالأمر والله عزّ وجلّ يعلم أنى بريئة لتصدّقنى، وإنى والله ما أجد

لى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون .

قالت ثم تحوّلتُ فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله عز وجل مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظنّ أن ينزل في شأني وحيٌ يتلى ولشأني كان أحقرُ في نفسي من أن يتكلّم الله عزّ وجلّ بأمر يتلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرّئني الله عزّ وجل بها، قالت فوالله ما رام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من أهل بيته أحدٌ حتى أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدّرُ منه مثلُ الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت فلمّا سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانَ أولَ كلمة تكلّم بها رسولُ الله صلي الله عليه وسلم أن قال أبشري يا عائشةُ أمّا اللهُ عز وجل فقد برّأكِ، قالت لى أمّي قومي إليه فقلتُ والله لا أقومُ إليه ولا أحمد إلاّ الله عزّ وجل، هو الّذي أنزل براءتي فأنزل اللهُ عز وجل « إنّ الذين جاؤا بالإفك عُصْبة منكم » عشرَ آياتٍ، قالت فقال أبو بكر رضى الله عنه وكان يُنفق

على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله عز وجل (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة.. إلى قوله تعالى ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري ما علمت أو ما رأيت أو ما بلغك، قالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة وهي التي كانت تسا ميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله عز وجل بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. هذا حديث متفق على صحته.

﴿ فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) قال ابن عباس شهد له بالرسالة والذين معه يعني أصحابه أشداء جمع شديد الرحماء جمع رحيم، والمعنى أنهم يغلظون على الكفار ويتوادون بينهم تراهم ركعا سجدا يصف كثرة صلاتهم يبتغون فضلا من الله وهو الجنة ورضوانا يعني رضى الله عنهم سيماهم أي علامتهم

فى وجوههم من أثر السجود، وهل هذه العلامة فى الدنيا أو فى الآخرة فى ذلك قولان أحدهما فى الدنيا وهى السمت الحسن والخشوع والوقار والتواضع، وقيل نداء الطهور وأثر التراب على الجباه وقيل اصفرار الوجه من أثر السهر .

القول الثانى فى الآخرة وهى أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشد بياضا يوم القيامة، وقيل هى أنهم يبعثون غرا محجلين من أثر الطهور ذلك مثلهم أى صفاتهم، والمعنى أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى التوراة هذا ومثلهم فى الإنجيل أى هذا المثل المذكور فى التوراة هو مثلهم فى الإنجيل، وقيل إن المتقدم مثلهم فى التوراة وإمّا مثلهم فى الإنجيل فهو كزرع أخرج شطأه أى إفراخه فآزره أى ساواه وصار مثله فاستغلظ أى غلظ فاستوى على سوقه وهو جمع ساق يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وهذا مثل ضربه الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم إذ أخرج وحده فأيده بأصحابه كما قوّى الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى كثرت وغلظت واستحكمت، روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله كزرع قال الزرع محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار، أى بقول عمر رضى الله عنه لأهل مكة لا يعبد الله عز وجل بعد يومنا هذا سرا قال مالك

ابنُ أنس رحمه الله من أصْبح وفى قلبه غيظٌ على أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابتْه هذه الآيةُ .

وأعْلَم أن فضائل الصَّحابةِ رضى الله عنهم على جميع صَحابة الأنبياء ظاهِرةٌ وكان لِسَبْقهم سببان ، أحدُهما إصلاحٌ مع قوَّة اليقين والثانى بذلُ النُّفوس فى سبيل الله،وقد عُلِم ما جرى لموسى عليه السلام مع أصحابه، وعُلِم صبر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استَشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم بدر ، قال المِقْداد لو ضربت بطُونها حتى تبلغ برْكَ الغمادِ لتابعْناك، ولا نقُول كما قال قوم موسى اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا ، قال بن مسعود رضى الله عنه إنَّ اللهَ عز وجل نظر فى قلوب العِباد فوجد قَلْبَ محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصْطفاه لِنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العبَاد بعد قَلْب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قُلُوب أصحابه فوَجدها خيرَ قلوبِ العباد فجعلهم وزَراء نبيِّه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة أبرُّها قُلوبا وأعمقُها عِلْما وأقلُّها تَكلُّفا قومٌ اختارهم الله عز وجل لِصُحبة نبيّه ونقْل دينه .

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال لا تسبُّوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه.

قال الله تعالى (ولا تطرُدِ الَّذين يدعون ربَّهم بالْغَداة والعشِيِّ) روى مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال نزلت هذه الآية فىَّ وفى ابن مسعود وصهيب وخبَّابٍ وبلال وفى أناس مِن ضُعفاء المؤمنين، فلمَّا رأوْهم حقَّروهم فخلَوْا به فقالوا إن وفود العرب تأتيك فنستحى أنْ ترانا العربُ قعودا معَ هذه الأَعْبُدِ فإذا جئناك فأَقمْهم عنَّا، قال نعم قالوا فاكْتُبْ لنا عليك كِتابا فدعا بالصَّحيفة ودعَا عليًّا ليكتب ونحن قعود فى ناحية إذ نزل جبريلُ عليه السلام فقال (ولا تطرُدْ الذين يدعُون ربَّهم بالغداة والعَشِيِّ يريدُون وجهَه) الآيات قال فكنا بعد ذلك نَقْعُد مع النبى صلى الله عليه وسلم فإذا بلغْنَا الساعة التى كان يقومُ فيها، قمْنا وتركْناه وإلا صَبرَ أبدا حتى نقوم قوله (يريدون وجْهه) أى يريدونه بأعمالهم كانوا يَصْبرون على المجاعة ويخلصون الطَّاعة ولا يُضيِّعون ساعة فيا فَخْرهم إذا قامت السَّاعةُ.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ إمَّا إزارٌ وإمَّا كساء قد ربطوها فى أعناقهم

فمنها ما يبلغ نصف السّاقين ومنهـــا ما يبلغُ الـكْعبين فيجمعُه بيده كراهية أن تُرى عورته، رواه البخارى، وأقبل مصعب بن عُمير يوما إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعليه قِطعةٌ من نمِرة قد وصلَها باهاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت هذا وما بمكة فتى أنعـم عِند أبويه منه، ثم أخْرجَهُ من ذلك الرّغبـةُ فى حُبّ اللهِ ورسُوله، ولما كان يوم أحُد كان معه لواء المهاجرين فضَربه ابن قمِئة فقَطع يدَه ومصعب يقول:

وما محمّد إلا رسولٌ وأخذ اللواء بيده اليُسرى فقطعها فجثى على اللّواء وهو يقول وما محمد إلا رسولٌ فقتل ولم يوجد له كفنٌ إلا نَمرة كانوا إذا وضعُوها على رأسِه خرجت رِجلاه فجعلوا على رجليه شيئا من الإذْخرِ

لله دَرُّ أُناسٍ أخْلصـوا عمَـلا
على اليقين ودَانوا بالّذى أمِرُوا

أوْلاهم نِعماً فازدادَ شُكرُهم
ثمّ ابتلاهم فأرْضوَهُ بمـا صبروا

وقَوْلَه ثم وافوه بمـا عمِلوا
وإنّه سيُوفّيهـــــــم إذا نشِروا

﴿ مجالس الصحابة رضى الله عنهم ﴾

جلس عبدُ الله بنُ أبى أوفى مُصيخا إلى ما يقول الرّسول صلى الله عليه وسلم ويقرِّرُه من أصول الدين وفروعِه ، والصّحابة كلٌ من حضر منهم مُصيخا لسماع ما يقوله الرسولُ الكريمُ وكلٌ منهم على حالٍ من الأهتمام والفهم لِكل صغيرةٍ وكبيرة فهُنا منبع الاسْلام ومَناط التُّقى والصَّلاح وإنها لَفُرصَة تفيضُ فيها الخيراتُ وتُقْبل الأعمالُ وتُستَجاب الدَّعواتُ .

وإنّها لفرصةٌ يتمتع فيها السعيدُ بالنَّظر إلى هذا الوجهِ الشَّريف فكأنَّما يرى نُورَ الله فى الأرض ورحمته فى النَّاس وإشراقَهُ على الوجُود ، وما كان أحدٌ من الجالسين يرى أسعدَ منه فى هذا الوجود ولا أقدرَ على امتِلاك نفسِه والسَّيطرة على عواطِفِه منه فى الوقت الذى بلغَتْ فيه روحُه مبلغا مِن السُّمو والرِّفعة .

وما كان أحدٌ من الجالسين يُحب أن ينقضىَ هذا الوقتُ وإنَّما كلٌ منهم يتمنى أن يطولَ الوقتُ وتمتدَّ السَّاعات ، فإنهم لا يكادُون يشعرُون بمُضىِّ الزَّمن ولا يحسبون أنَّهم فى ذلك العالَم المكروبِ ، فالأدب مُجسّما والحب متبادَلا والاحترامُ مُتوفّراً والإخلاصُ يَفيض

به كلُّ قلب والطُّهر يعمِّر كلَّ فؤاد فمجالسُهم تُبسَط فيها مسائلُ العلم وتُنشَر فيها صحَائفُ المعرفةِ فتنفتح وتُعرضَ التعاليمُ الدّينيةُ ويتناولُها كلُّ من فى المجلس بالنِّقاش الهَادى والبحثِ الرَّصين فيجْلو غامضُها وتنكشف نواحيها ويبين ما انبهَم منها تدورُ الأحاديثُ مُستفيضة جذَّابة فى الدِّين والسِّياسة والاجْتماع على أتمِّ ما يكون التُّضج الفِكرى والنَّظرات السَّديدةُ والآراء القويمة حولَ المسلمين ومصالحِهم حاضرِهم ومُستقبلِهم والصَّحابة فى حِرْصٍ على ما يُفـوِّه به الرسولُ الكريم فهُم حفَظَة دينه وشريعته يستوضحونه خفيَّ التعاليم ومُجْملَ الآيات وتفْصيلها وكلٌّ منهم سعيدٌ حينما يحسُّ هذا الإحْساس ويُفكِّر هذا التفكيرَ راضيا بما قسم الله له قنُوعا بما يُقيم أوَدَه وإذا انصرفوا انصرفوا عائِدين برُوح جديدةٍ وعزْم جديد كلٌّ منهم يوَد من صميم قلبه أن يكونَ المصلحَ الأوَّل والداعى إلى الله لِينالَ فضل السبْق وليُرضِيَ اللهَ ورسولَه وما أجْملَ المنافسةَ فى الخير إنها تُعمر الخراب وتُصْلح وتبْنى على الدوام وتصل ما بين القلوبِ بعضِها ببعْض فتحْيا مُتآلِفة مُتَّحدة مُتعاونة كلٌّ يرجو الخيرَ لأخيه ويُحب ما يحبُّ لنفسه ويتمنى له السعادة والرَّفاهية ويؤثره على نفسه بالخير وهذه روح الإسلام تبعث فيهم الصبْر والجَلَد وتوضح لهم تعاليمَ الدين .

خير القرون الرعيل الأول

قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خيرُ أمتى القرنُ الذينَ يلونى ثمَّ الذينَ يلونهمْ ثم الذينَ يلونهم ثم يجيء قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدهمْ يمينَهُ ويمينُه شهادتَهُ متفقٌ عليهِ وفى روايةٍ لمسلم عنْ عائشةَ رضى اللهُ عنها قالتْ سألَ رجلٌ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلَّم أىُّ الناسِ خيرٌ قالَ القرنُ الذى بعثتُ فيهمْ ثمَّ الثانى ثم الثالثُ وأما الشكُّ فى الرابعِ وفى الصحيحين عنْ عمرانَ بن حصينٍ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ إنَّ خيركمْ قرنى ثمَّ الذينَ يلونهمْ ثمَّ الذينَ يلونهمْ قالَ عمرانُ فلا أدرى أقالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بعدَ قرنهِ مرتينِ أو ثلاثاً ثمَّ يكونُ بعدهمْ قومٌ يَشْهدونَ ولا يُستَشهدونَ ويخونونَ ولا يُؤْتمنونَ ويُنذِرونَ ولا يوفونَ ويظهرُ فيهمُ السِّمنُ وفى لفظ خيرُ هذه الأمةِ القرنُ الذينَ بعثتُ فيهمْ ثمَّ الذينَ يلونهمْ ثمَّ الذينَ يلونهمْ الحديث وقالَ فيهِ ويحلفونَ ولا يستحلفونَ وقولهُ فى هذه الأحاديثِ يشهدونَ قبلَ أنْ تطلبَ منهم وحملوا ذلك على ما إذا كانَ عالماً جمعاً بينَ هذا وبينَ قولهِ ألا أنبئكُمْ بخير الشهداء الذى يأتى بشهادتهِ قبلَ أنْ يسألَ وحملوا الثانىَ على أن يأتى بها المشهودُ له فيعرفه بها والصحيحُ أنَّ الذمَّ فى هذهِ الأحاديث لمنْ شهدَ بالباطلِ كما جاء فى بعضِ ألفاظه ثمَّ يفشو فيهمْ الكذبَ حتى يشهدَ الرجلُ ولا يُستَشهدُ

ولهذا قرنَ ذلكَ بالخيانةِ وبتركِ الوفاءِ بالنذرِ وهذه الخصال الثلاث هي آيةُ المنافق ثلاثٌ كما ثبت في الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا ائتمنَ خانَ وفي لفظ لمسلمٍ وإنْ صامَ وصلى وزعمَ أنهُ مسلمٌ فذمّهمُ صلى اللهُ عليه وسلم على ما يفشو فيهم منِ خصالِ النفاقِ وبينَ أنهمُ يسارعونَ إلى الكذبِ حتى يشهد الرجلُ بالكذبِ قبلَ أنْ يطلب منهُ ذلك فإنه شر ممنْ لا يكذبُ حتى يسألَ أن يكذبَ وكلاهما مُفترٍ بالباطلِ وأما ما فيه ذكرُ القرنِ الرابع فمثلُ ما في الصحيحينِ عنْ أبي سعيدِ الخدري رضي اللهَ عنهُ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنهُ قالَ يأتي على الناسِ زمانٌ يغزو فئامٌ منَ الناسَ فيقالُ لهمْ هلْ فيكُمْ منْ رأى رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم فيقولونَ نعم فَيُفتحُ لهمْ ثم يغزو فئامٌ منَ الناس فيُقال لهمْ هل فيكم منْ رأى أصحابَ رسول الله فيقولونَ نعمْ فيُفتحُ لهم ثمَّ يغزو فئامٌ منَ الناس فيُقالُ لهمْ هلْ فيكمْ منْ رأى أصحابَ أصحابِ رسول اللهِ فيقولونَ نعمْ فيُفتحُ لهمُ ولفظُ البخاري ثم يأتي الناسُ زمانٌ يغزو فئامٌ من الناس ولذلك قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الثانيةِ والثالثةِ وقالَ فيها كلها صحِبَ ولم يقل رأى وحديثُ أبي سعيد هذا يدل على شيئين على أنَّ صاحِبَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم منْ رآهُ مؤمنا بهِ وإنْ قلَّت صُحبتهُ له.

مثل تضرب به الرمصاء لزوجها

مضى أبو طلحةَ فى سبيلِهِ وقلبهُ يكادُ تتقطعُ نياطهُ شفقةً وعطفاً على ابنهِ للذى تركهُ وراءهُ إنهُ يودهُ ويُحبُّ أن لا يفارقهُ ولـكنْ ماذا يصنعْ ومشاغلُ الحياةِ كثيرةٌ ومطالبها مُلِحةٌ والمصلحةُ تدعوهُ لهذا السفرِ العاجلِ الذى سيتطلبُ منهُ وقتاً ليسَ بالقليلِ إنها الحاجةُ الداعيةُ فلْينزلْ على حكمها ومقتضياتها وليفعلْ اللهُ بعدَ ذلك ما يشاء

وُوفقَ أبو طلحةَ فى سفره خير توفيق وقضى مصالحهُ وكأنما كانتِ الأمورُ تسيرُ وَفقَ ما يريدُ لمْ يجدْ مشقةً ولا عناءً كما جرتْ بهِ العادةُ .

وكانتْ الرمصاء أمُ سليمٍ زوجة أبى طلحـةَ تدعو لزوجها بالتوفيقِ فى رحلتــهِ وأنْ يسهِّل اللهُ قضاء حاجاتهِ وكانتْ تحبُّ زوجهـا حباً ملكَ عليها عواطفَها وأحاسيسَها وكانتْ مثالَ الطـاعةِ والوفاء، الطاعة التى لاتعرفُ جـدَالا وكأنما ترقبهُ وتلمح رغبتهُ من بعيد فتنفذها فى دقةٍ بالغةٍ واهتمامٍ كبيرٍ.

والوفاء لهُ إلى أبعدِ حدٍّ منْ حدودهِ وأسمى غايةٍ منْ غاياتهِ تقــومُ على رعايةٍ بيِّنَةٍ وتشْرِفُ على أمواله فى عنايةٍ وإخلاصٍ وتعرفُ هذا كلهُ وكأنهَّ ما لُها فتعملُ على تنميتهِ وكانتْ تعلمُ مبلغ

حبِّ زوجها لها ولكنْ هذا العلمَ لا يُطغيها أوْ يبطرها فتستغله وكمْ من الزوجات يفعلنَ ذلكَ

والشدائدِ بابٌ منْ أبواب رحمةِ اللهِ يُنعِمُ بها على الصابرينَ ليزدادوا خيراً وتكونَ لهم فرصةٌ سانحةٌ يغتنمونَ فيها كثيراً منَ الأجرِ وجزيلاً منَ الثوابِ وما أجملَ الصبرَ تُقابَلُ به المصيبةُ فيكونُ علاجا نافعاً ودواء ناجعاً وما أجملَ الصبرَ يُذهِبُ أوْساخَ القلوبِ وأقذارَ الصُّدورِ ويجلو هـذا كلَّهُ ويزيلُ عنهُ الصدأَ الذى يحجبُ حقيقتَهُ واختار اللهُ لجوارِه ولدها .

وَاحتارتِ الرمصاء ماذا تفعلُ وأبو طلحةَ غائبٌ؟ إنَّ عودَتهُ قريبةٌ ولكنهُ سيحزنُ دونَ ريبٍ فحبُّه لولدِهِ لا يكادُ يعادله حبٌّ ففكرتْ فى أنْ تحتالَ للأمرِ وَلا تقفَ هكذا مكتوفةَ اليدين إنَّ الإنسانَ حينما يفاجأ بالخبرِ المحزنِ يؤثر فى نفسه أسوأ الأثرِ ويأتى بأخطرِ النتائجِ التى تضرُّ الجسم وتُرهقَ البدنَ وتُضنى الفؤادَ إذنْ فليسَ منَ اللازم أنْ يفاجأ أبو طلحةَ بالخبرِ عقبَ عودتِهِ مباشرةَ ثمَ لابد أنْ يُساقَ إليه الخبرُ فى حيطةٍ وحذرٍ وكأنما هوَ خبرٌ عاديٌّ لايستدعِي اهتماماً فلتعتمدْ على اللهِ وتنفذَ أيسرَ

السبل وخيرَ الطرقِ واللهُ المستعانُ .

لمْ تـكنِ الرمصاءِ بالمرأةِ القاسيةِ القلبِ التى لاتحزَنُ على فقدِ ولدها ولاتأبهُ بذلكَ الفراقِ المحتومِ الذى لاَلقاء بعدَهُ إلاَ فِى الدارِ الآخرةِ حيثُ يبعثُ اللهُ الناس يومَ القيامةفِى صعيدٍ واحدٍ وليستِ الرمصاء بالمرأةِ الباردةِ الشعورِ والإحساسِ وهى تريِ فلذةِ كبدهاَ أمامهاَ جثةً هامدةَ ولايتحركُ شعورُهاَ أوْ تلْتهِب أحاسيسهاَ أوْ تفيضُ عبرتها لاليستْ الرميصاء منْ هذا النوعَ وإنما هى إمرأةٌ رَقيقةُ القلبْ طاهرةُ الفؤادِ ساميةُ المشاعرِ والأحاسيسِ ولـكنْ ماذا تفعلُ وهذا أمرُ اللهِ النافذُ على كلِّ إنسانٍ وقضاؤه الذى منْ لمْ يرضَ بهِ فليسَ بمسلمٍ ولامؤمنٍ مصدِّقٍ بقضاء اللهِ وقدرهِ .

إنَّ الموتَ نهايةُ كل حيٍّ وأنَّ ابنهاَ فلذةُ كبدهاَ وقطعةُ فؤادهاَ ولـكنْ أليسَ اللهِ قدْ أمرَ بالصبرِ والجلَدِ وأعدَّ للصابرينَ أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ؟ ورفعهمُ منازلَ يومَ القيامةِ لاينالهاَ غيرُهم كفاءماَ قاسوا منَ الشدائدِ والأهوالِ محتسبينَ راضينَ غيرَ ساخطينَ ولامتذمرينَ وماقيمةُ الإنسانِ إذا سيطرَ عليه الجزعُ كلَّما أُصيبَ وتملَّكهُ الفزعُ كلَاَ ابتلاهُ اللهُ ليسَ هذا منْ شرعةِ الدينِ ولاحكمِ ربِّ العالمينَ .

والإنسانُ عرضةٌ لجميعِ مافي الحياةِ منْ مُتعٍ ولذائذَ وكُرَبٍ وشدائدَ فلماذا يفرحُ ويمرحُ إذانالهُ خيرأو نعمةٌ سابقةٌ ثم يحزنُ ويجزعُ إذا أصابه مكروهٌ ونقمةٌ مؤلمةٌ فإنْ صبرتَ على النقمةِ فلنْ تحملَ معنى الرفضِ والنقمةَ لأنهاَ عندَ الابتلاءِ نقمةٌ مجرَّدةٌ وعندَ الصبرِ عليهاَ تحملُ معنى الرضاَ فطوبى للصابرينَ والصابراتِ وهلْ هناكَ أنسبُ للصبرِ منَ هذا الوقتِ ما أشقَّ موتِ الابناء على نفوسِ الامهات وما أيسرَ احتمالهُ إذا تذرَّعَ الوالدُ بالصبرِ والرضا بقضاءِ الله .

حملتِ ابنهاَ وسجّته فى ناحيةِ من البيتِ بحيثُ لايراهُ الداخلُ ولايقعُ عليهْ نظرُ أبي طلحةَ حينما يعودُ ووقفتْ أمامَ هذهِ الجثةِ التي بردتْ أطرافهاَ سريعاً وخمدتْ أنفاسهاَ وشيكاً وفي قلبهاَ ثورةٌ صاخبةٌ ومعتركٌ عنيفٌ فى الصراخِ والعويلِ تفريجٌ إلى حدٍ ما عنِ العواطفِ المكبوتةِ ، وفي الصمت كبتٌ لهذهِ العواطفِ لا يُفرِّجُ كربهاَ سوى الله بإسالِ الدموعِ .

وهكذاَ فاضتِ الدموعِ منهمرةً من عيني الأمّ الحنونِ التي تفهمُ البنوّة على حقيقتهاَ وتدركُ سرّ حرمانهاَ منَ ابنهاَ ولكنهاَ مع هذا تعرفُ واجبَ الله فتنزلُ على أمرهِ حينَ اشتدادِ الأزماتِ وإلمامِ الخطوبِ .

وعادَ أبو طلحةَ من غيبته فرحاً مسروراً مشتاقاً لرؤيةِ زوجتهِ وولدهِ راجياً أنْ يكونا على خيرِ حالٍ ليَتمَّ له هناؤهُ ويكملَ نعيمُه وسعادتُه .

وقابلتهُ زوجته فرحةً وكأنما تتدفقُ نشاطاً وقوةً وعزماً لقدْ بدتْ في عينيه أجمل مما هي وكأنما تأخَّرتْ بها السِّن عشرَ سنواتٍ أو تزيدُ هذهِ حركاتها متزنةٌ رشيقةٌ وكأنما هيَ في حُسنِ شبابهاَ وجْهُها يفيضُ بشراً وعطفاً وحناناً ورحمة وأعدت له الطعامَ خيرَ إعدادٍ فأخذَ يأكل بشهيةٍ وإقبالٍ وقدْ شعر باللذةِ والمتعةِ وخُيِّلَ إليهِ أنهُ لمْ يأكلْ منذُ خلقهُ الله طعاماً أشهى وألذ منْ هذا الطعامِ الذي يأكلُ في تلكَ الساعةِ.

وذكرَ ابنهُ حينذاك فقالَ لزوجتِه وهو لايزالَ يأكلُ قائلاً كيفَ حالُ الصبيِّ؟ فقالت بسرعةٍ وحزمٍ وكأنَّ شيئاً لمْ يحدث بأحسنِ حالٍ بحمدِ الله ومَنِّهِ فإنهُ لمْ يكن منذُ اشتكى بأسكنَ منهُ الليلةَ وانتهزتْ هذه الفرصة فقامت هُناَ وهناكَ تُبدي محاسنهاَ وتعلنُ جمالهاَ وقدْ عملتْ يدُ الزينةِ عملها في أجزاء جسمها فبدا جميلاً نضراً ولمْ يقوَ أبو طلحةَ على احتمالِ هـذا السحرِ ولمْ يستطع صبراً وغلبتهُ عواطفهُ فبدا منهُ ماجعلهاَ تنفذُ مايريدُ .

لقد أصاب منها حاجته بيد أنه لم يعرف السر فى هذه المتعة التى لم يشعر بها من قبل فكل شىء ممتع وكل أمر لذيذ وشعر أبو طلحة بأن زوجته تريد أن تقول له شيئاً ولكنه يمتنع عليها فمهد لها الطريق وأعطاها الفرصة لتقول ما يدور بخاطرها فقالت فى رفق ولين ألا تعجب من جيراننا فقال مالهم قالت فى رثاء متصنع وإشفاق عجيب أعيروا عارية وأمانة فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا وأدركهم الهلع والفزع .

فقال الزوج فى نقمة على مسلكهم وانتقاد لفعلهم بئس ماصنعوا وقالت وقد ألزمته الحجة واستدرجته إلى ما تريد هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وهنا اكفهر وجه أبى طلحة وحال لونه وحملق بعينيه فلقد أحس بالخطر وشعر بأنه مسوق إلى تلقى خبر أليم بيد أنه لم يتكلم وظل صامتاً وأردفت الزوجة تقول وأن الله قد قبضه إليه، قال الحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وخلا أبو طلحة بنفسه وعجب لزوجته تجيب حينما سأل عن الصبى فأخبرته بأنه أحسن حالاً وأنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة فكيف اطمأن إلى هذه العبارة ؟ ولم لا يطمئن لها ؟ إنها

صريحةٌ فى الصحَّةِ والعافيةِ والهدُوء والاستقرارِ وحسُنِ الحال ومنَ العجب أنَّهُ لايأتيها الـكذب من أيَّة ناحيةٍ من نواحيها فلا مأخذَ عليها ولا نقدَ ولا رِيبة أوشكٍ وأنها لو سمِعها أيُّ أحدٍ لا يفهمُ منها ولايذهبُ فـكرهُ إلى الحقيقةِ التى كانت تعنيهَا .

لقد كانت تعنيِ حالِ الموت وَنوم الأبد والانتقال من هذه الحياة إلى الحياة الأُخرى لقد ضربتْ أروَع المثُل وإنهُ لفخورٌ بها وإنَّ همَّهُ وغمَّهُ وكربهُ قد زال وانمحَى أثرهُ وكيف لا يكونُ كذلك وهو رجلٌ يجب أن يكون أقوى من المرأةِ رُوحًا ونفساً وعزيمةً وقوَّة احتمالٍ .

ومنْ يفعلُ مثل ما فعلت سواء من الرجالِ أو من النِّساء ؟ إنه يجبُ أن يكون أقدرَ منها ويفوقهاَ فى هذه النَّاحيةِ وأن يكونَ موضع تقديرها واحترامها حتى لاتضعُفَ ثِقتها بالرِّجال إنَّ الرَّجل القِوَّام على المرأة يجبُ أن يـكون أصبرَ منها ، ورأى أبو طلحة أنَّ خير جزاءٍ للرّمصاءِ زوجتِهِ أن يعلنِ أمرهَا لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وكان صلواتُ اللهِ وَسلامهُ عليه حينمَا كان أبو طلحة يَقصُّ عليه قصَّةَ زوجتهِ ويروِى لهُ خبرها مُصغيًا وَأخذتْ أساريرُ وجهِ رسول الله

صَلى اللهُ عليهِ وسلَّم تتلون بألوان الحديث من إعجابٍ ودهشةٍ إلى فرح ومرح إلى قوةٍ وحزمٍ إلى عطفٍ وشفقةٍ وحنانٍ ورثاء فهذه ميزةٌ من مميزَّاته يُشارِكُ من يحادثهُ فى وجدانهِ وأحاسيسهِ وعواطفهِ ليكون هذا تَسليةً لهُ وعوناً على شدّتهِ وتشجيعًا لهُ على تحمّل مانزل بهِ وأحسّ أبو طلحة حينما قصّ القِصَّة أنه أُدى رِسالةً فى عنقُهِ وأنّ هذا واجبٌ وُفِّق للقيام بهِ أمام الرَّسولِ الكريم وطرب الرَّسول صلَّى الله عليهْ وسلَّم لِسماعهِ هذه القصَّة وأُعجب بهذهِ الصابرة المحُتسبةِ وهذا الصَّابر المحتِسب ولـكن إعجابهُ بالرمصاء فاق كلَّ وصفٍ وتجاوزَ كل حدٍّ فإنّ ما فعلتْ غريبٌ فى بابه ولا يكادُ يسمعُ به الإنسانُ .

واتجه رسولُ الله صلَّى عليه وسلم بقلبهِ ورفع يديه إلى السَّماء وقال. اللهم باركْ لهما فى ليلتهِما .

وكأنما كانت أبوابُ السَّماء مفتحةً فقبلَ الله دعاءهُ وارتقبَ الناس نتيجة دعوةِ الرسول صلوات الله وسلامهُ عليه وما كان أبلغَ دهشتهمْ حينما رأوْا من ذراريهمْ مافاق الحدَّ وكانوُا جميعاً من الموفقّين ليس النِّعمةُ أن ترُزق أولاداً ثم بعد ذلك تكونُ شقياً بهم تربيةً وإنفاقاً وإنما النعمةُ أن ترْزَق أولاداً ثم بعد ذلك تـكون سعيداً بهم تربيةً وإنفاقاً وصلاحاً وسيراً على الصراطِ السويِّ والطريق القويم وهذا ما كان.

من أمر الرمصاء وزوجها أبي طلحة فلقد شوهد لهم بعد ذلك سبعة أولاد كلهم قرءوا القرآن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرمصاء وحمل جابر رضي الله عنه هذا الحديث ينشره بين الناس وتمنى كل مسلم ومسلمة سمع القصة أن يخص بهذا الشرف وأن يفقد من الأولاد مثل ما فقدت الرمصاء ليصبر كما صبرت .

ذكر الموت

قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) والآيات كثيرة نكتفي بما تقدم .

وعن ابنِ عُمر رَضى اللّه عنهما قال أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بمَنكبِى فقال كُنْ فى الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ ، وكانَ ابن عُمر رضى اللّهعنهُما يقول إذا أمسيْتَ فلا تنتظِر الصّباح وإذا أصبحتَ فلا تنتظِر المساءوخُذْ من صِحّتك لمرضكَ ومنْ حياتِكَ لموتكَ رواه البخارى .

وعنْ ابن مسعودٍ رضى اللّهُ عنهُ قالَ خطّ النبىُّ صلى اللّهُ عليه وسلمَ خطاً مربّعاً وخطّ خطّاً فى الوسطِ خارجاً منهُ وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذى فى الوسطِ منْ جانبهِ الذى فى الوسطِ فقالَ هـذا الإنسانُ وهذا أجلهُ محيطٌ بهِ أو قدْ أحاطَ بهِ وهذا الذى هوَ خارج أملهُ وهذه الخططُ الصغارُ الأعراضُ فإنْ أخطأهُ هذا نهشهُ هذا وإنْ أخطأهُ هذا نهشهُ هذا رواهُ البخارى . وعنْ أبى هريرةَ رضىَ اللّهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللّهُ صلى اللّهُ عليه وسلمَ قالَ بادروا بالأعمالِ سبعاً هلْ تنتظرونَ إلا فقراً مُنسياً أوْ غنى مطغياً أوْ مرضاً مفسداً أوْ هرماً مفنّداً أو موتاً مجهزاً أوالدجالُ فشرُّ غائبٍ ينتظَر أو الساعةُ فالساعةُ أدهى وأمرُّ رواهُ الترمذى وقالَ حديثٌ حسنٌ .

وعنْ أبىٍّ بنِ كعبِ رضىَ اللّهُ عنهَ قالَ : كانَ رسولُ اللّهَ صلى اللّه

عليه وسلمَ إذا ذهبَ ثلثُ الليلِ قامَ فقال يا أيها الناسُ أذكروا اللهَ جاءتِ الراجفةُ تتبعها الرادفةُ جاءَ الموتُ بما فيه جاءَ الموْتُ بما فيهِ قلتُ يارسولَ اللهِ إني أكثرُ الصلاةَ عليكَ فكمْ أجعلُ لكَ منْ صلاتي ؟ فقال ما شئتَ قلتُ الربعَ قالَ ما شئتَ فإنْ زدتَ فهوَ خيرٌ لكَ قلتُ فالنصْفَ قالَ ما شئتَ فإنْ زدتَ فهوَ خيرٌ لكَ قلتُ فالثلثينِ قالَ ما شئتَ فإنِ زدتَ فهوَ خيرٌ لكَ قلتُ أجعلُ لكَ صلاتي كلها ؟ قالَ إذاً تكفى همّكَ ويُغفرُ لكَ ذنبكَ . رواهُ الترمذيِ وقالَ حديثٌ حسنٌ .

وعنْ ابنِ عمرَ رضيِ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ عادَ سعدَ بن عبادةَ ومعهُ عبدُ الرحمنِ بن عوفٍ وسعدُ بن أبي وقّاصٍ وعبدُ اللهِ بن مسعودٍ رضيِ اللهُ عنهمْ فبكى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّمَ فلما رأى القومُ بكاءَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بكوْا فقالَ ألا تسمعونَ إنَّ اللهَ لا يعذِّبُ بدمعِ العينِ ولا بحزنِ القلبِ ولكنِ يعذِّبُ بهذا أو يرحمُ وأشارَ إلى لسانهِ . متفقٌ عليه .

الأعمالُ بالخواتيم .

قال اللهُ تعالى « منْ كانَ يُريدُ العاجلةَ عجَّلْنا لهُ فيها ما نشاءُ لمن

تريدُ ثمّ جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً » .

وقال تعالى « فمنَ الناسِ منْ يقولُ ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق » وقال تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كانَ يريدَ حرثَ الدنيا نؤته منها وماله في الآخرةِ من نصيب » فالدنيا لايدوم نعيمها ولا يستمرُّ خيرها وهي مجمعُ الآفاتِ ومستودعُ المصائبِ لايركنُ إليها إلاّ مغرورٌ ولا ينخدع بها إلا مفتونٌ .

أما المؤمنُ فهي مطيته إلى الآخرة إنْ أصابته سراء شكرَ وإنْ أصابته ضراء صبر عليها يأمر بالمعروفِ ويسارعُ إليهِ، وينهى عن المنكرِ ولا يقربه .

قال ابن الجوزي رحمه الله تباعد عن أهل السوء وباعدْ أولادك عنهم لايعادُونك بأفعالهم وأقوالهم وطباعهم ولايزال يقسو قلبك حتى يستأنسَ بهم فهناك الهلاكُ والسوءُ يتفاوتُ فمنْ أهلهِ أهلُ الفواحشِ ومنهمْ أهلُ اللهو ومنهمْ أهلُ الغيبة والنميمةَ ومنهم أهلُ الملاهي وآلاتِ الطَّربَ فأنهم يسبُونَ أهلَ العقول عقولهم حتى ينحلّوا عن دينهمْ وعقولهم ومروءتهم فيعسرُ عليهم الخلاص منهم لما يجدونه من لذّة النغمات والأصواتِ حتىَ يكونَ عادةَ وطبعاً فربما

يجلس الرجلُ إليهم وهو كارهٌ لسماع لغوهم مستوحشٌ من نفسه ثم لايزالُ على ذلكِ حتى يراهُ حسنا .

والنفسِ كالطفلِ إنْ تهملهُ شبَّ على
حبِّ الرضاعِ وإنْ تفطمهُ ينفطمِ

فمن عرف نفسه اشتغلَ بإصلاحها من عيوبِ الناس ومنْ عرفَ ربَّه اشتغل بهِ منَ هوى نفسهِ وقالَ بعضهم إنما دخلَ الناسُ النارِ منْ ثلاثة أبوابٍ بابٌ أورثتَ شكا فى الدين وباب شهوةٍ أورثتْ تقديمَ الهوى على طاعته ومرضاته وبابِ غضبٍ أورثَ العدوان على خلقهِ .

أصول الخطايا ثلاثة الكبْر وهو الذى أصار إبليس إلى ما أصاره والحرصُ وهو الذى أخرج آدم من الجنة والحسدُ وهو الذى جرأ أحد ابنَىْ آدم على أخيه، فمنَ وقى شرَّ هذه الثلاث فقد وُقىَ الشرَّ ، فالكفر من الكبْر والمعاصى من الحِرْص والبَغْىُ والظلمُ من الحسد .

أكملُ الناس هداية أعظمُهم جهاداً وأفرضُ الجهادِ جهادُ النفس وجهادُ الهوى وجهادُ الشيطانِ وجهادُ الدنيا ، فمن جاهد

هذه الأربعة فى الله هداه الله إلى سبيل رضاهُ الموصّلة إلى الجنّة .

وفى الحديث الصّحيح عن أبى ذر رضى الله عنهُ عن النبى صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال ياعبادى إنى حرّمتُ الظُّلم على نفسى وجعلتُه بينكمْ محرّماً فلا تظالمُوا . ياعبادى إنكمْ تُخطِئون بالليل والنهار وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً ولا أبالى فاستغفرونى أغفرْ لكم ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعِمكمْ ياعبادى كلُّكمْ عارٍ إلا من كسوتهُ فاستكسُونى أكْسكمْ . ياعبادى كلُّكمْ ضالٌّ إلاَّ من هديتُهُ فاستهدونى أهدِكمُ . ياعبادى إنَّكم لنْ تبلغُوا ضرِّى فتضرُّونى وَإنْ تبلغُوا نفعِى فتنفَعونى . يا عبادى لوْ أنّ أولَكمْ وآخرَكمْ وإنسَكمْ وجنَّكُم كانوا على أتقى قلب رجلٍ وَاحدٍ منكم مازاد ذلك فى ملكِي شيئاً يا عبادى لوْ أنَّ أوّلكمْ وآخركمْ وإنسكمْ وَجنَّكمْ كانوُا على أفجر قلب رجل وَاحد منكم ما نقَص ذلك من مُلْكى شيئاً ياعبادى لوْ أنَّ أوَّلكم وآخرَكمْ وإنسكمْ وجنَّكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كلا مسألتَه ما نقَص ذلك منْ مُلكى إلاَّ كما ينقص المخيَط إذا أدخل فى البحر . ياعبادى إنما هى أعمالكُمْ أُحصيها لكم ثُم أوفيكم إيَّاها فمنْ وجد خيراً فَلْيحمدِ الله ومن وَجد غير ذلك فلا يلومُنّ إلاَّ نفسه .

وَقِيلَ كانَ رَجُلٌ يُطوفُ على العُلماء يقولُ من يَدُلُّني على عمَلٍ لا أزالُ فيهِ عامِلاً للهِ ، فإني أحبُّ ألا يأتي على ساعةٌ في ليلٍ أو نهارٍ إلا وأنا في عملٍ لله قيل له وَجَدْتَ حاجتكَ إعمَلِ الخير ما استطعت فإذا فَتَرتَ أو تركته فهَمَّ بعمله فإن الهامَّ بالعمل كفاعلِهِ وإنما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى فالنِّيَّةُ هي الفارقُ بَيْنَ العملِ الإنسانيِّ وَبَيْنَ عملِ البهائمِ .

الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفْسَهُ وَعمِلَ لما بعدَ الموتِ .

ثبتَ في الصَّحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قال الكَيِّسُ مَنَ دانَ نَفْسَهُ وَعمل لما بعْدَ الموتِ ، وَالعاجِزُ مَنْ أتبع نَفْسهُ هواها وَتمنّى على الله الأمانيَّ .

وَكانَ الحَسَنُ البصري رَحمهُ الله يقولُ لا تكونوا مِنْ قومٍ أهلكتهُمُ الأماني حَتّى خَرجوا مِنَ الدُّنيا وَما لَهُمْ حَسَنَةٌ ، وَيقولُ أحدُهُمْ إني لأُحسِنُ الظنَّ بربي وَقَدْ كَذَبَ فإنَّهُ لو أحسن الظنَّ بِرَبِّهِ لأحسنَ العمل على الطريقة المُستقيمة كما أشارَ إليهِ قولُهُ تعالى (وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أرْدَاكُمْ فأصبحتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ) .

وَكانَ بَقِيَّةُ بنُ الوليد يَكْتُبُ لإخوانِهِ وَيقولُ إيا كُمْ والغرورَ فَتؤمِّلونَ البَقاء وطُولَ العُمُرِ فتعملونَ السيئاتِ وتتمنَّوْنَ على الله الأَماني.

فمن تأمل هذه الدارَ الفانيةَ وَمافيها مِنَ النكدِ وَالمرَضِ وَجدَ أَنَّهُ يُسارُ بهِ وَهو جالسٌ، وَمِن تأمَّلَ الآثارَ وَعقلَها وَعلِمَ أَنَّهُ صائرٌ لامحالة إلى هذه الحالة فحقيقٌ بهِ أن يرْغبَ بنفْسِهِ عن هذه الدُّنيا الفانية وَلا يُنافس أهلها فيها وَلا يُشاحِنهم فيما هم فيه حلالها حِسابٌ وَحرامُها عِقابٌ وَكثرتها إلى قلة وسُرورُها إلى حزن وَعافيتها إلى سقم وصحتها إلى مرض وغناها إلى فقرٍ ووجودُها إلى عدم.

فالسعيدُ فيها من حاسبَ نفسه قبلَ المحاسبة وصبرها على طاعة اللهِ قبلَ أنْ تؤخذَ النفوس بطغواها وقبل أنْ (تقول نفسٌ ياحسرتى عَلَى ما فرَّطتُ في جَنب اللهِ وإنْ كنتُ لمنَ الخاسرين).

قالَ أبو سليمانَ الزهد ترك ما يشغل عن الله وقال كلُّ ما شغلك عن الله من أهل ومال وولدٍ فهو مشئومٌ وقال بعضهم ليسَ الزاهد من ألقى همومَ الدُّنيا أو استراح منها إنما الزاهد من زهد في الدُّنيا وتعب فيها للآخرة فإن الدُّنيا لاتساوى عندَ الله جناحَ بعوضةٍ فإن الزهد في الدُّنيا يرُاد به تفريغ القلب مِن الاشتغال بها ليتفرَّغَ لطلب

الله ومعرفته والتقرب منه والأنس به والشوق إلى لقائه وهذه الأمور ليست من الدنيا وإلا فحب الدنيا رأس كل خطيئة .

قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ما أبعد هديكم من هدى نبيكم صلى الله عليه وسلم إنه كان أزهد الناس فى الدنيا وأنتم أرغب الناس فيها قال ابن مسعود رضى الله عنه لأصحابه أنتم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب محمد وهم كانوا خيراً منكم قالوا وكيف ذلك قال كانوا أزهد منكم فى الدنيا وأرغب منكم فى الآخرة ، وقال ابن القيم رحمه الله عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء فيه بكتاب الله وسنة رسوله فإنه لا يوفق لهما إذا لم يخلص العمل ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه فى الدنيا ولا يقدمه أمامه لآخرته وقلب فارغ من محبة الله لا يتيقن برضا المحبوب وامتثال أوامره ووقت معطل من استدراك فارط واغتنام بر وقربة وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير فى قبضته ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وأعظم هذه الإضاعات إضاعة القلب وإضاعة الوقت بإضاعة القلب عن الله من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله فى اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله فى اتباع

الهدى والاستعداد للقاء الله إلى أن قال ولله على عبده أمرٌ أمرهُ به وقضاءٌ يقضيه عليه ونعمةٌ ينعم بها عليه فلا ينفَكُّ من هذه الثلاثة ، والقضاء نوعان إمَّا مصائب وإمَّا معائب وله عليه عُبودِيَّته فى هذه المراتب كُلها فأحبُّ الخلق إليه من عرف عبودِيَّتُه فى هذه المراتب كُلها ووَّفاها حقّها فهذا أقرب الخلق إليه وأبعدهم مِنه .

من جهل عبوديته فى هذه المراتب فعطّلها عِلماً وعملاً فعبوديته فى الأمر امتثاله إخلاصاً واقتداءً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفى النّهى اجتنابه خوفاً منه وإجلالا وعبودِيَّته فى قضاء المصائب الصبر عليها ثمَّ الرّضا بها وهو أعلى منه ثمَّ الشكر عليها وهو أعلى مِن الرِّضا إلى غير ذلك .

الغيبة والنميمة

قال النبى صلّى الله عليه وسلم لمَّا عُرج بى إلى السماء مررتُ بقومٍ لهمْ أظفارٌ من نحاس يخمِشون بها وجُوههم وصدورَهم قُلت من هؤلاء ياجبريلُ؟ قال الذين يأكلون لحُوم الناس ويقعون فى أعراضهم ، رَواه أحمد وأبو دَاود . وقال صلى الله عليه وسلم (من أكلَ برجُلٍ مُسلم أكلةً فإنَّ الله يُطعمه مثلها فى جهنم . ومن كسِىَ ثوْباً برجلٍ فإن الله يكسوه

مِثله فى جهنم ومن قام برجلٍ مقام سمعةٍ ورياء فإن الله يقوم به مقامَ سمعة ورياء يوم القيامة) رواه أبو داوُد .

الحديثُ يذكّر أولئك الأدنياء الذين ينتهزون فرصةَ تباغض بين إثنين فيذهبُ أحدهم إلى إحداهما وأمامهُ يقول فى مبغضه يتحببُ إليه بذلك ليُطعِمه أو يكسوه ظنًّا منه أنه من نصرَائِه وأحبابِه وإنما حُبهُ للطعام أو الكسوة .

قِيل للنَّبي صلى الله عليه وسلَّم مَا الغِيبَة ؟ قال ذِكْرُكَ أخاك بما يكرهُ أفرأيتَ إنْ كان فى أخى ما أقولُ ؟ قال إنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغتَبْتهُ وإنْ لم يكُنْ فيه ما تقولُ فقد بهتّهُ) رواه الترمذى وابن جرير .

ليُعلم أن كلّ كلمة ينطق بها الإنسانُ تكتبُ عليه غيبةً لأخيه إذا كان يكرهُهَا والغيبةُ من الذّنوب الإسلامية العظيمة . قالت عائشةُ رضى اللهُ عنها قُلتُ للنَّبي صلى الله عليه وسلَّم حَسْبُكَ من صفِيَّة كذا وكذا تعنى أنَّها قصيرةٌ ، فقال صلَّى الله عليه وسلّم لقد قُلت كلمةً لو مُزِجتْ بماء البحر لمزجَتْهُ) رواه أبو داوود .

فإذا كان الوصفُ بالقصرِ فقط هذا قذرهُ فكيف بمنْ يقول

من عيوب النساء ما يغيظهن وكيف عن يرميهن بالعظائم كالميل إلى الرجال الأجانب وما إليه لدرجة الطعن بعدم صحة نسب أبنائهن إلى آبائهم.

إن جزاء هذا ما يقوله ربنا تبارك وتعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وقوله تعالى (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)

أيها المؤمنون إن من آيات العقل الكامل فى الرجل أن تراه يمسك لسانه عن الخوض فى أعراض الناس ويعف العفاف كله أن يذكر أحداً بما يتألم منه لو بلغه وأحسن من هذا يتودد إلى الناس بما يستطيع من خير ولو بكلمة طيبة يقولها إنصافاً لأخيه ولا إثم عليه فيها.

كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جلس بين أصحابه ظن كل واحد منهم أنه أحبهم إليه لحسن معاملته للجميع ويناديهم بأحب الأسماء إليهم وما ساد هذا الأدب فى أمة إلا تقاربت قلوبهم وأحب كل منهم أن يرى أخاه فإذا تبادلوا هذا الحب هدموا بمعاوله أوكار المضار وعثروا على كنوز الألفة وتبادل المنافع الدنيوية والأخروية

وعتْ فيهمُ المحبةُ والوئام نسألُ اللهَ أن يحفظ ألسنتنا وكلَّ جوارحنا مما لا يُرْضيه إنهُ واهبٌ مفضالٌ كريم.

مَنْ سنَّ سُنَّةً حَسَنةً أوْ سيئة

قال الله تعالى (والَّذين يقولونَ ربَّنا هبْ لنا مِنْ أزْواجِنَا وَذرياتنا قُرة أعْيُنٍ واجعلنا للمتَّقين إماماً).

وعنْ أبي عمْرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كُنَّا في صدرِ النهار عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فجاءه قومٌ عُراةٌ مجتابي النِّمار أو العَبِيْ متقلدي السيوف عامتهم بلْ كُلهم من مضر فتَمَعَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما بِهم مِن الفاقةِ فدخلَ ثمْ خرَجَ فأمَرَ بِلالا فأذَّنَ وأقام ثم صلى ثم خطب فقال (ياأيها الناس اتقوا ربكمْ الذي خلقكم مِنْ نفس واحدة وخلقَ منْها زوجْها وبثَّ منهما رِجالا كثِيراً ونساءً واتقُوا الله الَّذي تساءلون به والأرْحام إنَّ الله كان عليكمْ رقيباً) وقوله تعالى (ياأيها الَّذين آمنوا اتقوا الله ولتنظرْ نفسٌ ما قدَّمت لغدٍ) تصدَّق رجلٌ منْ ديناره منْ درْهمِه من ثوبه من صاع برِّه من صاع تمرِه حتَّى قال ولو بشقٍّ تمْرةٍ فجاء رجلٌ مِنْ الأنصار بصُرةٍ كادتْ كفُّه تعجز عنها بلْ قد عجزَتْ ثمَّ تتابع

الناس حتى رأيتُ كومَين من طعامٍ وثياب حتّى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلّم تهلّل كأنه مذهبةٌ فقالِ صلّى الله عليه وسلّم من سنَّ فى الإسلام سُنةً حسَنَةً فله أجرها وأجرُ مَن عمل بها بعده من غير أنْ ينقص من أجورهم شىء ومَن سنَّ فى الإسلام سُنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء . رواهُ مُسلِمٌ .

وقالَ صلّى الله عليه وسلم مَن تصدَّق بعدْلِ تمرةٍ مِن كسب طيِّب ولا يقبلُ اللهُ الاَّ الطَّيِّبَ فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يُربِي أحدُكم فلوَّهُ حتى تكون مِثل الجبل .متفقٌ عليه .

ورَوى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال سبعةٌ يظلّهم اللهُ تحت ظِلّه يوم لاظلّ إلا ظلّهُ وذكر مِنهمْ رجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتّى لا تعلمُ شِمالهُ ما صنعت يمينه مُتفقٌ عليهْ .

فَضْلُ الجُودِ وَالْكَرَمِ

قالَ الله تعالى: « ومن يُوقَ شُحّ نفسِه فأولئك هُمْ المفلحون » .

فالجودُ صفةٌ من صفاتِ الله والجود هو سعةُ العطاء وكثرتُه.

عَنْ أبى ذَر الغفارىّ رضى الله عنه عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم فيما يرْويه عن ربه عزّ وجَل أنه قال يا عِبادى إنى حرّمتُ الظُلْم عَلَى نفْسى وجعلْتُه بينكمْ محرّماً فلا تَظالموا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى ، أهدكم يا عبادى كُلُّكم عارٍ إلا مَنْ كسوتُه فاستكسونى أكسِكُمْ يا عبادى إنكم لنْ تبلغوا ضُرى فتضرّونى وَلنْ تبلغوا نفعى فتنفعُونى يا عبادى لوَ أنّ أولكم وآخِركم وإنسكمْ وجِنكمْ كانوا عَلى أتقى قلْب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى مُلكى شيئاً ، يا عبادى لو أنّ أوّلكمْ وآخركم وإنسكمْ وَجِنكمْ كانوا عَلَى أفْجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك مِنْ مُلكى شيئاً ، يا عبادى لو أنّ أوّلكمْ وآخركم وإنسكمْ وجنكمْ قاموا فى صَعيد واحد فسألونى فأعطيتُ كلٌّ مسألته ما نقص ذلك مِما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر يا عبادى إنما هى أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوفيكم إيَّاها فمنْ وجد خيراً فليحْمِدِ الله ومن وَجَدَ غير ذلك فلا يلومَنّ إلاّ نفسه. رَوَاه مسلم.

وعن الفُضَيْل بن عياض أنَّه قال مَا مِن ليلة اختلطَ ظلامها وأرْخى

الليلُ سِربالَ سترها إلا نادى الجليلُ جلَّ جلالهُ من أعظمُ منيّ جوداً والخلائقُ لي عاصونَ وأنا لهم مراقبُ؟ أكلؤهُمْ في مضاجعهم كأنهم لمْ يعصوني وأتولى حفظهمْ كأنهمْ لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجودُ بالفضلِ على العاصي وأتفضلُ على المسيء من ذا الذي أناخ ببابي فنحَّيتهُ؟ أنا الفضلَ ومنيّ الفضلُ وأنا الجوادُ ومنيّ الجودُ وأنا الكريمُ ومنيّ الكرمُ ومن كرمي أنْ أغفرَ للعاصي بعد المعاصي ومنْ كرمي أنْ أعطيَ العبدَ ماسألني وأعطيهِ مالمْ يسألني ومن كرمي أنْ أعطيَ التائبَ كانهُ لمْ يعصني فاينَ إلى غيري يهربُ الخلائقُ وأينَ عنْ بابي يلتجيءُ العاصونَ. (شعراً).

أسأتُ ولمْ أحسنْ وجئتُكَ هارباً وأنّى لعبدٍ عنْ مواليهِ يهربُ
يؤمّلُ غفراناً فإنْ خابَ ظنُّه فما أحدٌ منهُ على الأرضِ أخيبُ

وثبتَ في الصحيحينْ عنْ أنس قالَ كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أحسنَ الناس وأشجعَ الناسِ وأجود الناسِ وفي صحيح مسلم عنهُ قالَ ما سئلَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على الإسلامِ شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاهُ غنماً بينَ جبلينِ فرجعَ إلى قومهِ فقالَ ياقومِ أسلموا فإنَّ محمداً يعطي عطاء من لايخشى الفاقةَ . وفي روايةٍ أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ صلى الله عليه وسلمْ غنماً بينْ جبلين.

فأعطاهُ إياها فأتى قومهُ فقالَ ياقومْ أسلموا فانَّ محمداً يعطي عطاءَ منْ لا يخافُ الفقرَ ،قالَ أنسٌ أنْ كانَ الرجلُ ليسلمُ مايريدُ إلا الدنيَا فمَا يُمسي حتى يكونَ الاسلامُ أحبّ إليهِ منَ الدنيا وما عليها وفيهِ أيضاً عنْ صفوانَ بنَ أميةَ قالَ لقدْ أعطانى رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلمَ ما أعطانى وَإنهُ لمنْ أبغضِ الناس إلىَّ فما برح يعطينى حتى إنهُ لأحبُّ الناس إلىَّ .

قالَ ابن شهابِ أعطاهُ يومَ حنينٍ مائة منَ الغنمِ ثمَّ مائة ثمَّ مائةً فينبغِى للانسانِ أنْ يقتدى بالنبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ ويتأسى بهِ فيجودَ بما يقدرعليهْ ليواسى الفقراءوأهلَ الحاجةِ فإنّ اللهَ كريمٌ يحبُّ الكريمَ منْ عباده جوادٌ يحبُّ أهلَ الجُودِ فالبخلُ لايزيدُ فى الرزقِ فانَّ البخيلَ بعيدٌ من الله بعيدٌ منْ خلقه بعيدٌ من الجنةِ قريبٌ، منَ النارِ فجودُ المرءِ يحببهُ إلى أضدادهِ وبخله يبغضهُ إلى أولادهِ . (شعراً) .

ويظهرُ عيبَ المرءِ فى الناسِ بخله   ويستره عنهمْ جميعاً سخاؤهُ
تغَطّ بأثوابِ السخاءِ فإننى   أرى كلَّ عيبٍ فالسخاءغطاؤهُ

الراحمون يرحمهم الرحمن

ثبتَ فى الصحيحينِ عنْ جريرِ بنِ عبدِ اللهرضى اللهعنه قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من لايرحمْ الناسَ لايرحمهُ اللهُ

يدلُّ هذا الحديث بمنطوقه على أنّ من لا يرحم النّاس لا يرحمُه الله وبمفهومه على أنّ مَنْ يرحم النّاس يرحمهُ الله كما قال صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الآخر « الرّاحمونَ يرحمهم الرحمن » إرحمُوا مَنْ في الأرض يرحمكمْ مَنْ في السّماءِ فرحمةُ العبد للخلقِ مِنْ أكبر الأسبابِ التي تُنال بها رَحمة الله التي مِن آثارها خيراتُ الدُّنيا وخيرات الآخرة وفقدُها مِنْ أكبر القواطِعَ والموانع لرحمةِ الله والعبد في غاية الضّرُورة والافتقار إلى رحمة الله لا يَستغنى عَنها طرفةَ عينٍ وَكل ما هو فيه مِنَ النّعم واندفاع النقم من رحمةِ الله .

ومن الأسباب التي تُنالُ بها رحمَتهُ الإحسان إلى عِبادِه لِقولهِ تعالى (إنّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين) .

والرّحمة التي يتصفُ بها العبد نوعان الأول رحمةٌ غريزيةٌ قد جَبَلَ الله بعض العباد عليها وجعل في قلوبهمْ الرّأفة والرحمةَ والحنانَ على الخلق ففعلوا بمقتضى هذه الرّحمة جميع ما يقدرون عليه مِن نفعهمْ بحسبِ استطاعتهم فهم محمودُونَ مثابونَ على ما قاموا به ، معذورون على ما عجزُوا عنه وربُما كتَبَ اللهُ لهم بنيّاتهُم الصادقة ما عجزت عنهُ قواهمْ .

النوع الثانى رحمة يكتبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة تجعل قلبه على هذا الوصف فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق وأكملها فيجاهد نفسه على الإنصاف به ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب وما فى فوته من حرمان الثواب فيرغب فى فضل ربه ويسعى بالسبب الذى ينال به ذلك ويعلم أن الجزاء من جنس العمل ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين وأمرهم أن يكونوا إخوانا متحابين وأن ينبذوا كل ما ينافى ذلك من البغضاء والعداوات .

فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التى يدرك بها هذا الوصف الجليل ويجتهد فى التحقيق به حتى يمتلىء قلبه من الرحمة والحنان على الخلق وحبذا هذا الخلق الفاضل والوصف الجليل الكامل .

وعلامة الرحمة الموجودة فى قلب العبد أن يكون محبا لوصول الخير لكافة الخلق عموما وللمؤمنين خصوصا كارها حصول الشر والضرر عليهم ،فبقدر هذه المحبة والكراهية تكون رحمته ،وكذلك رحمة الأطفال الصغار والرقة عليهم وإدخال السرور عليهم من الرحمة وأما عدم المبالاة فمن الجفاء والغلظة والقسوة كما قال بعض جفاة الأعراب حين رأى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقبلون أولادهم

الصغار فقال ذلك الأعرابىُّ إنَّ لى عشرةً من الولد ما قبَّلْتُ واحداً منهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أو أملك لك شيئاً أن نزع الله من قلبك الرَّحمة ؟ ومن الرحمة رحمةُ المرأَةِ البغىِّ حين سقتْ الكلب الذى كادَ يأكلُ الثَّرى من شدَّة العطش فغفر الله لها بسبب تلك الرَّحمة ، وضدُّها المرأة التى ربطت الهِرَّة لا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكلُ من خشاش الأرض .

ومن ذلك ماهو مشاهدٌ مجربٌ إن مَنْ أحسن إلى بهائمه بالإطعامِ والسَّقى والملاحظة النَّافعه أنَّ الله يبارك لهُ فيها ، ومن أساء إليها عُوقب فى الدنيا قبل الآخرة ، نسأل الله أنْ يجعلَ فى قلوبنا رحمةً تُوجبُ لنا مغفرةً لذنوبنا .

مِنْ حقِّ المسلم على أخيه المسلِم

عنْ أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ قيل : وَما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال إذا لقيتهُ فسلم عليه وإذا دعاك فأجبْه وإذا استنْصحك فانصحْ لهُ وإذا عَطس فحَمَد الله فشَمِّته وإذا مَرِض فعده وإذا مات فأتبعهُ . رواه مسلم .

هذهِ الحقوق الستَّة مَنْ قام بها فى حقِّ المسلمين كان قيامه بغيرها

أولى وحصل له أداء هذه الواجبات والحقوق التي فيها الخير الكثير والأجر العظيم من الله.

أولاهن، إذا لقيته فسلم عليه فإن السلام سبب للمحبة التي توجب الإيمان الذي يوجب دخول الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم والسلام من محاسن الإسلام فإن كل من المتلاقيين يدعو للآخر بالسلامة من الشرور وبالرحمة والبركة الجالبة لكل خير ويتبع ذلك من البشاشة وألفاظ التحية المناسبة ما يوجب التآلف والمحبة ويزيل الوحشة والتقاطع فالسلام حق للمسلم وعلى المسلم عليه رد التحية بمثلها أو أحسن منها وخير الناس من بدأهم بالسلام.

الثانية إذا دعاك فأجبه أي دعاك على مباح فلب دعوته وكل من طعامه وأظهر السرور له.

الثالثة: إذا استنصحك فانصح له أي إذا استشارك في عمل من الأعمال هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تحبه لنفسك فإن كان العمل نافعاً من كل وجه فحثه على فعله وإن كان مضراً فحذره منه وإن كان محتوياً على نفع وضرر فبين له مضاره ومنافعه وابذل له محض نصحك وإياك أن تغشه في شيء من

ذلك فمنْ غشَّ المسلمين فليسَ منهم وقد تركَ واجبَ النصيحة .

الرَّابعة: إذا عطس فحمد اللهَ فشمتهُ وذلك إنَّ العاطس متى حمدَ الله على نعمة العطاس لخروج الرِّيح المحتقنة فى أجزاءِ بدنه يسَّر اللهُ لها منفذاً تخرجُ منهُ فيستريحُ العاطسُ لذلك شرع لهُ أنَّ يحمد اللهَ على هذهِ النعمةَ وشرع لأخيه أنْ يقولَ لهُ يرحمكَ اللهُ وأمر أنْ يجيبهُ بقولهِ يهديكمُ الله ويصلحُ بالكمْ فمنْ لم يحمد الله لم يستحقْ التَّشميت وفوَّت على نفسهِ دُعاء أخيهِ المُسلم له .

الخامسةُ :وإذا مرِضَ فعدهُ عيادةُ المريض منْ حقوقِ المسلِم وخصوصاً منْ لهُ حقٌ عليك متأكدٌ كالقريبِ والصَّاحب وهى مِنْ أفضل الأعمال الصَّالحة ومَن عاد أخاهُ المسلِم لم يزل يخوضُ فى الرَّحمةِ فإذا جَلسَ عندهُ غمرتهُ الرَّحمة وَمن عادهُ أوَّل النَّهار صلَّت عليه الملائكةُ حتَّى يمسى ومنْ عادهُ آخر النهار صلَّت عليه الملائكةُ حتى يصبح وينبغى للعائد أنْ يدعو لهُ بالشفاء وينفِّس له ويشرح صدرهُ بالبشارة بالعافية ويذكِّرهُ التوبة والإنابة إلى اللهَّ والوصية النافعة ولا يطيلُ عِندهُ الجلوس بلْ بمقدار العيادة إلاَّ أنْ يؤثر المريض كثرة جلوسه عِندهُ فلكلٍّ مقامٍ حقهُ .

السَّادسة : وإذا مات فاتبعهُ فإنَّ من تبع جنازة حتى يصلِّى عليها فلهُ

قيراطٌ من الأجر فإن تبعها حتى تدفن فله قيراطان واتباع الجنازة فيه حقٌ لله وحق للميت وحقٌ لأقاربه الأحياء .

توحيد الله وإفراده بالعبادة

قال الله تعالى (شرعَ لكم منَ الدين ماوصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيمَ وموسىَ وعيسىَ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبُرَ علَى المشركين ما تدعوهم إليهِ الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من يُنيبُ) .

تتحدثُ هذه الآيةُ من جوانبَ من الموضوعات بطريقة تدعو إلى المزيد من التدبُّر والملاحظة فهى تعرضُ من جوانبَ متعددة فى وحدانية الله الرازقُ المتصرفُ فى القلوبَ والمصير وعن حقيقة الرسالة التى تقررُ وحدانيةَ الله سبحانه أنه السلام الممتدُّ بين المؤمنين بدين الله الواحد السائرين عَلَى شرعه الثابتِ وانتفاء الخلاف والشقاقِ والشعور بالقربى الوثيقةِ التى تدعـــو إلى التآلف والتضام ووصل الحاضر بالماضى والماضى بالحاضر فشرعَ الله منَ الدين على محمدٍ ما شرعه على نوحٍ وإبراهيم وموسىَ وعيسىَ (شرعَ لكم من الدين ماوصّى به نوحاً والذى أوحينا إليكَ وما وصّينا به إبراهيم وموسىَ وعيسىَ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (واسألْ من أرسلنا منَ قبلكَ من رُسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يُعبدونَ) .

وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنا معشر الأنبياء ديننا واحد والشرائع مختلفة) فالدعوة والعبادة إسم جامع لغاية الحب في الله والذل له فمن ذل له من غير محبة لم يكن عابداً ومن أشرك غيره لم يحصل له حقيقة المحبة (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) الآية ومن المحبة الدعوة إلى الله وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فالدعوة إلى الإيمان هي الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله ورسوله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال فالدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وصفهم الله بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس).

والقلب المعمور بالتقوى إذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعي فإنه متى وقع عنده وحصل في قلبه ما يظن معه أن هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي ، والذين ينكرون الإلهام ليس طريقاً إلى الحقائق مطلقاً

أخطأوا ، وقد قال عمر بن الخطاب اقربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون فإنهم تجلى لهم أمور صادقة .

وحديث مكحول المرفوع « ما أخلص عبد العبادة لله تعالى أربعين يوماً إلا أجرى الله الحكمة من قلبه على لسانه » وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء) ومن كان معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية فإنه يعرف ذلك معرفة تامة لأنه قاصد العمل بها فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى إن المحب يعرف من محبوبه مراده منه تلويحاً لا تصريحاً . وفي الحديث الصحيح (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبطش به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة .

وإذا كان الإثم والبر في صدور الخلق له تردد وجولان فكيف حال من قال الله فيه « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » .

فإذا كانت الفطرة مستقيمة على الحقيقة منورة بنور القرآن

تجلت لها الأشياء عَلَى ما هي عليه في تلك الزوايا وانتفت عنها ظلمات الجهالات فرأت الأمورَ عياناً مع غيبها عن غيرها .

وفي السننِ والسند عن النوّاس بنِ سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضربَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً وَعَلَى جنبات الصراط سوران وفي السورين أبواب مفتحة وَعَلَى الأبوابِ ستور مُرْخاة وداع يدعو عَلَى رأسِ الصراطِ وَداع يدعو من فوقِ الصراطِ والصراطُ المستقيم هوَ الإسلامُ والستور المرخاةُ حدودُ اللهِ والأبوابُ المفتحة محارمُ الله فإذا أراد العبدُ أن يفتح باباً من تلك الأبواب ناداهُ المنادي ياعبد الله لاتفتحه فإنك إن تفتحه تلجهُ والداعي عَلَى رأسِ الصراطِ كتابُ الله والداعي فوق الصراطِ واعظُ الله في قلبِ كلّ مؤمنٍ).

هذا الحديثُ عظيمُ الفائدةِ من عرفهُ انتفع به انتفاعاً بالغاً إذا ساعده الله بالتوفيقِ واستغنى بهِ عن علوم كثيرةٍ .

فإذا كان القلبُ معموراً بالتقوى انجلت له الأمورُ وانكشفت له حقائق فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ونما فيه واعظُ الترغيب والترهيبِ .

وإذا كانَ القلبُ خراباً أظلمَ وتخبّط في ميدانِ المعاصي والكفرِ

قال حذيفةُ بنُ اليمانى إنَّ فى قلبِ المؤمنِ سراجا يزهرُ وسعاه يهديه إلى الطريقِ القويمِ عَلَى قدرِ نوره فكلما قوى نورُ القلبِ قوى إيمانهُ وَانكشفتْ له الأمور وعرفَ حقائقها من بواطنها وكلما ضعفَ نورهُ ضعفَ إيمانهُ .

الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين

قال اللهُ تعالى (ياأيها الذينَ آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ وَمن يتولهم منكم فإنه منهم . إنما وليكم الله ورسوله والذينَ آمنوا الذين يقيمون الصلاةَ ويؤتونَ الزكاة وهم راكعونَ وَمن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودةِ وقدْ كفروا بما جاءكم منَ الحقّ) الآية .

وقال تعالى (لاتجدُ قوماً يؤمنونَ بالله واليوم الآخر يوادونَ من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمانَ وأيدهم بروح منه ويدخلهم جناتٍ تجرِي من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها رضى الله عنهم ورضوا عنهُ أولئك حزبُ الله ألا إنَّ حزبَ الله هم المفلحونَ) .

وقال تعالى (إنما المؤمنونَ إخوةٌ).

وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مثلُ المؤمنين فى توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثلِ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمّى والسهرَ) وقال صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمونَ من لسانه ويده، والمؤمنُ من أمِن جارهُ بوائقهُ).

وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمهُ) وقال ﷺ: (والذى نفسى بيده لا يؤمنُ أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وقال عليه الصلاة والسلام (والذى نفسى بيدهِ لا تدخلونَ الجنةَ حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) قال تعالىَ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) فقد أمر الله المؤمنين بالائتلاف ونهاهم عن الاختلافِ فأئمةُ الدين هم على منهاج الصحابة رضوانُ الله عليهم أجمعين فالواجبُ على كل مسلم ومؤمنٍ موالاةُ المؤمنينَ وعلماءِ المؤمنينَ وأنْ يقصدَ الحقَّ ويتبعهُ حيثُ وجدهُ ويعلم أنَّ من اجتهدَ منهم فأصابَ فله أجرانِ ومَن اجتهد منهم فأخطأ فله أجرٌ لاجتهادِهِ وخطؤهُ مغفورٌ له وعلى

المسلمين أن يتبعوا إمامهم إذا فعل ما يسوغ ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنما جعل الإمام ليؤتم به) .

نصرة الله لأوليائه

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) فالولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد وسمي الولي وليا من موالاته للطاعة ومتابعته لها ، والأول أصح والولي القريب فيقال هذا ولي هذا أي يقرب منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر أي لأقرب رجل إلى الميت وأكده بلفظ الذكر) .

وجاء في الحديث إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين به والوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود قال : من أحب لله

وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديا له كما أن أفضل الأولياء الأنبياء وأفضل الأنبياء أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين . قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المتقين وخطيب الأنبياء يوم القيامة وصاحب المقام المحمود والحوض المورود وشفيع الخلائق يوم الجزاء والحساب فهو صاحب لواء الحمد والوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقا وأولهم بعثا كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة فهدانا الله له) ، الناس لنا تبع فيه غدا لليهود

ويعد عداً للنصارى) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا أول من تنشق عنه الأرض) .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله فالناس متفاضلون في الولاية لله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق .

قال الله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) .

وثبت في الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهاراً من غير سر (إن آل فلان ليسوا بأولياء يعني طائفة من أقاربه إنما وليي الله وصالح المؤمنين) وهذا موافق لقوله تعالى (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) .

فى سبيل الله

قال تعالى (قتل أصحابُ الأخدود النار ذاتِ الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) .

كان فيمن قبلنا من الأمم السابقةِ ملك له هواية بالسحر والسحرةِ وعنده ساحر خاص يكرمه ويبذلُ له الأموال ، ولما تقدمت به السن وضعف جسمه وشعر بضعف حواسه وأحس باقترابِ أجلهِ طلبَ من الملك أن يختار له غلاماً كما يريدُ ليعلمه وكانَ فى طريق الغلام متعبدٌ يصلى ليله بنهارهِ فى عبادةِ الله ورأى الراهبُ الغلام فعجب من أمره وفهم حقيقة حاله فرثى له وأراد أن ينقذه وبدأ يستأنسُ بكلامه وأخذ يسأله عن معبودهِ كلما مر بهِ فلم يزل بهِ الراهبُ حتى أخبره فقالَ إنى أعبدُ الله الذى خلق هذه السماء وكواكبها وشمسها وقمرها وهذا الليل والنهارَ وهذه الأرضَ وجبالها وأشجارها وثمارها .

قال الغلام وأنا أعبد الله لا أشركُ به شيئاً كما تعبدهُ أنت ثم يتركُ الراهبَ ويذهبُ إلى الساحر وهناك يضربه الساحر ويذيقه ألوانَ العذابِ لتأخرهِ ، ولكن الغلام يرى راحةً روحية تسرى فى قلبهِ سريانِ الأضواء فى الظلماء ووجدَ حلاوةَ هونت فى نظره ما يجدهُ

عن الساحر من عناء وألم وفي سبيل الحق يحلو التعب ويهون الصعب
وظل الغلام يتردد بين الساحر والراهب فإذا قال له أهله لماذا
تأخرت قال حبسني الساحر وإذا قال له الساحر لماذا تأخرت قال
حبسني أهلي ونجا من سطوة الساحر بهذه الحيلة ، وبينما هو ذات
يوم في طريقه إذا بأسد عظيم قد حبس الناس ومنعهم من الذهاب
فحار في أمره ماذا يفعل وهو يرى محنة الفتى فتفكر قليلاً ثم قال اليوم
أعلم أيهما أفضل الساحر أم الراهب وأخذ حجراً وقال اللهم إن
كان أمر هذا الراهب أحب إليك من الساحر فاقتل هذا الأسد
حتى يمضي الناس ورماه بالحجر فقتله ووقف وقد عقدت الدهشة
ألسنتهم لهيبة الغلام الصغير إنه ولي من أولياء الله . وتقدموا إليه
يطلبون منه الدعوات وذهب الغلام إلى الراهب مسرعاً وأخبره
الخبر وقص عليه ما حدث .

فقال له يا بني أنت اليوم أحسن وأفضل مني فقد بلغ من أمرك
ما أرى من صدق اليقين وكمال الإيمان وصمت الراهب ودمعت عيناه
واستبان الغلام بكاء الراهب وقال ما يبكيك قال إنك ستبتلى فإن
ابتليت فلا تدل علي وظل الغلام يفكر في أمره ثم قال آمنت
بالله وليفعل الله ما يريد .

وهكذا أخذَ شأنهَ يرتفعُ ويعلو فما منْ شيء يضعُ يدهُ عليهِ إلاَّ ويباركُ اللهُ له فيهِ حتىَّ إنه يبرِىءُ الأكمهَ والأبرص بإذنِ اللهِ ويداوي الناسَ منْ سائر الأمراضِ وَأصبحَ له شهرةٌ حتىَّ إنه سمعَ جليسُ الملك قد عمى بشفاء الكثيرين على يد هذا الغلام وَجمعَ تحفاً وَهدايا لهذا الغلام وذهب إليهِ وقال إن أنا شُفيتُ فهذه لكَ ، قال الغلام لستُ أشفي أحداً إنما يشفي اللهُ تباركَ وتعالى ، فإنْ آمنتَ بهِ دعوته لكَ فشفاكَ وبهتَ الأعمىَ وَوَقفَ حائراً هلْ يتركُ دين الآباء وَالأَجدادِ وَيشفى من مرضه أمْ يبقى على دِين آبائه وَأجدادهِ وَيبقى فى ظلمةِ العمى بقيةَ حياتهِ .

وَلكنهُ آمنَ باللهِ على يدى الغلام فدعا لهُ فشفاه اللهُ وَرجعَ إليه بصرهُ ، وَعادَ كما كانَ وَأتى إلى الملك وَجلسَ إليه كما كانَ يجلسُ فعجب الملك لأمره ولم يتمالكْ نفسه فقالَ منْ ردَّ إليك بصركَ ؟ فقالَ له فى عزم وصرامةٍ ربى الذى ردَّ علىَّ بصرى ، قالَ له أولك ربٌ غيرى قال ربيِّ وربك اللهُ ..

سادَ الصمتُ ودهشَ الملك منْ هـــذا الجليس كيفَ تبدَّلُ وبلغتَ بهِ الجرأةُ إلى حد المجابهةِ والصراحةِ التي ليس لها جزاءُ عندهُ إلا الموتُ العاجلُ والعذابُ المبينُ .

ثم أخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام وجيء بالغلام إلى الملك فقال له أي بنيَّ قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الأكمه والأبرصَ وتفعلُ ما تفعلُ .

فقالَ الغلام إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله سبحانه وتعالى وكادَ الملك يصعقُ من هذه الصراحةِ التي تجاوزت الحدّ إنَّ هذا الغلامَ هو الذي اختاره الملك بنفسه للساحر ليلقّنه علمَ السحر وليكونَ في طاعته وتحتَ أمره وإشارته فكيفَ به يخرجُ عن الطريق الذي وضعهُ له والخطة التي رسمها لحياته ؟ إن معلمه الذي عهده الملكُ لا يشفي الأبرصَ ولا غيره فكيف جاءتْ هذه المهارةُ في هذا الصبيِّ وصمت قليلاً يفكرُ ثم قال إنني أغالط نفسي إنَّ هؤلاء مؤمنونَ بالحقِّ وأنا الذي يجبُ أنْ أسير معهمْ في طريقِ الهدىَ والرشادِ ولكنَّ شيطانه لم يدعه يستجيب لصوت الحقِّ وإنما حملَ عليه ولوّح له بالذلة والهوان وزوالِ ملكه حتى اكفهرَّ وجهه وقطب جبينه وأمر بأنْ يعذَّب الغلامُ بأنواع العذابِ حتى يدلَّ على الراهبِ ، وقال الملكُ كيف تسمح أيها الشيخُ أنْ تضلَّ الناس على هذه الصورة المنكرةِ والجريمة التي لا جزاء لفاعلها عنـدي إلاَّ القتلُ ؟ ألم تعلم أنني أنا ربكم جميعاً .

قال الشيخ ربي وربك الله فقال له الملك أصمت وحذار أن تفتح فك مرة أخرى إرجع عن دينك وإلا فجزاءك القتل قال إن ربي وربك خالق السموات والأرض لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما تشركون .

ومضت ساعات ثم جيء بالراهب أمام الملك وأمر بإحضار منشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه على الأرض ثم جيء بجليس الملك فقال له في حنان وعطف أنت جليسي ولك شرف الصحبة ولا يليق أن تضرب بسابق مودتك عرض الحائط وتسعى وراء أوهام وإني سأعرض عليك أمراً فهل توافقني عليه ؟ قال ما هو ؟ قال إرجع عن دينك .

قال لن أرجع عن ديني أبداً إن الإيمان نور إذا دخل القلب أشرق فيه ولن يظلم بعد ذلك ولك البدن فافعل به ما تشاء ولم يجد الملك مناصاً من المنشار فوضعه على مفرق رأسه فشقه به حتى وقعت شقاه على الأرض وسالت الدماء .

ثم جيء بالغلام فقال له الملك إرجع عن دينك يا بني نخير لك أن تحيا بيننا حياة سعيدة خاصة وقد وهبت من الفطنة والذكاء ما يؤهلك لأسمى المناصب وأعلى المنازل ولكن الغلام قال إن لي ربا

يدفعُ عنى فدفعهُ الملكُ إلى نفرٍ من أصحابهِ وقالَ إذهبوا بهِ إلى جبلِ كذا وكذا فاصعدُوا بهِ الجبلَ فاذا بلغتم ذروتهُ فإنْ رجع عَنْ دينهِ فاتركوهُ وإلا فاطرحوهُ من فوقِ الجبلِ وذهب بالغُلام إلى حيثُ أمرَ الملِكَ فقصدَ به الجبَل فلما بلغ ذِروتَه قال اللَّهمَّ اكفنيهمْ بما شئت فرجفَ الْجبلُ بهم رجفةً فَسقطُوا من فوقه ولمْ يصَب الغُلامُ بسوءٍ وجاء يمشى إلى الملِكِ فى تحدٍّ ظاهرٍ واعتمادٍ على اللهِ كبيرٌ فعجبَ الملِك حين رآهُ ولم يجد معه أعوانَهُ قال مافعلَ أصحابُك ؟ فأجابَ كفانيهمُ اللهُ فقال لأعوانهِ الآخرين اذهبوا به فاحملُوهُ فى سفينةٍ وتوسَّطوا به البحرَ فإنْرجعَ عن دِينــــه فاتْركوهُ وإن لم يرجعْ فاقذِفوا به فى قاع البْحرِ فذهَبوا به حَيثُ أمرهُمُ الملِكُ فقال الغُلامُ اللهمَّ اكفِنيهم بما شئت فانكفأتْ بهمُ السفِينةُ فغَرِقوا جميعاً ولم يُصِب الغُلامُ بشىءٍ ورجع سالِماً فبُهتَ الملكُ وعجِبَ من أمره وأدركَهُ شىء من الخوفِ إلا أنه قال : ما فعل أصحابُك ؟ فقال فى شجاعةٍ وإيمان كفانيهمُ اللهُ تعالى وإنك لستَ بِقاتِلى حتى تفعلَ ما آمرك به فقالَ الملكُ بلهفة ما هو ؟

قال تجمعُ النَّاسَ فى صَعيدٍ واحدٍ وتصلبنى على جِذعٍ ثم تأخُذ سهماً من كِنانتِى ثم ضع السهمَ فى كبَدِ القوس ثم قُلْ بسْم الله ربِّ الغُلام ثم ارْم به فانَّك إذا فعلت ذلك قتلْتنى فجمع الملكُ الناس

وَصلبه على جِذعٍ ثم أَخذَ سهماً من كِنانتِه ووضعهُ فى كَبِدِ القَوْسِ ثُمَ قالَ بِسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلامِ ثمَّ رَماهُ فوقعَ السَّهْمُ فى صَدغِ الغُلامِ فماتَ ولـكِنْ وقعَ ما كانَ يخشاه وما كانَ يُريدُهُ الغُلامُ بعدُ، قال النَّاسُ جميعاً فى قوَّةٍ وعَزمٍ آمنا بِرَبِّ الغُلامِ .

وأَبىَ المَلِكُ على النَّاسِ وأَمرَ بحَفرِ الأَخاديدِ فى أفواهِ الطُرُقِ وأُضرمتِ النَّارُ وقال المَلِكُ لأعوانهِ من لم يرْجعْ عنْ دينهِ فاقذفوهُ فى النَّارِ ، وظَلَّ أعوانُ المَلِكِ يقذِفونَ النَّاسَ من المُؤْمنين باللهِ حتى جاءَتْ امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتراجعَتْ لا خوفاً من النَّارِ أوجبناً بلْ خوفاً على صبيها فقالَ الصَّبىُّ لأُمّه اصبرى فإنَّكِ على الحقِّ وذُهلَ الناسُ من إقدام المرأةِ على النَّارِ وكأنما تَوَدُّ لقاء عزيز لديها ، ولِذا قالَ اللهُ تعالى (قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ النَّار ذاتِ الوَقودِ إذ هم عليها قعودٌ وهم على ما يفعلون بِالمُؤمنينَ شُهودٌ) .

النهى عن إتيان الـكاهن والمنجم ونحوهم

عن عائِشَة رضى اللهُ عنها قالتْ : سَأَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أُناسٌ عن الـكُهَّانِ فقالَ ليسوا بشىءٍ ، فقالوا يا رسول اللهِ إنهُمْ يحدثونا أحياناً بشىءٍ فيـكونُ حقّاً ؟ فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلكَ الـكلمةُ من الحقِ يخطفها الجنى فيقرُّها فى أُذُنِ وليه

فيخلطون معها مائة كذبة . متفق عليه . وفى رواية للبخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم قوله فيقرها هو بفتح الياء .

وعن قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت رواه أبو داود باسناد حسن والطرق زجر الطير وهو أن يتيمن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن ، وإن طار جهة اليسار تشاءم والعيافة الخط والجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من السحر اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد . رواه أبو داود باسناد صحيح .

وعن معاوية بن الحكم رضى الله عنه قال قلت يارسول الله إنى حديث عهد بالجاهلية ، وقد جاء الله تعالى بالإسلام وإن منا رجالا يأتون الكهان ، قال فلا تأتهم قلت منا رجال يتطيرون ؟ قال كان نبى من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك . رواه مسلم .

وعن ابن عُمرَ رَضىَ اللهُ عنهُما قالَ قال رسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم لاَعَدْوى وَلاَ طيرةَ وَإن كان الشُّؤم فى شىءٍ ففى الَّدارِ وَالمرْأة وَالفرسِ مُتفقٌ عليْهِ .

وَعنْ عُروَةَ بن عَامر رضى اللهُ عَنه قالَ : ذكَرْتُ الطيرَةُ عنْدَ رسُول الله صلَّى الله عليه وَسلَّم فقَالَ أحْسنُها الفأْلُ وَلا تردُّ مُسْلِماً فإذَا رَأَى أحَدكُمُ ما يَكْرَهُ فليقُلْ اللَّهم لا يَأْتى بالحَسنَاتِ إلاَّ أنتَ وَلاحَولَ ولا قُوَّة إلا بِكَ . رَوَاه أبو داوُد باسْنَادٍ صَحِيحٍ .

قيمة ملك وثمن مملكته

اضَّطجعَ هارُون الرَّشيدُ الخليفَة العبَّاسىُّ على الفُرُش الوثيرةِ الغَالية الثمنَ وَقدْ بدتْ عليْه دَلائلُ الَّتفكير وَالخيَال المضطَرب وَالأَوهام السَّابحة فى هذه الحَياَة فى كلّ نَاحيةٍ من نواحيهاَ وَيهيم فى أرْجائها وهو مُعقَّدُ الجْبين وتنهَّدَ تنهِدَة حرَّاى وَزَفر زفراتٍ حانقة مُغتاظة ، لِمَ هذا الهم ولمَاذَا الَّتفكير كلُّ شىء على مايُرامُ ، المملكة سائرة فى الطَّريق المستَقيم كما يُحِبُّ ويرْجو والفتوحات تتوالىَ فلا هزيمة ولا نكوصَ ولا ضعفَ ، فعلَمُ الأسْلام يُرَفرف فى أرجاء البلادِ عزيزاً يُدافعُ عنه رجالٌ أشدَّاءُ أقوياء بذَلوا فى سَبيل نصرته الدماء والأرْواح والنَّصرُ حليفُه فى كل المواقع .

ومادَامَ الأَمر على هذا الوَضع فلِمَ يشعُر أميرُ المؤمنين بهــذا الانقباض الـكئيب والضِّيق الشديد ؟

إنَّ النَّفس البشريَّة غامضة كلَّ الغموض غريبةٌ إلى حدٍّ كبير لا تستقرُّ على حال من القلق والاضطراب وكأنَّما فُطرتْ على ذلكَ وَجُبلَتْ عليه ، إنَّ الفقير يتمنى الغنى والثروة والوضيع يرْجو الشَّرَفَ والجاه والمريض يتمنىَّ الشفاء والعافية ، وكلٌّ واحــدٍ من هَؤلاء لو اعتراه الهمّ وَالـكرب وَأضناه النَّصَب وَالعناء فى سبيل تفـكيره في هذه النَّاحية لمَاليم على ذلك ولاعُوتب فيه ، فمن حقّه أنْ يحيا سعيداً مُنعما مادام يرى السَّعادة فى نيْل هذه الأشياء التي تَنقُصُه والحصول على هَذه النَّواحى التى يجدُ فيها تحقيقَ أمله والوْصُول إلى أهدافه وأمانيِــــــه .

ولاغرابة فى هذا ولـكن الغرابة والعجَبَ فى حالِ هَؤُلاء الَّذين نالُوا أَوْفر الغنى وجلسُوا فى أرفع المَجَالس وَأَسمى الأَماكن وَلهُمْ من الصِّحة وَالقوَّة والولد والجَاه أعظم مايتمناه إنسانٌ .

علامَ يحزنُ هؤلاء ؟ وفى أيِّ شيء يفـكرّون ؟ وإلى أيّ غاية يذهبون إنه العجز من فهم أسرار الـكون .

التجأ الخليفةُ الوقور إلى ما يلتجىء إليه عادةً عندما يضيق منه الصدرُ ويشتدُّ الكربُ التجأ إلى العِبْرة والعِظة ، يتلقاها من أفواه أصحابها الذين لهم فيها قدمٌ راسخةٌ وإيمانٌ ثابتٌ وقوّةُ يقين إلى الورع والتقوى يُبصرُ في ضوءها الحقّ واضحًا والأمرَ جليًّا لا غموضَ فيه ولا ارتيابَ ، إلاّ الذين أحبُّوا الله فأحبّهم فسعدوا بهذا الحبّ وارتضوه وحدَه لا شريكَ له .

إلى الذين لم يُقيموا للنَّاس وزنًا إلاّ بقدرِ ما وضعهم الله فيه من مكانةٍ وخصّهم به من ميزة ، فلم يدخل في معاييرهم المالُ والجاهُ ولا المنصبُ والثروةُ وإنَّما التقوى التي تملأ القلبَ وتعمرُ الصَّدرَ وتُنيرُ الفُؤاد ، هي الميزانُ الدقيقُ الذي به ترتفعُ قيمُ النَّاسِ .

وكانَ الرَّشيدُ يعتقدُ أنَّ هؤلاءِ الزُّهادِ والواعظين المخلصينَ أحقُّ النَّاس بالاحترام والتَّقدير ، وكانَ ابنُ السماكِ واعظًا من الزُّهادِ خرج منَ الدُّنيا ولم يعدْ له فيها مطمعٌ ينظرُ إلى ركبها السائرِ وحرصه المستمرّ .

دخلَ ابنُ السماكِ على هارونَ الرَّشيد في روعتهِ وجلالِ المُلك وجلسَ بجانبِ أمير المُؤمنين ولم ينظرْ إلى غناهُ وهيبتهُ ، ولم

يأبه بخدمه وحشمه إلاَّ أنَّهُ يرى أميرَ المؤمنينَ هارونَ الرَّشيدِ أخاً مُسلماً وراعياً مُحافظاً ، يتحدَّث ابنُ السماكِ مَعَ أميرَ المؤمنينَ لاَ يخافُ إلاَّ اللهَ ولاَ يراقبُ غيرهُ ينصحُ لاَ يُخفى شيئاً .

وانشرح فؤادُ الخليفةِ عندما جلسَ إليهِ الواعظُ الزَّاهدُ فقال لهُ عِظْنِى ؟ وطلبَ هارونُ الرَّشيد ماءَ ليشربَ ولما جيء بالماء تركَهُ ابنُ السماكِ حتَّى كادَ يُوصلُ الماءُ إلى فِيه فقال ابنُ السماكِ على الفورِ على رِسْلكَ يا أميرَ المؤمنينَ فتوقَّف عن شُرْب المَاءِ وقالَ قُلْ ما بَدَا لكَ ، فقال يا أميرَ المؤمنينَ ، لوْ مُنِعتَ هَذِه الشَّرْبة بكمْ كُنتَ تشتَريها ؟ وذُهلَ الرَّشيدُ وحاوَل أنْ يتكلّم لقدْ كانَ السُّؤال حادًّا ولكِنْ لاَ مناصَ منْ الإجابة فقال أشتريها بنصف ملكي.

إنَّهاشربةُ غاليةَ الثمن وشربَ ولكنَّهُ لمْ يدْرِ كيف شرب لقدْ أيقن أنَّ ابنَ السماكِ وضع لهُ خُطةً هذه مقدِّمتها ، وما أشبه حال الأمير فى هذه الحالة بحال تلميذٍ ذكيٍّ أمام أُستاذ جبَّارٍ قدْ لاَ يُفيدُ معهُ الذكاءُ إذا لمْ يبحث عنْ مخرجٍ ، وما كادَ الأمير يجدُ لذَّة المَاءِ فى حلقهِ حتَّى قال لهُ ابنُ السَّماك فى كل بساطةٍ .

أسألك بالله لو مُنعتَ خروجَ هذه الشربة من بدنك بماذا كنت تشتريها ؟! وأدرك ابن السماك بأيمانه وورعه وتقواه أنه غزا قلب الأمير، وعلم الأمير أنه مهزوم أمام الحقيقة المرة فقال له أشتريها بالنصف الآخر من مُلكى، وملأت البسمة وجه الزاهد بسمة الظفر والانتصار حيث وصل إلى قلب أمير المؤمنين وصوَّر له قيمته أمام القدرة الربانية وثمن مملكته بشربة ماء !!

بالله إن الفكر ليتيه حائراً فى هذا الملكوت والتفكير فى هذه النواحى، وواجب كل إنسان ليهتدى إلى الله الذى يعلم السر وأخفى، أين الخلافة فى زمن هذا الأمير من الخلافة فى زمن الخلفاء الراشدين، أين هى من عصر النبوة، تصور هذا كله الخليفة العباسى ورأى حقارة الإنسان، ولم يتمالك وطفق يبكى فقد عرف نفسه وقيمة ملكه، واحترم ابن السماك هذا الشعور السامى والإحساس الرفيع فلاذ بالصمت .

فضل حلق الذكر وسعادة أهلها

قال الله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) الآية .

وعنْ أَبى هُرَيرة رضى اللهُ عنهُ قال : قال رَسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم : إنَّ للهِ تعالى مَلائـكةً يَطوفُونَ فى الطُّرقِ يَلتمسُونَ أَهْلَ الذِّكرِ فَإذا وَجدوا قوْماً يَذكُرونَ اللهَ عزَّ وَجلَّ تنَادَوْا هَلُموا إلى حاَجتكُم ؟ فيحفونَهُمْ بأجنحتِهِمْ إلى السَّماء الدُّنيا فيَسأَلهُمْ رَبُّهُمْ وهُوَ أَعْلم بهِمْ مايَقولُ عِبَادى ؟ قالوا يُسَبِّحُونكَ وَيُكبِّرونكَ وَيحْمدُونكَ وَيُمجدُونكَ ، فيقُولُ هَلْ رَأَوْنى فيقُولونَ لا يارَبِّ ، فيقُولُ كَيفَ لَوْ رَأَوْنى فيقُولُون لو رأوكَ كانوا أَشدَّ لكَ عِبَادةً وَأَشدَّ لكَ تمْجِيداً وَأَكثرُ لكَ تسبيحاً ، فيقُول فمَا يَسأَلون ؟ قَال يقُولونَ يسأَلونكَ الْجنة قَال يَقُول وهَلْ رأَوْهَا ؟ قَال يَقولونَ لاَ وَاللهِ يا ربِّ ما رأَوْها ، قَال يقُولُ فكيف لوْ رأَوهَا ؟ قَال يقُولونَ لو رأَوْها كانُوا أَشدَّ عَليها حِرْصاً وَأَشدَّ طلباً وَأَعْظمَ فيها رغبةً ، قَال فَمِم يَتعوَّذونَ قَال يقُولونَ يَتعوَّذونَ مِن النَّار قَال فيقُول وهلْ رأَوْها ؟ قال يقُولونَ لاَ وَاللهِ ما رأَوْها فيقُول كَيفَ لو رأَوهاَ قال يقُولونَ لو رأَوها كانُوا أَشدَّ مِنها فِراراً وَأَشدَّ لها مخافةً ، قال فيقُول فأشْهدُكم أَنى قدْ غفرتُ لهم قال يقُول ملكٌ مِن الملائِكةِ فيهمُ فُلانٌ ليْسَ مِنهم إنَّما جاَء لِحَاجةٍ ، قال هُمُ الْجُلَساء لاَ يشْقَى بِهِمْ جَليسُهُمْ متفق عليه .

وفى رواية لمسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادٍ لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألون ؟ قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتى ؟ قالوا لا يارب قال فكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومما يستجيرونى قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوها ؟ قالوا لا قال فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا ويستغفرونك ؟ قال قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم.

وعنْ أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنهُ قال : خرَجَ مُعاويةُ رضيَ الله عنهُ عَلَى حَلقةٍ في المسجدِ فقال ما أجلسَكم ؟ قالوا جلسنا نَذْكُرُ الله قال آللهِ ما أجلسكُم إلاَّ ذاكَ ؟ قالوا ما أجلسنا إلاّ ذاكَ قال أما إنِّي لمْ أستَحْلِفكُم تهمه لكُمُ وما كانَ أحَدٌ بِمنزِلتي مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم أقلَّ عنهُ حديثاً مِنْ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم خرَجَ عَلَى حَلقةٍ مِن أصحابهِ فقال ما أجلسكُمْ قالوا جلسنا نَذْكُر الله وَنحمدُه عَلَى ما هدَانا لِلاسلامِ وَمنَّ بهِ عَلَيْنا قال آالله ما أجلسكُم إلاَّ ذاكَ ؟ قالوا آالله ما أجلَسْنا إلاَّ ذاكَ قال أما إنِّي لمْ أستَحلِفكُمْ تُهمةً لكُمْ وَلكنَّهُ أتاني جِبريلُ فأخبرني أنَّ الله يُباهِي بكُمْ الملائِكة . رواه مسلم .

استحباب التهنئة بالخير

قال اللهُ تعالى : (فَبَشِّر عِبادي الَّذِينَ يستَمِعُونَ القَولَ فيتَّبِعُونَ أحْسنهُ) . وقوله تعالى : (وَأبْشِرُوا بالجَنَّةِ الَّتِي كُنتمْ تُوعَدُونَ) . وقوله : (وَلَقدْ جاءتْ رُسُلنا إبرَاهيم بالبُشْرى) وقوله : (إذْ قالَتْ الملاَئِكَةُ يامَرْيم إنّ الله يُبَشِّرُكِ بِكلِمةٍ مِنْهُ اسمُهُ المسيحُ عِيسى ابنُ مَرْيم) الآية .

وثبتَ في الصحيحين : (أَنَّ النَّبي صلى اللهُ عَليهِ وسلم بشَّر خَديجةَ رضيَ اللهُ عنها ببيتٍ في الجَنَّة مِنْ قَصبٍ لا صَخبَ فيه وَلا نَصَبَ) .

وعن أبي مُوسى الأشْعرى رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّه توضَّأَ في بيتهِ ثُمَّ خَرَجَ فقال لألزَمنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ولأَكُونَنَّ معهُ يَوْمى هذا ، فجاءَ المسجدَ فسأل عنْ النَّبي صلى اللهُ عليه وسلم فقالُوا وجَّهَ هُهنا ، قال فخرجْتُ عَلَى أَثْره أسأَلُ عنهُ حتَّى دخلَ بِئْر أَريس فجلستُ عِنْد البابِ حتَّى قَضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهُ وَتوضَّأَ ، فقُمْتُ إليهِ فإذا هُو قدْ جلسَ عَلَى بِئْر أَريس وتوسَّط قُفَّها وَكشفَ عنْ ساقهِ ودلَّاهُما في البئْر فسلَّمتُ عليهِ ثُمَّ انْصرفْتُ فجلستُ عنْد البابِ فَقُلْتُ لأَكُونَنَّ بوَّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءَ أَبُو بكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ فَدفع البابَ فَقُلْتُ منْ هذا ؟ فقال أبو بكْرٍ فَقُلتُ عَلَى رسْلكَ ثمَّ ذهبتْ فقُلت يا رسول اللهِ هذا أَبُو بكْرٍ يستأْذِنُ فقال ائْذنْ لهُ وبشِّرْه بالجنَّةِ ، فأَقبلْتُ حتَّى قُلْت لأَبى بكْرٍ أدْخُل رَسولُ الله يُبشِّرك بالجَنَّة فدخل أبو بكْرٍ حتَّى جلس عنْ يمين النَّبى صلى اللهُ عليه وسلم معهُ في القُفِّ ودلَّى رجليْه في البئْر كما صنع رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم وكشفَ ساقيْه

م رجعتُ وجلستُ وَقدْ تركتُ أَخي يتوَضَّأ وَيلحقني فقلتُ إنْ يردِ اللهُ بفلان — يريدُ أخاهُ — خيرا يأتِ به ، فإذا إنسانٌ يحركُ الباب فقلتُ من هذا فقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ فقلت على رِسْلك ثمَّ جئتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمَّ فسلمتُ عليهِ وَقلتُ هذا عمرٌ يستأذنُ ؟ فقال إئذَنْ لهُ وبشره بالجنةِ ، فجئتُ عمر فقلتُ أذنَ ويبشرُكَ رسول الله صلى الله عليه وسلمَّ بالجنةِ فدخلَ فجلسَ معَ رسول الله صلى الله عليه وسلمّ فى القفِّ عنْ يسارهِ ودلىّ رجليهِ فى البئر ثمَّ رجعتُ فجلستُ فقلتُ إنْ يردِ الله بفلانٍ خيرا — يعنى أخاهُ — يأتِ به فجاء إنسانٌ فحرّكَ البابَ فقلتُ من هذا فقالَ عثمانُ فقلتُ على رسلكَ وجئتُ النبيَّ صلىَّ اللهُ عليه وسلمّ فأخبرتهُ فقالَ إئذَنْ لهُ وبشرهُ بالجنةِ معَ بلوى تُصيبهُ ، فجئتُ فقلتُ أدخلْ ويبشرُكَ رسول الله صلى الله عليه وسلمّ بالجنةِ معَ بلوى تصيبكَ فدخلَ فوجدَ القفَّ قــدْ مُلِىءَ فجلسَ وجاههمْ منَ الشقّ الآخرَ .

قالَ سعيدُ بنُ المسيبُ فاوّلتها قبورهم، متفقٌ عليهِ وزادَ فى روايةٍ وأمرنى رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم بحفظ البابِ وفيها أنَّ عثمانَ حينَ بشرهُ حمدَ الله تعالى ثمَّ قالَ الله المستعانُ وقولهُ وجه أى توجه نحو كذا والله أعلمُ .

من مواعظ القرآن

قالَ اللهُ تعالى (لو أنزَلنا هذا القرْآنَ على جبَلٍ لرأَيتهُ خاشِعاً مُتصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ الله وتِلْكَ الأمْثالُ نَضرِبُها للنَّاسِ لعلَّهم يَتفكَّرُونَ).

وقال تعالى: (يا أيُّها الذِين آمنوا قوا أنْفسكُمْ وأهْليكُمْ ناراً وَقودُها النَّاسُ والحِجارَةُ عليْها مَلائِكةٌ غلاظٌ شِدادٌ لا يعْصُونَ اللهَ ما أمرَهمُ وَيفْعلون ما يؤْمرُونَ).

وقال تعالى(ذَرْهُم يأكلوا ويتمتَّعوا ويُلْهِهم الأمل فسوف يعلمون) وقالَ تعالى (والذِينَ كفرَوا يتمتّعُون ويأكُلونَ كما تأكلُ الأنعامُ والنَّارُ مثْوىً لهُمَ).

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلَّمَ أنهُ قالَ: (لو أنَّ خازناً منْ خزَّانِ جهنمَ أشرفَ على الأَرضِ لمَاتَ أهلُ الأَرض ممَّا يرَونهُ منْ تشويهِ خلقهِ) وَكانَ عندَ النَّبى صلى الله عليهِ وسلَّمَ ذاتَ يوْمٍ شيخاً من أصحابهِ والنَّبيُّ صلى الله عليهِ وسلَّمَ يتلو قوْلهُ تعالى (يا أيها الذينَ آمنوا قوا أنْفُسكم وأهْليكمْ ناراً وَقودُها النَّاسُ والحِجارةُ) فقال الشيخُ يا رسولَ اللهِ حجارةُ جهنمَ كحجارةِ الدنيا فقال صلى الله عليهِ وسلَّم والذى نفسى بيده لصخر جهنمَ أعظم من جبال الدُّنيا

كلها فوقع الشيخُ مغشيًّا عليه فوضعَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يدهُ على فؤاده فإذا هو حيٌّ فناداهُ ياشيخُ قلْ لا إله إلا اللهُ فقالَ : لا إله إلاَّ اللهُ فبشرهُ بالجنةِ .

وثبتَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلمَ أنه قالَ مامنْ خارج يخرجُ منْ بيته إلاَّ ببابهِ رايتان رايةٌ بيدِ ملك وَرَايةٌ بيدِ شيطانِ فإنْ خرجَ لِمَا يُحبُّ الله عزَّ وجلَّ اتبعهُ الملكُ برايته وإنْ خرجَ لِمَا يسخطُ اللهَ اتبعهُ الشيطانُ فلمْ يزلْ تحتَ رايةِ الشيطانِ حتىَّ يرجع إلى بيته) أخرجهُ أحمد وَغيرُه .

وقولهُ تعالى (لوْ أنزلنا هذا القرانَ على جبلٍ لرأيتهُ خاشعاً مُتَصَدِعاً منْ خَشْيَةِ اللهِ) يخبر اللهُ سبحانهُ وتعالى في هذه الآيةِ عن عظمتهِ في القرآنِ وفضلهِ وجلالهِ وَكبريائه فإذا كانتْ هذه حالُ الجبالِ وهي الحجارةُ تصدعها وخشيتها وتدكُهاَ من جلالِ الله وعظمتهِ فالعجبُ كلَّ العجبِ منْ مضغة لحم كانتْ أقسى منَ الحجارةِ فليسَ بمستنكر على الله أن يذيقها عذابه وَعقابهُ فيخلق لها ناراً تربيها إذا لم تلنْ بكلامه ومواعظهِ .

اللهم حَبّبْ لنا ماوَهبتهُ لعبادكَ وانظمنا في سلكِ أوليائكَ

المقرَّ بين الأَبرار وآتنا فى الدُّنياَ حسنةً وفى الآخرةِ حسنةً وقناَ عذابَ النَّار .

ابن آدمَ يامن كُلماَ زان شأن يا منْ أَكثرَ الذُّنوبَ وما تابَ يا منْ بين يديهِ الموتُ والحسابُ والتوْبيخُ الشديدُ والعقابُ وكُلماَ عُوتبَ خرجَ من بابٍ إلى بابٍ أُفقْ فقدْ دناَ الموْتُ واقتربَ الحسابُ وأنتَ فى لهوِكِ وغفلتِكَ كالمرتاَب (إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لأولى الألبابِ) .

من المواعظ والقصص

قال اللهُ تعالى (هذا بيانٌ للنَّاسِ وهُدًى ومَوعِظَةٌ للمتَّقينَ) وقالَ تعالى(لقدْ كانَ فى قصصهم عبرَةٌ لأولى الألباب ما كانَ حديثا يُفْترى ولـكنْ تصْديقَ الذي بينَ يَدَيه وتَفْصيلَ كلٌ شيء وهُدًى ورحمةَ لقومٍ يؤمنونَ) وقالَ تعالى (وذ كِّرْهم بايَّام الله) .

ولما كانتِ المواعظُ للقلوب كانَ القرانُ كلهُ مواعظ وقصصاً وأخباراً وأنذاراً وعبراً وتخويفاً وتفصيلاً وزهداً وبشارةٌ وهدًى ورحمةٌ لقوم يؤمنون .

فسُنتهُ سبحانه فى الماضين عبرةٌ للمتأخِّرينَ فقد جرَى على هذهِ

الأمةِ من الوَقائعِ العظَام ما هوَ نذيرٌ لمنْ بعدهم من الجهْدِ والجوعِ وَالأمراضِ وَالاسقامِ والزلازلِ والفتنِ ما هو تذكِرةٌ لمن كانَ لهُ قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيدٌ .

حكىَ العمادُ بنُ كثيرٍ فى التَّاريخ أنه حَصلَ فى مصرَ وَما قاربَها من البلَادِ غلاءٌ وَجهدٌ هلكَ بسببهِ خلقٌ كثيرٌ من الفقراء وَالأغنياءِ ثمَّ أعقبهُ فناءٌ عظيمٌ حتىَّ حكىَ الشَّيخُ أبو شامَةَ فى الذَّيلِ أنَّ الملكَ العَادلَ كفَّن من مالهِ فى مدةِ شهرٍ من سنةِ سبعٍ وستينَ وَخمسمائةٍ منْ الهجرةِ نحواً منْ مائتىْ ألفٍ وَعشرينَ ألف ميتٍ وَأكلتِ الكلاَبُ وَالحيتانُ وَأُكلَ منَ الأطفالِ خلقٌ كثيرٌ وَذكرَ أموراً كثيرةً ثمَّ قال فى هذهِ القصَّةِ وَوَقعَ وباءٌ شديدٌ فى هذهِ السَّنةِ ببلادِ عنيزَةَ بينَ الحجازِ واليمنَ وَكانتْ عشرينَ قريةٍ فبَادتْ منهاَ ثمَانيةُ عشرةَ قرْيةٌ لم يبقَ منها ديارٌ وَلا نَافِخُ نارٍ وَبقيت أنعامهم وأموالهم لاقانى لهاَ وَلا يستطيعُ أحَدٌ أن يسكُنَ تلكَ القرَى وَلا يدْخلُهاَ بلْ كانَ من اقترَبَ إليها هلكَ منْ ساعتِه نعوذُ باللهِ منْ بأسهِ وَعذابهِ وغضبهِ وَعقاَبهِ أمَّا القرْيتاَنِ البَاقيتاَن فإنَّهُ لم يمتْ منهما أحدٌ ولا عندهم شعورٌ بماَ جرَى علَى منْ حولهم بلْ هم علَى حالهم لم يفقد منهُم أحَدٌ ولا عندهم من أمرهم خبرٌ فسُبحاَن الحكيمُ العليمُ .

وَفى القرنِ السَّادسِ من الهجرةِ النَّبوية أتاهم عارضٌ فيهِ ظُلماتٌ متكاثفةٌ وبروقٌ خاطفةٌ ورياحٌ عاصفةٌ فقوى الجوُّ بها واشتدَّ هبُوبُها حتىَّ انبثَّ لها أَعنَّةٌ مُطلقاتٌ وارتفعت لها صَفقاتٌ فرَجفت لها الجُدْرانُ وَصفَّقَتَ وَتلاقتْ عَلى بعدٍ وَاعتنَقتْ وَثارَتِ السَّماء والأَرضُ عجاجاً حتىَّ قيلَ إنَّ هذهِ انطبقَتْ وَلا يحسَبُ إلا أنَّ جَهَنمَ قد سالَ مِنها وَادٍ وَعَدا مِنها عادٍ وَزادَ عَصْفُ الرِّيحِ إلىَ أنْ أطفأ سِراجَ النجُومِ وَمزَّقَتْ أديمَ السَّماء وَمحتْ ما فوْقهُ من الرُّقومِ فـكُنا كما قالَ تعالىَ (يجْعلونَ أصابعَهُمْ فى آذانهِمْ منَ الصَّواعقِ) ويرُدُّونَ أيديهُم عَلىَ أعينهم من البَوارقِ لاعاصمَ لخطفِ الابْصَارِ ولا ملجأ من الخطبِ إلا معاقل الاستغفار وَفرَّ النَّاسَ نِساءً وَرِجالاً وأطفالاً وَنَفرُوا منْ دُورِهم خِفافاً وثِقالاً لايَستطيعونَ حِيلةً ولايهتدونَ سَبيلاً فاعتْصموابالمساجدِالجامعةِ وأذْعنوا للنازِلةِ بأعناقٍ خاضعةٍ ونفوسٍ عنِ الأَهلِ والمالِ سالِيةٍ ينظرونَ منْ طرْفٍ خَفيٍّ وَيتوَقعونَ أيَّ خطبٍ جَليٍّ قد انقطعَتْ من الحياةِ علقهمُ وَعميت عنِ النَّجاةِ طرُقهُمْ وقعَتِ الفِكْرةُ فيما همْ عليهِ قادمونَ وقاموا عَلَى صلاتهم وَودُّوا لوْ كانوا منَ الذّينَ هُمْ عليها دائمون إلى أنْ أذنَ اللهُ بالرُّكودِ وأسعفَ لها المتهجدونَ بالهجود فأصبحَ كلُّ مسلمٍ عَلىَ رفيقهِ يهنّيه ويرى أنّه قد بعث بعد النفخةِ وأفاق بعد الصرخةِ وأن الله قد ردَّ لهُ الـكَرَّةَ وأحياهُ بعدَ أنْ كاد يأخذُه عَلى غرَّةٍ وورَدتِ

الأخبارُ بأنَّها قدْ كسرتِ المراكبُ فى البحارِ والأشجارُ فى القفارِ وأتلفتْ خلقاً كثيراً من السُّفَّار ومنهمَ منْ فرَّ فلا ينفعهُ الفرارُ إلى أن قالَ ولا تحسبُ أنى أرسلتُ القلمَ محرَّفاً والقلمَ مجوَّفاً فالأمرُ أعظمُ ولكنَّ اللهَ سلَّم ونرجو أنَّ اللهَ قدْ أيقظَنا بما بهِ وعظنا ونبَّهنا بما فيهِ ولهذا فما منْ عبادِهِ إلامنْ رأى القيامةَ عياناً ولم يلتمس عليْها بعدَ ذلكَ بُرْهاناً فما قصَّ الأولون مثلها فى المثلات ولا سبقتْ لها سابقةٌ فى المعضلاتِ والحمدُ للهِ الذى منْ فضلِهِ جعلنا نخبرُ عنها ولا يخبر عنا ونسألُ اللهَ أنْ يصرفَ عنَّا عارضَ الحرْصِ والغرورِ ولا يجعلنا منْ أهل الهلاكِ والثُّبور.

الإصلاح بين الناس

قالَ اللهُ تعالىَ (لا خيرَ فى كثيرٍ من نجواهم إلا منْ أمرَ بصدقةٍ أوْ معروفٍ أو إصلاحٍ بينَ النَّاسِ).

وَقال تعالى (إنما المؤمنونَ أخوةفأصلحوا بينأخويكمّ) عنْ أبى هريرة رضى اللهعنهقالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلمُ: كلَّ سلامى من الناس عليهِ صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلعُ فيهِ الشمسُ تعدلُ بينَ اثنينِ صدقةٌ وتعينُ الرَّجُلَ فى دابتهِ فتحملهُ عليها أوْ ترفعُ له عليها متاعهُ صدقةٌ

والكلمةُ الطيبة صدقةٌ والكلُ خطوةٍ تمشيها إلى الصلاةِ صدقةٌ وتميط الأذى عن الطريق صدقةٌ مُتفقٌ عليه .

وعنْ عائشةَ رضى الله عنها قالتْ سمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَّ صوتَ خصومٍ بالبابِ عالية أصواتها إذا أحدهما يستوضعُ الآخرَ ويسترفقه فى شىء وهو يقولُ والله لا أفعلُ فخرَج عليهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّمُ فقالَ أينَ المتألىٌّ عَلَى الله لا يفعلُ المعروفَ ؟ فقالَ يسألهُ أنْ يضعَ عنهُ بعضَ دَينهِ ويسترفقهُ يسألُ الرِّفْقَ والمتألىٌّ الحالفُ .

وَعنِ العَباسِ سَهلِ بن سعْدِ الساعدىّ رضى الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَلغهُ أنَّ بنى عمرو بن عوفٍ كانَ بينهم شرٌّ فخَرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلحُ بينهُم فى أُناسٍ معَهُ فحُبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانَت الصَلاةُ فجاء بلالٌ إلى أَبى بَكرٍ رضى الله عنهُ فقالَ يا أبا بَكر إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قدْ حُبس وَحانتِ الصَّلاةُ فهلْ لكَ أنْ تؤمَّ النَّاسَ قال نَعم إنْ شِئتَ فأقامَ بلالٌ الصَّلاةَ وتقدَمَ أبو بَكْر فكبَّر النَّاسُ وَجاء رسول الله عليه وسلم يَمشى فى الصُفوف حتَّى قامَ فى الصَّفِّ فأخذَ النَّاسُ فى التَّصْفيق وَكانَ أبو بَكْر رضى الله عنهُ لا يلتفتُ فى الصَّلاة

فلما أكثر النَّاسُ التصفيق التفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع أبو بكر رضى الله عنه يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه حتى قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلى النَّاس فلما فرغ أقبلَ عَلَى النَّاس فقال أيها النَّاسُ مالكم حين نابكم شيء في الصَّلاة أخذتم في التَّصفيق ؟ إنما التصفيقُ للنّساء مَنْ نابه شيء في صلاته فليقل سبحانَ الله فإنَّه لا يسمعه أحَدٌ حين يقولُ سبحان الله إلا التفت يا أبا بكر مامنعك أن تصلىَ بالنَّاس حين أشرتُ اليكَ؟ فقال أبو بكر ما كانَ ينبغى لابن أبى قحافة أن يصلىّ بالنَّاسِ بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم متفقٌ عليه.

وعن أمّ كلثوم بنتِ عقبة بن أبي معيط رضى الله عنها قالت سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ ليس الكذَّابُ الذى يُصلح بين النَّاسِ فَيَنمى خيراً أو يقولُ خيراً متفقٌ عليه .

وفى روَاية لمسلم زيادة قالتْ ولم أسمعهُ يرخصُ في شيء مما يقوله النَّاسُ إلا فى ثلاث تعنى الحربَ والإصلاحَ بينَ النَّاسِ وحديثُ الرجُلِ وامرأته وحديثُ المرأةِ وزوجها .

التيسير فى الدين

عنْ أبى هُرَيره رضىَ اللهُ عنْهُ قالَ قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إنَّ الدّين يسْرٌ وَلن يُشادَّ الدَّينَ أحدٌ إلاغلَبه فَسددُوا وقاربُوا وَبشِّروا واسْتعينُوا بالغدْوةِ والروحَةِ وَشىءٍ مِنَ الدُّلجةُ مُتفقٌ عَليه، مَاأجمعَ هَذا الحْديثَ للوصَايا النَّافعة والأُصُول الجامِعة قولهُ إنَّ الدَّينَ يُسْر أى ميسَّرٌ سهْلٌ فى أعْماله وأفعاله وأخْلاقه وَعقـــائده فأعْمالهُ أكمْلُ الأعمَالِ وأصْلحُها بها صَلاحُ الدِّين والدّنيا والآخِرة وَبفواتِها يفُوتُ الصَّلاحُ كلّهُ وَهى مُيَّسرة سَهْلة كلُّ مُكلَّف يرَى نفسَه قادراً عَلَيها لاتشُقُّ عليه ولا تُـكلفُه، عقائدهُ صَحيحَةٌ بسيطَةٌ تَقبلهَا العقُولُ السليمَةُ .

فالصَّلواتُ الخمْس تتـكررَ كلَّ يوم وليلةٍ خمس مراتٍ فى أوْقاتٍ عمَّ المولى تباركَ وتعالى سهولتها وإيجاب الجماعة والاجتماع لها فإن الإجتماع فى العبادات مِنَ المنشّطاتِ والمسهلاتِ لها وَاترتبُ عليها مِنَ الأَجر والثوَّابِ العاجلِ والآجلِ مايوجِبُ للمؤمنِ أن يستحليها ويحمَدَ اللهَ عَلَى فرضه لها على العبادِ إذلاغنىَ لهُم عنها أمَّاالزَّكاةُ فإنها لا تجبُ عَلَى فقيرٍ ليسَ عنده نصابٌ وإنمَا تجبُ عَلَى الأَغنياء تتْميماً لدينهمْ

وإسلامهم وتنمية لأموالهم وأخلاقهم ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم وتطهيراً لهم من السيئات ومواساة لمحاويجهم وهي مع ذلك جزء يسير جداً بالنسبة إلى ما أعطاهم الله من المال وبسط لهم من الرزق .

أمّا الصيام فإنّ المفروض شهر رمضان شهر واحد من كل عام يترك المسلمون فيه الأكل في نهاره ويتركون جميع شهواتهم من أكل وشرب ونكاح في نهاره إلا من لديه عذر من مرض أو حيض أو من لا يجب عليه الصيام لصغره أو لمن لا يطيق الصيام لكبره فيعوضهم الله من ذلك من فضله بتتميم دينهم وإيمانهم وزيادة كمالهم فيضاعف الأجر للمقبولين منهم .

أما الحج فإن الله لم يفرضه في العمر إلا مرة على المستطيع القادر وفيه من المنافع الكثيرة الدينية والدنيوية ما لا يمكن تعداده ويكفي قول الله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) .

ثم بعد ذلك بقية شرائع الإسلام التي هي في غاية السهولة واليسر التي فيها حق الله وحقوق العباد فهي في غاية اليسر (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فمن قاوم هذا الدين بشدة وغلو ولم يقتصد غلبه بقناعة

تامة ثم وصّى صلى الله عليه وسلم بالتسْديدِ والمقاربةِ وتقويةِ النفُوسِ بالبشارةِ بالخيرِ وعدمِ اليأسِ فالتسديدُ أن يقولَ الإنسانُ القوْلَ السديدَ ويعمَلَ العملَ المفيدَ ويسلكَ الطريقَ الرَّشيدَ وهو الإصَابةُ فى أقوالهِ وأفعالهِ من كلِّ وجهٍ ومن عجَزَ عن العمَلِ كلّهِ فليعْملْ ما استطاعَ كما قال تعالَى (فاتَّقُوا اللهَ ما استَطعتمْ) وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا أمرتُكمْ بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتمْ وقولهُ يسّرُوا ولا تعسّرُوا وبشّرُوا ولا تنفرُوا وختمَ الحديثَ بقوْلهِ واستعينُوا بالغُدوهِ والرَّوحةِ وشيءٍ من الدُّلجةِ وهذه الثَّلاثةُ هى السَّببُ الوحيدُ لقطْعِ المسافاتِ القَريبةِ والبعيدةِ فى الأسْفارِ الحسيَّه ووصُولهِ براحَةٍ وسهولة فهى السَّببُ الوحيدُ لقَطعِ السفَرِ الأخرَوى وسُلوكِ الصراطِ المستقيمِ والسيْرِ إلى اللهِ سيراً جميلاً فمتَى أخذَ العاملُ نفسهُ وشغلها بالخيرِ والأعمالِ الصَّالحةِ المناسبةِ لوقتهِ وخصُوصاً آخرَ الليْلِ حصَلَ لهُ من الخيْرِ ومن الباقياتِ الصَّالحاتِ أكملُ حظٍ وأوْفرُ نصيبٍ .

برُ الوالدين وصلة الأرحام

قال اللهُ تعالَى (واعبُدُوا اللهَ ولا تشركُوا بهِ شيئاً وبالوالدينِ إحساناً وبذِى القُربَى واليتامَى والمساكينِ والجارِ ذِى القُربَى

وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) .

وقال تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) .

وقال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ) .

وقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) .

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضى الله عنهُ قال سألتُ النَّبيَّ صلى الله عليهِ وسلَّمَ أىُّ الْعملِ أَحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال الصَّلاَةُ عَلَى وقتِها قلتُ ثُمَّ أىُّ ؟ قالَ بِرُّ الْوَالِدِينَ . قلتُ ثُمَّ أىُّ ؟ قالَ الْجِهَادُ فِى سَبيلِ اللهِ . متفق عليه .

وعنْ أَبِى هُرَيرة رضى الله عنهُ أنَّ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلَّمَ قالَ : (إنَّ الله تعالى خلقَ الخلق حتَّى إذا فرغَ منهُم قامتِ الرَّحِمِ فقالتْ هذا مقامُ العائذِ بكَ منَ القطيعةِ قالَ : نعم أما ترضينَ أنْ أصِلَ منْ وصلكِ وأقطعَ منْ قطعكِ ؟ قالتْ : بلَى قالَ فذلكَ لكِ ، ثُمَّ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم اقرَؤُوا إنْ شئتُمْ (فهلْ عسيتُمْ إنْ توليتمْ أنْ تفسدُوا فى الأرْضِ وتقطِّعُوا أرحامكُمْ أولئكَ الَّذينَ لعنهمُ اللهُ فأصمَّهُمْ وأعمَى أبصارَهُم) . متفق عليه .

وعنهُ أيضاً رضىَ اللهُ عنهُ قالَ جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقال يارسولَ اللهِ منْ أحقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صحابتِى ؟ قالَ أمُّكَ قال ثمَّ منْ قالَ أمُّكَ قالَ ثمَّ منْ قالَ أمُّكَ قالَ ثمَّ منْ قالَ أبوكَ . متفق عليه .

وفى روايةٍ يارسولَ اللهِ منْ أحقُّ بحسنِ الصحبةِ ؟ قالَ أمكَ ثمَّ أمكَ ثمَّ أمكَ ثمَّ أباكَ ثم أدناكَ أدناكَ .

عقوق الوالدين عقد لسانه عن ذكر الله

استمعَ عبدُ اللهِ بنُ أبِى أوفى إلى ما يقولُ الرَّسولُ صلى

اللهُ عليهِ وسلمَ ويُقررُ في أصُولِ الدِّين وفرُوعهِ وما كانَ أحدٌ مِن الجالسين يَرى أسعدَ منهُ في هذَا الوجُودِ ولاَ أقدَر عَلَى امتِلاَكِ نفسِهِ والسيطرَةِ عَلَى عواطفِهِ منْهُ في هذِهِ اللَّحظةِ وما كانَ أَحدٌ منَ الحاضرينَ مِن الصحابَةِ يُحبُّ أنْ ينقضى هذَا الوقتُ وإنَّما كُلٌّ مِنهمْ يتمنَّى أنْ يطُول الوقتُ وتمتَدّ الساعاتُ فإنهمْ لاَ يكادُونَ يَشعُرُون بمضي الزمن ولايحسبون أنهمْ في ذلكَ العالَم المَكروب وسُرعانَ ماطرَقَ البَاب وتأهب الجالسُونَ لاستطلاعِ مَلمِ الطَّارِقِ وكان الطّارقِ رجلاً في عينَيْهِ علاَئمُ الجِدِّ وتبدُو عليْهِ أماراتُ الاهتمَامِ بالمُهمةِ الَّتِي جاءَ منْ أجلهَا ولَهذا لمْ يكَدْ يُسلمُ عَلَى الرَّسولِ وصحاَبته حَتى قالَ شابٌّ يجُودُ بنفسِهِ فشَخصت الأبصارُ إليهِ إذْ ذكرَ الاحتضار والموتُ يهمُّ كُلَّ إنسانٍ وأردَف الرَّجل يقُول فقِيلَ لهُ قلْ لاَ إله إلاَّ اللهُ فلَمْ يستطعْ وَذُهل الحَاضِرُون فهذهِ حالةٌ عجيبةٌ إذْ كيفَ يمتنع مُسلِمٌ مؤْمِنٌ عنْ أنْ ينطقَ بالشَّهادتَينِ في هذِهِ الحَال الَّتِي قَارب فراقهَا لهذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا وأقبل عَلَى الآخِرةِ وَلا مفتَاح لأبْوابِ النَّعيم وَالسَّعادةِ في الآخِرةِ سِوى هذَا

المِفْتاحِ قال الرَّسول صلى اللهُ عليهِ وسلم مستَفْهِماً أكانَ يصلى؟ وأبانَ هذَا السؤَالُ عنْ قِيمةِ الصلاة وأنها طريقُ السعادة ومناطُ الخير وَعنوانُ الإيمان وأى عبادةٍ كالصلاة قيمةً وأثراً وتقرباً إلى الله لَقَدْ فَضَّلها الله عَلَى كثيرٍ منَ الْعِبادَاتِ وضَاعف لمنْ أخْلَص فيهَا الأجْر والثَّواب وجعلهَا رِباطاً وثِيقاً بينهُ وَبين عِبادِهِ .

وانتبهَ الصَّحابةُ حِينما أجاب الرَّجُل عَلَى سُؤال رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم بقولهِ نعمْ كانَ يُصلِّي .

ونَهَضَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ونهضَ معهُ صحابته الأجلاءُ جَميعاً إلى حيثُ يَقطنُ الشَّابُّ وكلٌّ يُفكر ما السببُ المانِع لهذَا الشَّاب عنْ ذِكْر اللهِ والنُّطقِ بالشَّهادتين هلْ هِي جريمةٌ تختفى تحتَ الستَارِ وَلاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ شنعاء وما شُعُور أهْلهِ والمُقربيِّن إليْهِ حِينماَ رأوْا هذِه الصُّورة الْعَجيبة الَّتى تَبعثُ فى النَّفْس الرَّهْبةَ والْخوفَ لَقدْ حيلَ بَيْنهُ وبين أعْظمِ أُمنية يَتمنَّاهاَ كُل مُسلِم بالله لَقدْ ابتدرهُ الرسولُ صلى الله عليه وسلَّمَ بقوْله قُل لاَ إله إلاَّ الله فقَال لاَ أستطيع قال له ولَمَ ؟ فأجابهُ مَنْ حولهُ كانَ يَعُقّ أُمَّهُ وبُهِت الْقومُ وصمتَ الرَّسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلم وقدْ تجسَّم أمامهُ هذَا الذَّنْبُ الْكَبير

عُقوقُ الوَالدِينِ يا لهُ منْ جُرمٍ تفزعُ منْ هَوْلهِ الملائكةُ المُقرَّبونَ ويضجُ منهُ أهلُ السَّموات والأرضِ .

وَلاَ علاجَ لهذا سوى صفحُ الْوَالدينَ وإلاَّ نطقَ وَلاَ فِكاكَ وَلاَ نجاةَ مِنْ الْعذاب فقَالَ النَّبي صلى الله عليه وسلَّم : أَحَيَّةٌ وَالدتُه ؟؟ قَالوا نعمَ قَال ادعُوهاَ ، وأسرَعُوا يدْعُوها ليخاطِبهاَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم لِكيْ يفكَّ الْوثاقَ الرُّوحيَّ الَّذِي عقدَ لِسانَ ابنهاَ .

تُرَى هَلْ تصفحُ هذهِ الْأمُ ؟ فرُبمَّا أساءَ هذَا الشَّابُّ إساءَةً بالِغةً لمْ تهنأْ معهُ بعيشٍ إنهاَ لا تغضبُ لتافِهِ الأمْرِ أو لِعابرِ الْإساءةِ ولكِنْ لِدوامِ الْمُخالفةِ وازْديادِ الْعصيانِ .

وخَاطبَ الرَّسُول الكريمُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أمَّ الشَّابِّ وقدْ بدَا في عَيْنيهاَ لونٌ عَجيبٌ منْ أَلْوانِ الصَّرامةِ والْعزْمِ الَّذِي لاَ يلينُ ، قالَ لهاَ أهذَا ابنُكِ فقالتْ نعمْ فقالَ لهاَ أرأيت لوْ أَججْتُ ناراً ضَخْمةً فقِيلَ لكِ إنْ شفعتِ لهُ خلينَا عنهُ وَإلاَّ أَحرقْناهُ بِهذهِ النَّارِ أَكُنتِ تشفعِينَ لهُ لقدْ إقْشعرَ بدنهاَ حِينماَ تصوَّرتْ هذه النَّارَ وَهِيَ تبعثُ صوتَها

المُخيفَ فى الجْوِّ وترْسلُ شُواظها يلفحُ الوُجُوه وَيشْوِى الأَبْدَان وَدُخانها يتصاعَدُ فِى نِقْمةٍ وَغَيظٍ .

حقًّا إنها عنَّتْ كثيراً لِابنها هذهِ النهاية الْأَليمَة عنْدَ ما كانَ يقسُو عَليها ويُعامِلها فى غِلظَةٍ وجبروت ولـكن الآنَ ضَعُفت حِيلتهُ وأصبحَ مُحتاجاً إليْها ينتظِرُ عفْوها وعُيُون الصَّحابَةِ ترمق الامَّ وَتنتظِرُ ماذا تقُولُ والرَّسُولُ صلى اللهُ عليهِ وسلّم ينْتظرُ جوابَ سُؤالهِ فتُجيبُ أَشْفعُ فِيهِ يا رَسولَ اللهِ ووَقعتْ هذهِ العِبارةُ مِنَ النَّبِى وَالْحاضِرِين منْ أَصْحابه موْقعاً عَظيماً وقالَ الرسُولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فأَشْهدِى الله أَنَّـكِ قَدْ رَضيتِ عنهُ قالتْ فِى طاَعةٍ وانقيادٍ وَقدْ بَدا فى عَيْنيها الصَّرامةُ والقُوةُ قائِلةً اللَّهُمَّ إنِّى أُشْهِدكَ وأُشْهِدُ رسُولكَ أَنى قدْ رضِيتُ عَنِ ابْـنِى .

وا كْتفَى مِنها صَلواتُ اللهِ وسلاَمهُ عَليهِ بهذَا ثُمَّ اتجَه إلى الشَّابِّ وَهُـــو لا يزَالُ عَلَى حَالهِ مِن الضِّيقِ والْـكرْبِ الشَّدِيدِ .

وقالَ النَّبى صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لِلشَّابِّ قُلْ أشهد ألاَ إلهَ إلاَّ اللهُ

وَحْدَهُ لاَ شريكَ لهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وشَهِدَ الشَّابُّ نطقَ بِالشَّهادَتينِ فى وضُوحٍ وَجلاءٍ وَكبَّرَ الحَاضرُونَ وَحمدُوا اللهَ وأَثْنوا عليهِ واطْمأَنتَ القُلُوب وارتاحَتِ الأَفئِدَةُ .

نجاسة المعاصى أغلظ من غيرها

قال اللهُ تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ) وقال فى حقِّ اللُّوطيَّةِ : (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكمًا وَعِلمًا وَنجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِى كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ) وقالت اللُّوطية : (أَخْرجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) أَقرُّوا بخبثهِم وَنجاستهمْ مَعْ شِرْكِهِم وَكُفرِهِم إِنهُمْ هُمُ الأَخْبَاثُ وَإِنَّ لُوطًا وآلهُ مُطَهَّرُونَ مِن ذَلكَ باجْتنابهِمْ لهُ .

وقالَ فى حَقِّ الزُّناة : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُون لِلْخَبِيثَاتِ) فكُلُّ خَبيثٍ نجس وَأَنْجسُ النَّجاسَاتِ الشِّرْكُ كَمَا أَنَّهُ أَظْلَمُ الظُّلم فإِنَّ النَّجسَ فى اللغةِ والشرْعِ هُوَ المُسْتقذرُ الذى تطلبُ مُباعدَتهُ والبُعدُ عَنهُ بحيثُ لا يُلمسُ ولاَ يُشمُّ

ولا يُرى ولما كانَ الشِّركُ مِنْ أظلَم الظُّلم وأقبح القبائِح وأنكَر المُنكرات كانَ أبغض الأشياء إلى اللهِ وأكرهِها وأشدَّها مقتاً لديه ورتب عليهِ مِنْ عُقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ ما لم يُرتبهُ عَلَى ذَنْب سِواهُ وأخبَر أنَّهُ لا يغفرُهُ وأنَّ أهْلهُ نجَسٌ ومَنعهمْ مِن القُربِ مِن حَرَمهِ وحرَّمَ ذَبائحهُمْ ومَناكِحهمْ وقطعَ المُوالاةَ بينهُمْ و بين المُؤْمنينَ وجعلَهُمْ أعْداءً لهُ سُبحانهُ وتَعالى وللملائكتهِ ورُسُلهِ والمُؤْمنينَ وأباح للمُسلمين أموالهُمْ ونِساءَهم وأبناءَهم وأنْ يتَّخِذوهم عبيداً وهذا لأنَّ الشِّركَ هضمٌ لحقِّ الرُّبوبيَّه وتنقُّصٌ لعظَمةِ الألوهية وسُوء ظنٍّ بربِّ العالمينَ .

كما قال تعالى : (ويُعذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشرِكينَ والمُشْركاتِ الظَّانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوء عَليهِمْ دائرةِ السَّوءِ وغَضبَ اللهُ عليهِمْ ولعنَهُمْ وأَعدَّ لهُمْ جهنَّمَ وسَاءتْ مصِيرا) .

وقال تعالى : (ومِنَّ النَّاسِ منْ يتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أنْداداً يُحبونهُمْ كحُبِّ اللهِ) وقال تعالى : (ما قدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . وقال تعالى : (الحَمدُ للهِ الَّذى خَلَق السَّموات

والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ ثمَّ الذينَ كفرُوا بربِّهم يعدِلُونَ) .

أىْ يجعلونَ عدلاً لهُ فى العبادةِ والمحبةِ والتعظيمِ وهذهِ هىَ التسويةُ التى أثبتَ المُشركونَ بينَ اللهِ وبينَ آلهتِهمْ وعرفُوهُ فى النارِ أنَّها كانتْ ضلالاً وباطِلاً فيقُولُون لآلهتِهم وهىَ فى النَّار معهُمْ : (إنْ كنَّا لفِى ضلالٍ مُبينٍ إذْ نُسويكم بربِّ العَالمينَ) ومعلُومٌ أنهمْ ماسَاووهُم به فى الذَّاتِ والصِّفاتِ والأفعالِ ولا قالُوا إنَّ الهتِهِمْ خلقتِ السمواتِ والأرضَ وأنَّهاَ تحيِي وتُميتُ وإنمَا ساَوَوْهاَ بهِ فى محبتِهم لهاَ وتعظيمِهِم لهاَ وعِبادتِهم إيَّاها كما يُرى عليهِ أهلُ الإشْراكِ ممَّن ينتَسِبُ إلى الإسْلامِ .

فالشِّرْكُ والتعْطيلُ مبنيَّانِ عَلَى سُوءِ الظَّنِّ باللهِ ولهَذَا قالَ إمامُ الْحنفاءِ إبراهيمُ عليهِ الصلاةُ والسلام لخُصمائهِ منَ المشْرِكين : (أئِفكاً آلهةً دُونَ اللهِ تُريدُونَ فما ظَنُّكم بربِّ الْعَالمينَ) .

والمعنى ما ظَنكُمْ بهِ أنْ يُعامِلكُم ويجازيكُم بهِ وقدْ عبدتُمْ

معهُ غيرهُ وجعلتم لهُ نِدًّا وهذا من أعظم التنقص لمن هُو غنيٌّ عن كلِّ ما سِواهُ وكلُّ ما سواهُ فقيرٌ إليهِ .

وأمَّا نجاسةُ الذنُوبِ والمعاصِي فإنَّها بوجهٍ آخرَ لا تَستلزمُ تنقُّض الرُّبُوبية ولا سوء الظَّنِّ باللهِ ولهذا لم يُرتِّب اللهُ عليهَا من العُقوباتِ والأحكامِ ما رتَّبهُ عَلَى الشِّرْك ولهذا استقرتْ الشريعةُ عَلَى أنهُ يُعفَى عن النجاسَاتِ المخففةِ كالنَّجاسةِ في محلِّ الاستِجمارِ وأسْفَل الخُف والحِذاء وَبولِ الصَّبي الرَّضيع ما لا يُعفى عنِ المُغلظةِ وكذلكَ يُعفى عن الصَّغائرِ ما لا يُعفى عن الكبائِر وَيُعفى لأهْل التوحِيد المحضِ الَّذِي لمْ يَشُوبوهُ بالشِّرْكِ ما لا يُعفي لمنْ لَيْسَ كذلكَ فَلوْ لَقِي المُوحِّدُ الَّذِي لمْ يُشرك باللهِ شيئًا ربَّهُ بِقراب الأرْضِ خطَايَا أَتاهُ بِقرابِهاَ مغفرةً ولاَ يحْصُل هذَا لمنْ نقصَ توحِيدهُ فإنَّ التَّوْحيد الخَالصَ الَّذِي لا يشُوبهُ الشِّركُ لاَ يَبقَى معهُ ذنبٌ فإنهُ مُتَضمنٌ منْ محبةِ اللهِ وَإجلالهِ وتعْظِيمه وخوْفهِ ورجائهِ وحدهُ ما يوجِبُ غسْل الذنُوبِ ولوْ كانَتْ قِرابَ الأرضِ فالنَّجاسةُ عارِضةٌ والدافِعُ لهاَ قويٌّ فلاَ تثبتُ معهُ ولكنَّ

نجاسةَ الزِّنَا واللواطةَ أغلظ منْ غيرها منَ النجاساتِ بعدَ نجاسةِ الشركِ منْ أجلِ أنها تفسد القلبَ وتضعفُ توحيدهُ ولهذا أحظى الناس بهذهِ النجاسة أكثرُهم شِرْكاً فكلما كانَ أعظم إخلاصاً كانَ منها أبعدُ كما قالَ تعالى عنْ يوسفَ عليهِ السلامُ : (كذلكَ لنصرفَ عنهُ السوءَ والفحشاءَ إنهُ منْ عبادِنَا المُخْلَصِينَ) .

الزنا وضرره على البدن والمال والأعمال

قال الله تعالى : (وَلاَ تقربُوا الزِّنَا إنهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلاً) وقال : (الزَّانيةُ وَالزَّاني فاجْلدُوا كلَّ وَاحِدٍ منهُما مِائة جلدةٍ وَلاَ تأخُذكمْ بِهما رأفةٌ في دِينِ اللهِ إنْ كُنتمْ تؤْمنُون باللهِ وَاليوم الآخِرِ وليَشْهدْ عذابهما طائِفةٌ منَ المُؤْمِنِينَ) .

قال العلماءُ هذا عذابُ الزَّانيةِ والزَّاني في الدُّنيا إذا كانَا عزَبَيْنِ غير مُتزوِّجين فإن كانا مُتزوِّجين أو قدْ تزوَّجا ولو مرَّةً وَاحِدةً في العُمر فإنهُما يُرجمانِ بالحِجارةِ إلى أنْ يمُوتا .

وفى السُّنةِ عَنِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم فإنْ مَاتَا منْ غيرِ توْبةٍ فإنهُمَا يُعذِّبانِ فى النَّارِ بِسياطٍ منْ نَارٍ .

قال صلى اللهُ عليهِ وسلم منْ زنَا أَوْ شَرِبَ الخمرَ نَزَعَ اللهُ منهُ الإيمانَ كمَا يخلعُ الإِنْسَانُ الْقميصَ منْ رأسهِ وقالَ ثلاثةٌ لا يُكلِّمهمُ اللهُ يومَ القِيامةِ وَلاَ يَنظرُ إليهِمْ وَلاَ يُزكيهم وَلهُم عذابٌ أليمٌ شيخٌ زانٍ وَمَلكٌ كذابٌ وَعائِلٌ مُستكبِرٌ .

وعن ابنِ مسعُودٍ رضىَ اللهُ عنهُ قال قُلْتُ يارسولَ اللهِ أَىُّ الذَّنبِ أعظمُ عِند اللهِ تعالَى ؟ قال أن تجْعَل لله ندًّا وَهُو خَلقكَ فقُلْتُ إنَّ ذلكَ لَعظيمٌ ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَال أن تَقتُل وَلدَكَ خَشْية أنْ يُطعم معكَ قُلْتُ ثمَّ أَىٌّ ؟ قال أن تزْنى بِحَليلةِ جَارِكَ قال : (وَالَّذِينَ لايدعُونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ وَلا يَقتُلُونَ النفسَ الَّتى حرَّم اللهُ إلاَّ بالْحَق ولا يزْنُونَ ومنْ يَفعل ذلكَ يَلقُ أثاماً يُضاعفْ لهُ الْعذابُ يومَ الْقِيامةِ وَيَخلُد فِيهِ مُهاَناً إلاَّ منْ تَابَ) .

وثَبتَ عَنِ النبى صلى الله عليه وسلم أنهُ قالَ لاَ يزنى الزَّانى حِيْنَ يَزْنى وَهُوَ مُؤْمنٌ وَلا يسرقُ السَّارِقُ حِين يسرِقُ وَهُوَ

مُؤمنٌ ولا يشرَبُ الخمرَ حين يشربُها وهُو مُؤمنٌ ولا ينتهِبُ نهبةً ذاتَ شرفٍ يرفعُ النَّاسُ إليْهِ أبصارهُم حين ينتهبُها وهُو مُؤمِنٌ .

وقال صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إذَا زَنى العبدُ خرجَ منهُ الإيمَانُ فكانَ كالظُّلة عَلَى رَأسهِ ثمَّ إذَا أقلعَ رَجع إليْهِ الإيمَانُ » .

وفى حديث منَام النبي صلى الله عليهِ وسلَّم أنَّهُ جاءهُ جِبريلُ وَميكائيلُ قال : فانطَلقنَا فأتينَا عَلَى مِثل التَّنورِ أعلاه ضيِّقٌ وَأسفَلهُ وَاسعٌ فِيهِ لغطٌ وأصواتٌ قالَ فاطلعْنَا فِيهِ فإذَا فِيهِ رِجالٌ وَنساءٌ عُراةٌ فإذَا هُمْ يأتِيهِم لهبٌ مِنْ أسفَل مِنهمْ فإذَا أتَاهُمْ ذَلكَ اللَّهب ضوضوا ضوءاً أى: صاحوا من شِدة حرِّهِ فقلتُ منْ هؤلاءِ ياجِبريلُ ؟ قالَ هؤلاءِ الزُّناةُ وَالزَّوانى يعنى الرِّجالُ وَالنساءُ فهذَا عَذابهمْ إلى يوم القيامَةِ نسألُ الله العفو وَالعافية .

وَجاءَ عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ إبليسَ يبثُّ جُنودَه

فى الأَرضِ وَيقولُ لهم أَيكمُ أَضل مُسلماً أَلبسُهُ التَّاجَ عَلَى رأَسِهِ فَأعْظمهُمْ فِتنةً أَقْربهم إليهِ مَنْزِلةً فيجىء إليهِ أَحَدُهم فَيقولُ لهُ لمَ أَزلْ بفلانٍ حَتّى طلَّقَ امرأَته فيقولُ ما صنعت شَيئاً سَوفَ يتزَوجُ غيرها ثمَّ يجىءُ الآخرُ فيقولُ لم أَزلْ بفُلان حتَّى أَلقيتُ بينهُ وَبينَ أَخيهِ العداوةُ فيقولُ ماصَنعْتَ شَيئاً سَوفَ يُصالِحهُ ثمَّ يجىءُ الآخرُ فيقُولُ لم أَزلْ بفُلان حتَّى زَنى فيقولُ إبليسُ نِعمَ ما فعلتَ فيُدْنيه مِنهُ وَيضعُ عَلَى رأْسِهِ التَّاجَ .

وعن أنس قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم إنَّ الإيمانَ سرْبالٌ يُسربلُه اللهُ مَنْ يَشاءُ فإذَا زَنى الْعبدُ نزَعَ اللهُ مِنهُ سِربَالَ الإيمانِ فإنْ تابَ ردَّهُ عليهِ .

وَقالَ صلى اللهُ عليه وسلم يا معشرَ المُسلمينَ أتقُوا الزِّنا فإن فيهِ ستُّ خِصالٍ ثلاثة فى الدُّنيا وَثلاثة فى الآخِرةِ فَأَما الَّتِى فى الدُّنياَ فذَهابُ بهاء الوجْه وَقصرُ الْعُمرِ وَدوامُ الفقرِ .

وَأَما الَّتِي فِي الآخِرةِ فَسُخطُ اللهِ تبارَكَ وَتعالى وَسُوءُ الْحِسابِ وَالْعذابُ بِالنَّارِ .

وَوَرَد أَيضاً أَنَّ مَنْ وَضعَ يدهُ عَلَى امْرأَةٍ لاَ تحِلُّ لهُ بِشهوةٍ جاءَ يوْمَ الْقِيامةِ مَغْلولةٌ يدهُ إِلى عُنُقِهِ فإِنْ قَبلها قُرِضتْ شَفتاهُ في النارِ فإِنْ زَنَى بِها نَطقتْ فَخِذُه وَشَهِدَتْ عَليهِ يوْمَ الْقِيامةِ وَقالَتْ أَنَا لِلْحَرام رَكِبْتُ فَينظرُ اللهُ تعالى إِليهِ بِعينِ الْغضَبِ فَيقعُ لَحمُ وَجْهِهِ فَيكابرُ وَيقولُ ماَ فعلْتُ فَيشهدُ عَليهِ لِسانُهُ فَيقُولُ أَنَا بِما لاَ يحِلُّ نَطقْتُ وَتقولُ يَدَاهُ أَنا لِلْحَرامِ تناولتُ وَتقولُ عَيناهُ أَنَا لِلْحرام نَظَرتُ وَتقولُ رِجلاهُ أَنا لِمَا لاَ يحِلُّ مَشيْتُ وَيقولُ فَرْجهُ أَنا فعلْتُ وَيقولُ الْحافظُ مِن الْمَلاَئكةِ وَأَنا سَمِعتُ وَيقولُ الآخرُ وَأَنا كتبْتُ وَيقولُ اللهُ تعالى وَأَنَا أَطَّلعْتُ وَسَتَرتُ ثُمَّ يقولُ اللهُ يَا مَلائكتِي خُذُوهُ وَمِن عَذابي أَذِيقُوهُ فَقَدْ اشتدَّ غَضبي عَلَى مَنْ قَلَّ حَياؤُهُ مِنِّي وَتصديق ذلكَ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قوله تعالى : (يَوْم تَشهدُ عَليهمْ أَلسنتُهم وَأَرْجلُهُم بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) .

وَمِن النَّاحيةِ الطبيَّة فقدْ أَلف الدكتور نبيل صبحي الطويل كُتيباً سماه (الزنى والأمراض الجنسية) ذكر الأمراض التى تأتى بسببه وقال والزِّنا داءٌ اجتماعى وبيلٌ يقودُ إلى أمراضٍ بدنيةٍ خطيرةٍ ساريةٍ تؤدى بدورِها إلى مُضاعفات مُستعصية فى المريضِ وتشويهٍ بشعٍ وعجز ظاهرٍ فى نسلهِ وذُرِّيته وهُو منْ أفتكِ الآفاتِ الاجتماعيةِ فى المجتمعِ النامِى ليسَ ذلكَ بسببِ مالهُ من أثرِ جسمىٍّ خطيرٍ فى الناشئةِ والمواطنينِ فقط بلْ لِمَا له من ردِ فعلٍ خطيرٍ فى أخلاقِ الناسِ .

التبرج مرض خطير

قال الله تعـالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِى قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبنَاتِكَ وَنساءِ المُؤمِنِينَ يُدْنِين عَليهِن منْ جَلَابِيبِهِـنَّ ذلكَ أَدْنى أَنْ يُعرفـنَ فـلا يُؤذَينَ وَكانَ الله غفُـوراً رحِيما) .

قالَ الواحديِ قالَ المفسرونَ يغطينَ وجوههنَّ ورؤوسهنَّ إلاَّ عيناً واحدةً فيعلمُ أنهُن حرائرُ فلاَ يعرضْ لهنَّ بأذىً ، فاللهُ يأمرُ المرأةَ المسلمةَ أنْ تصونَ كرامتهاَ وأن تبعدَ الريبة منهاَ بأحسنِ وسيلةٍ وأسهلِ طريقةٍ فباللهِ ما سترتِ المتبرجةُ إذا كانتْ تمشي فى الأسواقِ كاشفةَ الأذرُع والصدرِ باديةَ النهدينِ والأردافِ مصبوغةَ الوجْه والثغر حاسرةَ الرأسِ تخرجُ مِن بيتهاَ تتمشَّى فى الطرقاتِ عروساً قدْ أخذتْ زخرفهاَ وازينتْ ولسانُ حالهاَ يقولُ ألاَ تنظرونَ أيُّها الشبابُ إلى هذاَ الجمالِ هلْ منْ راغبٍ فى القربِ والوصالِ إنَّها تعرضُ جمالهاَ كماَ يعرضُ التاجرُ بضاعته ليسترعىَ الأنظارُ ويثيرَ الانتباهُ ويغرِى ببريقِ بضاعتهِ لكَى يتهافتَ الراغبونَ ، أماَ ما علمتِ السكينةُ أنهاَ ستهدمُ مستقبلهاَ إنْ وقعتْ فى الفخِ إنَّ الحوادثَ مبدؤُها منَ النظرِ كماَ قيلَ :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

أيهاَ الناسُ إنْ كانتِ الحقيقةُ مؤلمةً جارحةً فهل يليق بنا أن نتغاضى عنها مهما كانت قاسية جارحة وكيفَ يرضَى وليُّ المرأة أنْ يتركهاَ تسعَى بهذا الجمالِ ألاَّ يخجل ويشمئزُّ من

عورتِهِ وعارِهِ الذى لو وقعَ لاَ سمح الله لا يغسلهُ أليسَ يذكرُ بِهِ ويذكرُ بِهِ أولادهُ منْ بعدهِ .

إننَا نستقبحُ الكلمة العوراء ولاَ نستهجنُ الفعلَ القبيحَ مِنا ومنْ بناتنَا ألاَ نلزمَ الشريعةَ الطاهرةَ أنْ تصونَ جسمهَا مِن نظراتِ الأعْين الزانيةِ كمَا قالَ النَّبى صلى الله عليهِ وسلَّم العينُ تزنِي وزناهاَ النظرُ .

إنَّ المرأةَ الشريفةَ منْ لا تسمحُ لرجلٍ أنْ يتمتَّع ببدنهَا أو يلامسهُ ولا لعَين الناظرِ أنْ تدنسهُ فإنَّ للعفافِ والطهارةِ درجاتٍ كمَا أنَّ للتهتكِ والعهارة دركاتٍ .

ألاَ تعلمين أيتُها المستهينةُ بأمرِ الله المستخفةُ بغضبهِ وعقابهِ أنَّ كل ماَ نهى عنهُ الله فى القرآنِ العظيم فهوَ منَ الكبائرِ (وَلا تبرجنَ تبرجَ الجاهلَّية الأولَى) فهذَا الذى شددِ فيه ربُّناَ الوعيدَ والتحذيرَ وبيَّن الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلمَّ عاقبته وأنَّ صاحبه منْ أهلِ النارِ حيثُ يقولُ صنفانِ مِن أمتِي لمْ أرهُم بعدُ رجالٌ معهُم سياطُ كأذنابِ البقرِ يضربونَ بهاَ الناسِ ونساء كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رؤوسهُن

كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) أو كما قال إعلمي أيتها المتبرجة أن التبرج هادم للحسنات وهو إثم كبير فلا تخادعي إن كنت متعلمة ولا تجادلي واسعي إلى ما ينجيك من عذاب الله واسمعي قول الله تبارك وتعالى (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) .

قد أمر الله الرجال بردهن إلى الطاعة وإرغامهن على السلوك الطيب المستقيم .

وأنت أيها الرجل قم بواجب الرجولة والأبوة فكل استرعاه الله على رعية فلا تهمل رعيتك ولا تكن ضعيف الإيمان ضعيف الإرادة فاقد نخوة الرجال وغيرتهم فكم من إبنة منكودة شقية أضلها أبوها بضلاله وفتح لها مجال الفساد بإهماله نشبت لا تعرف الحياء ولا الدين إذ نشأت في أحضان الرذيلة ولم تعاشر وتخالط إلا الطائشات والطائشين أو قذف بها أبوها في أحضان زوج فاجر من المفسدين

فراحت فريسةً فى مخالبِ الجريمةِ فنكبتْ بسببِ ذلكَ الأبِ الذى استعبدهُ هواهُ فكانَ عشقهُ التبرجَ لا الاحتشامَ ويرَى أن لا يحرمَ ابنته من الحريةِ المزعومةِ والمتعةِ الموهومةِ فأغراهاَ بالتبرج ودفعهاَ إلى العصيانِ ولمْ يبال بزجرِ القرآنِ :

(وليضربْن بخمرهنَّ عَلَى جيوبهنَّ ولاَ يبدينَ زينتهن) .

قالَ الشاعرُ :

كلُّ الحوادثِ مبدؤهاَ منَ النظرِ
ومعظمُ النارِ منْ مستصغرِ الشررِ
كمْ نظرةٍ فتكت فى قلبِ صاحبها
فتكَ السهامِ بلاَ قوسٍ ولا وترِ
والمرء ما دامَ ذَا عينٍ يقلبهَا
فى أعين الغير موقوفٌ عَلَى الخطر
يسرُّ مقلتَه ما ضرّ مهجتهُ
لا مرحبًا بسرورٍ جاء بالضررِ

فاذًا كانَ الاباء والامهاتُ يعرضونَ بجمالِ بناتهمْ لقصدِ

التعجيلِ بزواجِ بناتهم فيعرضوهن كما يعرضُ التاجرُ سلعته للبيعِ ولاَ يستنكرُ تجردَ بنتهِ منَ الحياءِ والاحتشامِ فهوَ رجلٌ فاسقٌ خليعٌ لا يعبأُ بما يخبئه لهُ مستقبلُ بناتهِ .

أماَ الرجـــل الذى يطلبُ الزواجَ منْ ابنتهمِ لجمالها واختلاطها وعرضهاَ لنفسهاَ فى أعتابِ الأبوابِ والشرفاتِ فهذاَ الرجلُ لاَ يصلُح أنْ يكون زوجاً صالحاً ولن تسعدَ معهُ المرأةُ .

أماَ الرجلُ الذى يصلحُ أنْ يكونَ زوجاً فهوَ الذى يبحثُ عنِ البنتِ المحتشمةِ فهوَ حقيقٌ أنْ يكونَ سعيداً لأنهُ يبحثُ عنْ زوجةٍ نقيةٍ تقيةٍ .

قالَ النبى صلى الله عليه وسلم عليك بذاتِ الدينِ تربتْ يداكَ .

المتشبهون من الرجال بالنساء والنساء بالرجال

لقدْ استفاضتِ الأقوالُ عنِ النبى صلى الله عليه وسلم بلعنِ المتشبهاتِ منَ النساءِ بالرجالِ والمتشبهينَ منَ الرجالِ بالنساءِ وفى روايةِ أنهُ لعنَ المخنثينَ من الرجالِ والمترجلاتِ

منَ النساءِ وأمرَ بنفْى المخنثينَ وقدْ نصَّ عَلَى نفيهمُ الإمامُ الشافعىُّ وأحمدُ وغيرهُما وقالُوا جاءتْ سنةُ رَسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم بالنفْى فى حدِ الزنَا وبنْفِي المخنثينَ وفى صَحيح مُسلم عنهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنهُ قالَ صنفانِ منِ أهْلِ النارِ منْ أمتى لَمَ أرهما بعدُ نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ عَلَى رؤسهِن كأسنمةِ البخْت المائلةِ لا يدخلنَ الجنة ولاَ يجدنَ ريحَهَا ورجالٌ معهمْ سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربونَ بهاَ الناسَ وفى السننِ أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ بباب أم سلمةَ وهىَ تمتصبُ فقالَ ياأمَّ سلمةَ ليةَ أو ليتينِ .

ومعْنَى كاسياتٌ عارياتٌ أنَّ المرأة تكتسى بما لاَ يسترُها فهىِ وإنْ كانتِ كاسيةً بمالاَ يسترُها أوْ بما يظْهر ويبرزُ مفاتنَها فهىِ فى الحقيقةِ عاريةٌ مثلَ منْ تلبسُ الثوبَ الذّى يبدىِ تقاطيعَ خلقهاَ ويوضحُ حجمَ أعضائِها ومنْ هنَا يظهرُ لنَا معنَى نهيهِ صلى الله عليه وسلم عنْ تشبهِ الرجالِ بالنساءِ فإنَّ المشابهةَ الظاهرةَ تورثُ تناسباً وتشابهاً فى الأخلاقِ والأعمالِ وقياساً عَلَى هذا فقدْ نهى العلماءُ عنْ مشابهةِ الكفارِ

ومشابهةِ الاعاجم وغيرِهم ممّن لا دينَ لهُ وفى الحديث منْ تشبهَ بقومٍ فهوَ منهمْ وعمًا أنْ المشابهةَ فى الأمورِ الظاهرةِ تورثُ تناسباً وتشابهاً فى الاخلاقِ والاعمالِ كمشابهةِ الكفّار والاعاجمِ ومنْ لا خلاقَ لهُم منِ الاعرابِ فقدْ نهى الشارعُ كلاًّ منِ النساءِ والرجالِ عنْ مشابهةِ الصنفِ الآخرِ فالرجُل المتشبه بالنساءِ يكتسبُ من أخلاقهنَّ بحسبِ تشبههِ حتّى يُفضى الامرُ بهِ إلى التخنث والتمكينِ منْ نفسه ولمّا كان الغناءُ مقدمةَ ذلك وكانَ منْ عملِ النساء كانُوا أولئكَ فى غالبيتهمْ ذلكِ والمرأةُ المتشبهةُ بالرجالِ تكتسبُ منْ أخلاقهم حتى يصيرَ فيهاَ منَ التبرج والبروزِ ومشاركةِ الرجالِ ما قدْ يفضى ببعضهنّ إلى أن تظهرَ بدنَها كماَ يظهرُه الرجلُ وتفعلُ منَ الاعمالِ والافعالِ ما ينافى الحياءَ المشروعَ للنساء فاذَا تبينَ أنَّه لا بدّ منْ أنْ يكونَ لباسُ النساء فيهِ منَ الاستتارِ والاحتجاب ما يحصلُ مقصودهُ ذلكَ ظهرَ أصلُ هذَا وتبينَ أنَّ اللباسَ إذا كانَ غالبهُ لبس الرجالِ نهيت عنهُ المرأةُ وإذَا كانَ اللباسُ ساتراً وليسَ فيهِ مشابهةٌ لماَ يلبسهُ الرجالُ وعادةُ نساءِ البلادِ يلبسنَ مثلهُ كانَ لباسَ حشمةٍ أمّا

إِذَا كانَ اللباسُ فيهِ قلةُ السترِ ويميلُ للمشابهةِ ينهى عنهُ واللهُ أعلمُ .

ما يحرم من اللباس والمظاهر

قالَ اللهُ تعالى (وكمْ أهلكنا قبلهم منْ قرنٍ هُم أحسنُ أثاثاً ورِئياً) الاثاثُ اللباسُ والمالَ ونحوُه والرىءُ المنظرُ فأخبرَ أنَّ الذينَ أهلكهم قبلُ كانُوا أحسنَ صوراً وأحسنَ أثاثاً وأموالاً ليبينَ أنَّ ذلِك لا ينفعُ عندهَ ولاَ يعبأُ بهِ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا فضلَ لعرَبى عَلَى عجمىٍّ ولاَ لعجمىِ عَلَى عربىٌّ ولاَ لابيضَ عَلَى أسودَ ولاَ لإسوَد عَلَى أبيض إلاَّ بالتقوى .

وفِى السننِ عنهُ صلى الله عليه وسلَّمُ أنهُ قالَ البزازةُ منِ الإيمانِ وقدْ حرمَ علينا من لباسِ الحرير والذهبِ ما هوَ منْ أعظمِ الجمالِ فِى الدنياَ وحرمَ اللهُ الفْخر والخيلاءَ فالفخر والخيلاءَ كإطالةِ الثيابِ وقدْ صحَّ عنَ النَّبى صلىَّ اللهُ عليهِ وسلم أنهُ قالَ (منْ جرَّ إزارهُ أو قالَ ثوبَهُ خيلاءَ لمْ ينظرِ اللهُ إليهِ يومَ القيامةِ) ومثلُ ذلِك ماَ فِي الصَّحيح عنْ

أبي هريرةَ رضى اللهُ عنهُ أن رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ لا يَنظرُ اللهُ يومَ القِيامة إلى مَنْ جرَّ ازارهُ بَطرا) .

قال اللهُ تعالى : (أومنْ يُنشأُ فى الحِلْيةِ وهُوَ فى الخِصام غيرُ مُبينٍ) وقالَ فى حقِّ قارُونَ : (فَخَرج علىَّ قومِهِ فى زِينتهِ) قالوا فى ثِياب الأرجُوان ولهذا ثبتَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو قال رأى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم عَلَىَّ ثوْبين معصْفَرين فقالَ إنَّ هذهِ منْ ثِياب الكُفار فلا تَلبسهُما قُلتُ أغسلهُما قالَ : أحرقْهُما . وتُكره الشهرةُ من الثِّياب وهُوَ المترفِّعُ الخارجُ عنْ العادة وَالمُتخفضُ وفى الحَديث : (من لَبس ثوبَ شُهرةٍ ألبسهُ اللهُ ثوبَ مَذَلةٍ) .

وخِيار الأمورِ أوْساطهُا فمنْ تركَ جميلَ الثِّياب بُخلاً بالمالِ لم يكنْ لهُ أجرٌ ومن تركهُ مُتعبِّداً بتحريم المباحَاتِ كان آثِماً ومنْ لبسَ جميلَ الثِّياب إظهاراً لنعمةِ اللهِ واستعانة عَلَى طاعةِ اللهِ كانَ مأجوراً ومنْ لبسَهُ خيلاءَ وفخراً كان آثماً (فإنْ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مُختالٍ فخُور) .

ولهذا حرم اطالة الثوب بهذه النية كما جاء فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله إن طرف إزارى يسترخى إلا أنى أتعاهده فقال يا أبا بكر إنك لست ممن يفعله خيلاء .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما رجل يجر إزاره خيلاء إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على صبى للزبير ثوباً من حرير فمزقه وقال لا تلبسوهم الحرير) وكذلك ابن مسعود مزق ثوب حرير كان على ابنه وما حرم لبسه لم يحل صنعه ولا بيعه من ذكور المسلمين وإن كان حلا لنسائهم .

فالذهب والحرير حل للنساء حرام على الرجال .

تحريم الإسبال فى اللباس

قال الله تعالى : (ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن

تخرقَ الأَرضَ وَلنْ تبلغَ الجِبال طولاً كلُّ ذلكَ كانَ سيئةُ عِندَ ربِّكَ مكروهاً) .

وعن أبي ذرٍّ رضيَ الله عنهُ عَنِ النبي صلى الله عليهِ وسلم قالَ ثلاثةٌ لاَ يكلمُهمْ الله يومَ القِيامةِ وَلاَ ينظرُ إليهِمْ وَلاَ يزكيهمْ وَلهمْ عذابٌ أَليم قال فقرأها رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم ثلاثَ مِرار قالَ أبو ذر خابُوا وَخسِروا من همْ يارسولَ اللهِ قالَ المسْبل وَالمنَّانُ والمنْفِق سلعتَه بِالحَلفِ الكاذبِ . رواه مسلم .

وعن أبي جرى جابرِ بنِ سليم رضيَ الله عنهُ قالَ : رَأيت رجلاً يصدِر النَّاس عَنْ رأيهِ لاَ يقول شيئاً إلاَّ صدَروا عنهُ قُلت مَنْ هذَا قالوا رَسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قُلت عَليكَ السَّلام يا رسولَ اللهِ مرَّتين قالَ لاَ تقل عَليْك السَّلاَم عليك السلاَم تحيَّة الموْتى قلْ السَّلاَمُ عليكَ قُلت أنْتَ رَسول اللهِ ؟ قالَ أَنَا رسول اللهِ الَّذي إذَا أصابكَ ضرٌّ فَدعوته كَشفَهُ عنكَ وإذَا أصابكَ عَام سَنةٍ فدَعْوته أنْبتها لكَ وَإذَا كنتَ بأرضٍ قفْرٍ أو فلاةٍ فضلّتْ رَاحلتكَ فَدَعوته ردَّها عَليكَ قالَ قُلت أعْهد إلى قالَ لاَ تسبنَّ أحداً قالَ فما سببت بعده حرّاً وَلاَ عَبداً

وَلاَ بعيراً ولا شاةً وَلاَ تحقِرنَّ مِن المَعْروفِ شيئاً وأنْ تكلمَ أخاكَ وَأنتَ منبسطٌ إليهِ وجهكَ إنَّ ذلكَ منْ المعروفِ وارفعْ إزاركَ إلى نِصْفِ السَّاقِ فإنْ لمْ يكنْ فإلى الكعبينِ وَإيَّاكَ إسبالَ الإزارِ فإنها منَ المخيْلَة وإنَّ اللهَ لايحبُّ المخيلَة وإن امرؤٌ شتمك أوْ عيرك بِمَا يعْلَم فِيكَ فلا تعيره بِما تعلم فِيهِ فَإنما وَبال ذَلكَ عليهِ. رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وعن قيسِ بنِ بشر التغلبي قالَ أخبرنى أبى وكانَ جليساً لأبي الدَّرداء رضى الله عنه قال كانَ بدمشقَ رجلٌ منْ أصحابِ النبي صلى الله عليهِ وسلم يقال له بن الحنظليَّة وكانَ رجلاً متوحِّداً قلمَّا يجالِس الناسَ إنَّما هو صَلاة فإذا فرَغ فَإنما هوَ تسبيحٌ وتكبيرٌ حتَّى يأْتى أهْله فمرَّ بنا ونَحْن عندَ أبى الدَّرداءِ فقال له أبو الدرداء كلمةً تنفعنا وَلاَ تضرُّكَ قالَ بعثَ رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم سرِيَة فقدِمتْ فجاءَ رجلٌ منهمْ فجلسَ فى المجلسِ الَّذِى يجلِس فِيهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فقال لرجلٍ إلى جنبه لو رأيتنَا نحن وَالعدوُّ فحملَ فلانٌ وطعنَ فقالَ خذهاَ منى وأنَا الغُلام الغفارىُّ كيفَ ترَى فى قوله ؟ فقالَ ما أراه إلا قدْ

بطل أجره فسمع بذلك آخر فقال ما أرى بذلك بأساً فتنازعا حتى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سبحان الله ؟ لا بأس أن يؤجر ويحمد فرأيت أبا الدرداء سر بذلك وجعل يرفع رأسه إليه ويقول أأنت سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول نعم فما زال يعيد عليه حتى إنى لأقول ليبركن على ركبتيه قال فمرنا يوماً آخر فقال أبو الدرداء كلمة تنفعنا ولا تضرك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش . رواه أبو داود باسناد حسن إلا قيس بن بشر فاختلفوا فى توثيقه وتضعيفه وقد روى له مسلم .

المحبة المحمودة ودعوات المكروب

المحبة التى أمر الله بها وخلق الخلق لأجلها هى محبته وحده لا شريك له دون عبادة ما سواه فإن العبادة تتضمن غاية الحب والذل ولا يصلح ذلك إلا لله وحده وهى مفزع

أوليائه وأعدائه فإنَّ أعداءه إذا مسَّهم الضُّرُّ في البرِّ والبحر فزعوا إلى توحيده وتبرؤا من شركهم ودعوه مخلصين له الدِّين .

أمَّا أولياؤه فهى مفزعهم في شدائد الدُّنيا والآخرة ولهذا كانت دعوات المكروب لا إله إلاَّ الله ربُّ العرش العظيم لا إله إلا الله ربُّ السَّموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم .

ودعوةُ وذى النُّون الَّتى ما دعا بها مكروبٌ إلاَّ فرَّج الله كربه : لا إله إلاَّ أنت سبحانك إنى كنت من الظَّالمين .

وقال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا راعه أمر قال الله ربى لا أشرك به شيئاً وفى لفظ قال هو الله لا شريك له .

وقالت أسماء بنت عميس علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولها عند الكرب : (الله ربى لا أشرك به شيئاً) .

وفى الترمذى من حديث إبراهيمَ بنِ محمد بنِ سعدٍ عَنْ أَبيه عَنْ جدِّه عنِ النبيِّ صلى الله عليهِ وسلم قال دَعوة يونسَ إذْ نادَى فِى بَطنِ الحوت : (لاَ إله إلاَّ أنْتَ سبحانَكَ إنِّى كنْت منَ الظَّالِمــينَ) فإنَّه لَمْ يدْع بِها مسلِم فى شىء إلا اسْتجِيب لَه .

وفى مسند الإمام أحمد مرفوعاً دَعوَات المـكْروبِ اللَّهم رحمتكَ أرجَو فَلاَ تـكانى إلى نَفسى طرْفةَ عيْنٍ وأصلحْ لِى شأنِى كلَّه لاَ إله إلاَّ أنْتَ .

فالتَّوْحيـدُ مَلجأ الطالبِـينَ ومفزَع الهـارِبينَ ونجـاةُ المـكروبينَ وَغِيـاث الملهوفِـينَ وحَقِيقتـــه افـرَاد الرَّبِّ سبحانَه بالمحبَّة وَالإجلاَلِ والتَّعظيم والذُّل وَالْخضوعِ .

وكلُّ حَيٍّ فَـلَه ارَادَة وَعَمل بِحسْبه وَكلُّ متَحرِك فَلَه غايَةٌ يَتحرَكُ اليْها وَلاَ صلاَحَ لَه الاَّ أنْ تـكونَ غايَة حرَكته وَنِهايَة مطلَبه هوَ اللهُ وَحدَه كما لاَ وجودَ له الاَّ أنْ يكونَ الله وحدَه هوَ رَبه وَخالِقه فَوجوده باللهِ وَحدَه وَ يكونَ لله وحدَه قال تعالى : (لوْ كانَ فِيهِمَا آلهَةٌ

لفسدتا) فالناصح لنفسه لا يؤثر محبة ما يضره ويشقى به ويتألم به ولا يقع فى ذلك إلا من فساد تصوره وقصده وإرادته أو عدم معرفته فهو واقع فى الجهل أو الظلم أو فيهما فالإنسان خلق ظلوماً جهولاً ولا ينفك عن الظلم والجهل إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه بما علمه ويلهمه رشده فمتى أراد به الله الخير علمه ما ينفعه فخرج به من الظلم والجهل ثم ألقى عليه من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها لجهلها بمضرته لها تارة وبفساد قصدها تارة قال تعالى : (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) فمحبة الظلم والعدوان سببها فساد العلم أو فساد القصد والعبد أحوج شىء إلى معرفة ما يضره ليجتنبه ومعرفة ما ينفعه ليحرص عليه ويفعله فيحب النافع ويبغض الضار وهذا من لوازم العبودية ومن المحبة النافعة بين المخلوقين محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرعه الله قال تعالى : (هو

الذى خلقكُمْ منْ نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منْها زوْجهاَ لِيسكنَ إليهاَ) .

وفى الصحيح عنِ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه سئلَ منْ أحبُّ الناسِ إليكَ فقاَل : عائشةُ وقال صلى الله عليه وسلمَ حبِّب إلى منْ دنيا كمْ النساء والطيِّبُ وجعلَتْ قرةُ عيني فى الصَّلاَة .

وكذلكَ محبة الصالحينَ وأولياءِ الله المُتقين والموالاةُ فى الله والمعاداةُ فى الله والحبُّ فى الله والْبغض فى الله قال تعالى : (لا تجِد قوْماً يؤْمنونَ بالله والْيومِ الآخر يوادُّونَ من حادَّ الله ورسوله ولوْ كانوا آباَءهمْ أوْ أَبناَءهمْ أوْ إخْوانهم أوْ عَشيرتهمْ أُولئكَ كَتب فى قُلوبهم الْإيمان وأَيَّدهمْ بروحٍ منْهُ ويدخِلهمْ جناتٍ تجرِى منْ تحتْهاَ الْأَنهار خالدِينَ فِيها رضىَ الله عنهمْ ورَضوا عنهُ أُولِئك حِزب الله أَلا إنَّ حِزْب الله هُمْ المفلِحونَ) .

عمر بن الخطاب ودنيا النبي

مضىَ عُمر بن الخطَّاب رضى الله عنه إلى بيتِ النبي صلى الله عليه وسلم وهوَ يحمِل بينَ جنْبيه قلباً لا يخفِق إلا بحبٍّ الإسلام والمسلمينَ ولا يفكرٌ إلا فِى هذَا الدِّين الَّذى انتشلُه منْ وِهاد الْإثم والْفُجور ورَفعه منْ مهاوِى الطغيانِ والثبور وأَنقذَه منْ عقائدَ لايفْهم لهاَ معنى ولاَ يدرك لهاَ غايةَ وقفَ لحظةً أَمام دارِ النبي الْعَظيم صلى الله عليه وسلم وكأنما يَتفقد ويَتبين معالِمها ولـكنَّه شعرَ فى نَفسه فَعلم أنَّه لا يصحٌ أنْ يقفَ هـذَا الموقفَ فـاذَا يَقُـول منْ يراه ؟ سَيرميـه بِعجاوزةِ الحدٍّ ومُجانبة الصَّواب فَليس منْ حَقه أنْ يَتفقدَ هذهِ الدَّار الَّتى شرَّفها الله ورفعَ قدْرها وأعْلى مقامهاَ وجعلهاَ مقراً لخيرِ خلقهِ وخاتَم أَنبيائهِ ورسلِهِ مُحمد بنِ عبد الله صلى الله عليه وسلم ذلكَ الرسول الَّذى لا يَعيش إلاَّ لإسعادِ الناسِ وهدايتِهمْ إلى صراطِ الله العزيز الحميد وأنَّ لهَذه الدَّار حقًّا وهوَ أنْ يَنظرُ إليها كلُّ مسلم فى عزَّةٍ واحترامٍ .

وأقبلَ بن الخطابِ بِسرعةٍ يَطرق الْباب وفتحَ له ودخلَ

فوجدَ النبيَ صلى اللهعليهوسلم مضطجعاً عَلَى حصيرٍ بالٍ وأنَّ بعضه لعلى التُّراب وتحتَ رأسهِ وسادةٌ محشوة ليفاً وفوقَ رأسهِ اهابٌ عطينٌ واذا الحصَير قدْ أثر فى جنبيه .

ثم كلُّ ما فى الحُجرة قبضةٌ منْ شعِير نحو الصَّاع وقرظ فى ناحيةٍ من الحُجرة واهابٌ معلقٌ ثمَّ لا شىء غير مشربةٍ ضيقةٍ . عجباً هلْ يرى هذَا المنظَر ولا يتكلَّم ؟ يرى الرسولَ ينام عَلَى هذهِ الحالِ ويَعيش بَين الْجُدران ولا يَتمتع بِضوء الحياةِ ؟ الرسول الَّذِى غير نِظام الدُّنيا وقَلب كيانَ الْعالم وأدالَ دولةَ الظلمْ وقاومَ طُغيان الَجبابِرة العْتاة صابراً متجلداً حَتَّى انتَصر وظَفر يَحيا هذهِ الحياة الَّتى لا يَقبلها أفْقر انسَانٍ .

ان للزَّهد فى الحياةِ حداً وغايَةً فكيفَ يَصل هذَا النبىُّ الْعظيم الى أبعدِ حدودِ الزُّهد والإدْبار عنِ الدُّنيا والتنكر لهَا .

ويلٌ للدُّنيا وويلٌ للناسِ منْ سطوتِها وجبروتِها وطُغيانها وويلٌ لهَذه البْشريَّة الَّتى تَنحدر الى الهاوِيَة مستَجيبةً لصوت

الشهوةِ ملبيةً داعىَ الْغريزة ممعنةً فى لذاذات الحياةِ إلى حدٍّ نسيتْ فيهِ خالقَ الأَرض والسمواتِ .

ضاقَ عُمر رضى الله عنه ذرعاً بِهذه الحالِ ففاضتْ عيناهُ وهوَ عمرُ المعروف بقوّة القلب وشجاعةِ الجنان فقال لَه الرّسول صلىَ الله عليه وسلم ما يبكيكَ يابن الخطاب ؟ فقالَ عُمر وقدْ واتته الفُرصة يا نبى الله ومالِى لا أبْكى وهذا الحصِير قدْ أثر فى جنبكَ وهذه الدّار ما أرى فيهاَ إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر فى الثمِّار اليانِعة والأنهارِ الجْارية والخيرِ الْوَفِير والدِّيباج والحرِير وأنت نبىٌّ اللهِ وصفوتهُ منْ خلقهِ وهذهِ خزانتك ؟ !

فقال لَه الرسولُ صلى الله عليهِ وسلم يابن الخطاب أما ترضَى أن تكون لهم الدُّنيا ولنَا الآخرةُ .

قال ولكنِ لو اتخذتَ فِراشاً أوثر منْ هذَا وألين لما كان هذا خلُوداً إلى الدُّنيا ولا بعداً عنِ الآخرةِ فأجابه الرسول صلى الله عليهِ وسلم أُولئك قومٌ عجلتْ لهمْ طيِّباتهمْ وهىَ وشيكةُ الانقطاع وإنا قومٌ أُخرت لنَا طيِّباتنا وعثلتْ

لعمر الدُّنيا جيفةً قذرةً لا قيمةَ لها وما ينبغي أَنْ يخلد فيها إنسانٌ فنعيمها زائلٌ مهما كثر ومتعها فانيةٌ مهما تعدَّدت ألوانها واختلفت أنواعها وهذا الفراش الخشن الَّذي لا يكاد يحول بين الإنسان وبين الأرض هو خيرٌ عند الله من فراش كسرى وقيصر .

ثمَّ ماذا ؟ ثمَّ لابدَّ أن يكون الأنبياء مثلاً للتضحية باللذاذات وإنكار الذَّات حتى يكملَ للرُّوح سموُّها وللقلب فراغه منَ الدُّنيا وإقباله عَلَى الله وحدَه لاشريك له أما الدُّنيا حيناً تستميل شخصاً فإنها تستذله ويصبح عبداً لها لا يصيخ لأحدٍ ولا يفكرُ إلا فيها واعتزمَ عمر أنْ يضع حياته هذا الوَضع الَّذي رآه والَّذي كان يشفق عَلَى الرسول منه والآخرة خيرٌ وأبقى وأخذ عمر يطيف في نواحٍ من التَّفكير العجيب ولكنَّه كان بهذه النَّواحي سعيداً فلقدْ تلقَّى درساً وتعلَّم مبادىء سيكون لها أبلغ الأثر وأحسن التَّوجيه فتذكَّر قول الرسول صلى الله عليه وسلم مالِي وللدُّنيا ما مثلي ومثل الدُّنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرةٍ ساعةً ثمَّ راح وتركها .

اليتيم والأرملة

ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابةِ والوسطى وفرَّج بينهما ، وصحَّ عنه صلى الله عليهِ وسلم أنّه قال كافِل اليتيم له أوْ لغيرهِ أنا وهو كهاتيْن في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى كفالة اليتيم هي القيام بأمورهِ والسعى في مصالحهِ منْ طعامهِ وكسْوتهِ وتنميةِ مالهِ إنْ كانَ له مال وإنْ كانَ لامالَ له أنفقَ عليهِ وكساه إبتغاء وجهِ اللهِ تعالى سواء كان اليتيم قرابةً أوْ أجنبيًّا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منْ ضمَّ يتيماً منَ المسلمينَ إلى طعامهِ وشرابهِ حتَّى يغنيهِ الله تعالى أوْجب الله له الجنة إلاَّ أنْ يعمل ذنباً لا يغفر .

وقال صلى الله عليه وسلم مَنْ مَسح رأس يتيم لا يمسحه إلاَّ للهِ كان له بكلِّ شعرةٍ مرَّتْ عليها يده حسنةً ومَنْ أحسنَ إلى يتيمٍ أوْ يتيمةٍ عنده كنتُ أنا وهو هكذا في الجنَّةِ .

قال رجلٌ لأبى الدّرداءِ رضىَ الله عنه أوْصنى بوصيَّةٍ قال أرحمْ اليتيمَ وأدْنه منْك وَأطعمه منْ طعامكَ فإنِّى سمعت رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم يَقول لرّجل يشتكى قسوةَ قلبهِ إنْ أردْت أنْ يلينَ قلبكَ فأدن الْيتيمَ وَامسحْ رأسه وَأطعمه منْ طعامكَ فإنّ ذلك يلينُ قلبك وَتقدر عَلَى حاجتك أوْ كما قال .

وممّا حكى عنْ بعض السّلف قال كُنت مكبًّا فى بداية أمْرى عَلَى المعاصى وَشرْب الخمرْ فظفرْت يوْماً بصبيٍّ يَتيمٍ فقيرٍ فأخذته وَأحْسنتُ إليْه وأطعمْته وَكسوْته وأدْخلته الحمَّامَ وَأزلت شعثهِ وَأكرمته كما يكرم الرّجل وَلده بلْ أكثرَ فبتُّ ليلة بعْد ذلك فرأَيْت فى النّوْم أنّ القيامةَ قامتْ وَدعيت إلى الحسابِ وأُمر بى إلى النَّار لسوء مَا كنْت عليْهِ منْ المعاصى فسحبتْنى الزَّبانية لِيمضوا بى إلى النّار وَأَنا بين أيديهمْ حقيرٌ ذليلٌ يجرُّونى سحْباً إلى النّار وَإذا بذلكَ اليتيمَ قدْ اعترضنى بالطَّريق وَقال خلُّوا عنْه يا ملائكة ربى حتّى أشفع له إلى ربِّى فإنّه قدْ أحْسن إلىّ وَأكرمنى فقالتِ الملائكة إنّا لمْ نؤْمرْ بذلكَ فإذا النِّداء منْ قِبل الله تعالى يَقول خلُّوا عنْه فقدْ

وَهبْت له مَا كان مِنْه بشفاعةِ اليتيم وإحْسانهِ إليْهِ فاسْتيقظت وَتبْت إلى اللهِ عزّ وجلّ وَبذلت جهْدِى فى إيصال الرّحمةِ إلى الأيْتامِ .

قال أنس بن مالكٍ رضىَ الله عنه خادِم رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم خير البيوتِ بَيتٌ فيهِ يَتيمٌ يحسن إليْهِ وشرُّ البيوتِ بَيتٌ فيهِ يتيمٌ يساء إليْه وأحبُّ عبادِ الله تعالى مَن اصْطنع صنعاً إلى يَتيمٍ أوْ أرْملة وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السّلام ياداود كنْ لليتيم كالأب الرّحيم وكن للأرْملةِ كالزوْج الشّفيق وَاعْلم أنـك كما تزْرع كذا تحصْد مَعناه أنـك كما تفعَل كذلك يَفعل مَعك أىْ لابدْ أن تموت وَيبقى لك ولدٌ يتيمٌ أو امرأةٌ أرْملةٌ وقال داود عليهِ السّلام فى مناجاتهِ إلهى ماجزاء مَنْ أسْندالیتیمَ والأرْملةَ ابْتغاء وجهك قال جزاؤه أنْ أظلَّه يوْم لاظلّ إلا ظلّى مَعناه ظلُّ عرْشى يوْم القيامةِ .

وَمما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرْملةِ واليتيم عَنْ بَعْض العلويّين وَكان نازلاً ببلخ منْ بلادِ العجم وَله زوجة عَلويّة

ولهُ منْها بناتٌ وكانُوا فى سعةٍ ونعمةٍ فماتَ الزّوج وأصابَ المرأةَ وَبناتِها بعده الفقرُ وَالعلة فخرجت ببناتِها إلى بلدةٍ أخرى خوْف شماتةِ الأعداءِ واتفقَ خروجُها فى شدةِ البردِ فلمَّا دخلتْ ذلكَ البلدِ أدخلتْ بَناتِها فى بعضِ المساجدِ المهجُورة ومضتْ تحتالُ لهمْ فى القُوت فمرّت بجمعينِ جمعٍ عَلَى رجلٍ مسلمٍ وهوَ شيخُ البلدِ وجمعٍ عَلَى رجلٍ مجوسىٌّ وهوَ ضامنُ البلدِ فبدأَتْ بِالمُسْلِمِ وشرحتْ حالهَا لهُ وقالتْ أنا امرأةٌ علويّةٌ ومعىَ بناتٌ أيتامٌ أدخلتهنَّ بعض المساجدِ المهجورةِ وأُريد اللَّيلة قُوتهن فقال لهَا أقيمى عندى البينة إنك علوية شريفة فقالت أنا امرأة غريبةٌ ما فى البلدِ منْ يَعرفنى فأعرضَ عنْها فمضتْ منْ عندهِ منكسرةَ القلْبِ فجاءتْ إلى ذلكَ الرَّجُل المجوسىِّ فشرحَتْ له حالهَا وأخبرته أن معهاَ بَناتٍ أيتامٍ وهىَ أمرأةٌ شريفةٌ غريبةٌ وقصتْ عليهِ ما جرَى لهاَ مع الشَّيخ المُسلم فقامَ وأرْسَل بعضَ نسائهِ وأتوابها وبَناتِها إلى دَارِه فأطعمهُنّ أطيبَ الطّعام وألبسهُنَّ أفخرَ اللِّباس وباتُوا عندهُ فى نِعمة وكرامةٍ قال فلمَّا انتصفَ الليلُ رأى ذلكَ الشيخُ المسلمُ فى منامهِ كأن القيامةَ قدْ قامتْ وقد عُقد اللِّواء عَلَى رأسِ النبى صلى الله عليه وسلم

وإذا القصر من الزُّمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال يا رسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم موحد فقال أنا رجل مسلم موحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقم عندي البينة أنك مسلم موحد فبقي متحيراً فقال له صلى الله عليه وسلم لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمي عندي البينة أنك علوية فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسي فأرسل إليه فأتاه فقال أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها فقال ما إلى ذلك سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني قال خذ مني ألف دينار وسلمهن لي فقال لا أفعل فقال لابد منهن فقال الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي أتدل علي بالإسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذي رأيت في منامك وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله

قال القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً فى الأزل قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا .

الورع الممدوح والورع المذموم

الورع الممدوح هو اتقاء ما يكون سبباً للذم والعذاب وهو فعل الواجب وترك المحرم والفرق بينهما فيما اشتبه من الواجب هو أم ليس فيه ؟ وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه فأما مالا ريب فى حله فليس تركه من الورع وأما ما لا ريب فى سقـــوطه فليس فعله من الورع قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن ترك الشبهات استبرأ عرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

وقال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى مالا يريبك

وقوله البرُّ ما اطمأنّتْ إليهِ النَّفس وسكنَ إليهِ القلبُ وإنْ أفتاكَ النَّاس وأفتوكَ .

وقوله : « البِرُّ حسْن الخُلُقِ » . وتجد بَعض الزُّهاد وتورُّعه منْ بابِ التركْ فلا يرونَ الورع إلاَّ فِي تركِ الحَرام لاَ فِي أداءِ الواجِب وهذَا يبتْلى به كثيرٌ من المتدينةِ يَتورع عنِ الرُّ ون إلى الظلمةِ من أجلِ البدع فى الدينِ وذوى الفُجور ومَع هذَا يَتركُ أموراً واجبةً عليهِ كحقِ جارٍ وصلةِ رحمٍ ومسكينٍ وصاحبٍ ويَتيمٍ وابن سَبيل وحقٍّ مسلم وذى سلطانٍ وذى علْم وعنْ أمْرٍ بمعروف ونَهى عنْ منكر وعنِ الجْهاد فى سبيلِ الله إلى غيرِ ذلكَ مما فيهِ نَفع للخَلق فى دينهمْ ودنياهُم مماْ يجَب عليهِ فعله لا عَلَى وجهِ العبادة لله بَل منْ جِهة التكليفِ ونحو ذلكَ وهذَا الورَع قدْ يوقِع صاحبه في البِدع فإن ورع الخوارج والروافضِ والمعتزلةِ ونحوهِم منْ هذَا الجنس تورَّعوا عنِ الظلم وَعما اعتقدوه ظلما من مُخالطةِ الظلَمةِ فى زَعمهم حتى تركُوا الواجبات منَ الجمعةِ والجماعةِ وَالحج وَالجِهاد وَنصيحةِ المسلمين وَالرحمة لهم وأهْل هذَا الورع

عمنْ أنكرَ عليهمْ الأئمةُ الأربعةُ وصارَ حالُهم يُذكر فى اعتقادِ أهلِ السُّنة والجماعةِ .

وورعُ أهلِ البِدَع كثيرٌ منه من هذَا النوعِ بَلْ ورعُ اليهودِ والنَّصارى والكفارِ جميعاً عنْ واجباتِ دين الإسلامِ منْ هذَا وقدْ ذمهم اللهُ فى كتابِهِ العزيزِ منْ ورعِهم عمَّا حرموهُ ولم يحرمهُ الله تعالى كالبَحِيرة والسائبةِ والوصيلةِ والحامِ .

ومنْ هذَا البابِ الورعُ الَّذِى ذمهُ الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلم فى الحْديث الصحيح لما ترخَّصَ فى أشْياء فبلغهُ أنَّ أقواماً تنزهوا عنها فقال ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهونَ عن أشياءَ أترخصُ فيها والله إنِّى لأرجُو أنْ أكونَ أعلمهمْ بالله وأخْشاهُم أو كما قالَ صلى اللهُ عليهِ وسلم .

ولهذَا يحتاجُ المتدينُ المتورعُ إلى عِلم كثيرٍ بالكتابِ والسُّنة والفقهِ فى الدِّين وإلا فقدْ يُفسِد تورُّعهُ أكثرَ مما يُصلح كما فعله الكفَّار وأهْل البِدع منَ الخْوارج والرَّوافضِ وغيرهم من أهْل الورعِ الناقصِ أو الفاسدِ وكذلكَ أهْل

الزُّهْد الناقصِ أو الفاسدِ فإنَّ الزُّهد المشرُوع الذى أمرَ بهِ اللهُ ورسولهُ هوَ عدمُ الرَّغبة فيما لا ينفعُ منْ فضولِ المباحِ فتركُ فضُول المباحِ الذى لا ينفع فى الدِّين زهدٌ وليس بورع ولا ريبَ أنَّ الحرص والرَّغبة فى الحياة الدُّنيا وفى الدارِ الدُّنيا منَ المالِ والسلطانِ مُضر كما رُوى الترمذى عنْ كعبِ ابن مالكٍ قالَ : قال رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم ماذئْبان جائعان أُرسِلا فى زَرِيبة غنمٍ بأفسدَ لهاَ منْ حرصِ المرءِ عَلَى المالِ والشرفِ لدينهِ حديث حسن صحيحٌ . فذم النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم الحرص عَلَى المالِ والشَّرف وهوَ الرِّياسة والسُّلطان وأخبر أن ذلكَ يُفسد الدينَ مثل إفسادِ الذِّئبين لزريبة الغنمِ وهذَا دليلٌ عَلَى أن الحرص إنمَا ذُمَّ لأنهُ يُفسد الدِّين الَّذِى هوَ الإيمانُ والْعملُ الصالحُ قال تعاليَ عَلَى لِسانِ منْ عَصاه : « مَا أَغْنى عَنى مَالِيه هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيه » وهُما اللذانِ ذكرهُما الله فى سورةِ القصصَ حيثُ افتتحها بنبإِ فرعوْن وعُلوه فى الأرضِ وهوَ الرِّياسةُ والشرفُ والسُّلطان ثمَّ ذكرَ فى آخرها قارونَ وما أُوتِيه من الأموالِ وذكرَ

عاقبةَ مالهِ وسُلطانه بقوله : « تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً » كحالِ فِرعونَ وقارُونَ فإن جمع المالِ منْ غيرِ إنفاقهِ فى مواضعهِ المأمُورِ بهِ وأخذهِ منْ غيرِ وجْهِهاَ هوَ منَ نوعِ الفسادِ .

ابتلاء الله لعباده رحمة

ومِمَّا يَنبغى أنْ يُعلم أنَّ الرحمةَ صفةٌ تَقتضى إيصالَ المنافعِ والمصالح إلي العبدِ وإنْ كرهتَها نفسه وشقَّت عليهاَ فَهذهِ هى الرَّحمةُ الحقيقيةُ فأرحمُ النَّاس بكَ من شقَّ عليكَ فى ايصالِ مصالحِكَ ودفعَ مضاركَ عنكَ فمِنْ رحمة الأبِ بِولده أن يُكرههُ على التأدُّب بِالعلم والْعملِ ويشق عليهِ فى ذلكَ بالضربِ وغيرهِ ويمنعهُ شهواتهِ التى تعود بِضرره ومَتى أهمل ذلكَ منْ ولدهِ كان لِقلة رحمتهِ به وإنْ ظَنَّ أنهُ يرحمهُ وَيرفههُ وَيريحه فهذه رحمةٌ مقرونةٌ بجهلٍ كرحمةِ الأمِ وَلهذا كانَ منْ تمام رحمةِ أرحمِ الراحمين تسليط أنواعِ البلاءِ على العبد فإنهُ أعلم بِمصلحتهِ فابتلاؤهُ له وَامتحانهُ وَمنعه

من كثير من أغراضه وشهواته من رحمة الله به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه .

وقد جاء في الأثر أن المبتلى إذا دعى له اللهم أرحمه يقول الله عز وجل كيف أرحمه من شيء به أرحمه وفي أثر آخر أن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمى أحدكم مريضه فهذا من تمام رحمته به لا من بخله عليه وهو الجواد الماجد الذي له الجود كله وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها .

فمن رحمته سبحانه بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية لا حاجة إليهم بما أمرهم به فهو الغني الحميد ولا بخلا منه عليهم بما نهاهم عنه فهو الجواد الكريم ومن رحمته أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم وفي داره وجـــواره فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم .

ومنْ رحمتهِ بهم أنهُ حذرهمْ نفسه لئلاَّ يغتروا بهِ فيعاملوه بمَا لا تحسنُ معاملته بهِ كمَا قالَ تعالَى (ويُحذِّرُكمُ اللهُ نفْسَه وَاللهُ رءوفٌ بِالْعبادِ).

جزاء عادل ودعوة مستجابة

كانَ فى الجاهليَّة قيناً يدعَى خبابُ بنُ الأرتِّ يجدُ منْ صناعته الربحَ الوفيرَ والمالَ الجمَّ فهوَ حدادٌ ماهرٌ وكانَ عَلَى دينِ الجاهليةِ يرسفُ فى أغلالها وعقائدِها كما يرسفونَ ولكنَّه لمْ يكنُ سعيداً فى عبادتهِ بينَ قومٍ أنكرُوا عقولهمْ وتعاموْا عن الحقِّ وكانَ مُعجَباً بأولئكَ الذينَ اهتدَوا بفطرتهم إلى التوحيدِ أمثال قسٍّ بنِ ساعدة وأضرابِه فهذِه الحياةُ الدُّنيا طريقٌ إلى الآخرةِ التَّى لابدَّ أن يُبعث فيها الناسُ وينالَ كلُّ إنسانٍ جزاءهُ إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شراً فشرٌ.

وشاء الله أنْ يُسبى خبابُ فى غارةٍ منِ غاراتِ الحروبِ وأن يقعَ فى حيازةِ مولاتِه أم أنمار.

إنَّها لحياةٌ عجيبةٌ وإنَّ الخيرَ فى هذهِ الحياة ينكرهُ الناسُ

ولا يألفهُ أحدٌ ويظلُّ هكذَا بدون معينٍ ولا نصيرٍ بينما الباطلُ كثيرُ الأعوانِ إلا أنَّ سيدتهُ تعاملهُ معاملةً حسنةً قبلَ أنْ يُسلم تعاملُه باللينِ والعطفِ وتشفقُ بهِ ولا تقسُو عليْه وكانتْ لا تتعسفُ معَه ولا تمنعهُ شيئاً يريده حتَّى خيِّل إليْه أنَّه الآمر الناهي وإن كانَ ليسَ منْ طبيعتهِ ذلكَ .

هذهِ حَالةُ خباب فى الجاهليَّة وقبلَ الإسلامِ فلماذَا تغيرتْ هذهِ المعاملة عندَما علمتْ مولاتهُ بإسلامهِ وإيمانه بمحمدٍ وربِ محمد والكتَابِ الَّذى أنزلَ على محمدٍّ .

سبحانك اللهمّ صرفتَ قلوباً عن الحقِّ فعميتْ وأفئدةً عنَ الإيمانِ فشقيتْ وعقولا عن التوحيدِ فضلت ولو شئتَ لهديتَ النَاس جميعاً واستغفر خباب ربه فلقد ذكرَ أنَّ هذَا الضيقَ لا يليق به كمسلم يجب عليه أنْ يقاسىَ الأهوالَ والشدائدَ فى سبيل دينهِ وعقيدتهِ وأنَّ معاملةَ سيدتهِ لم تكنْ منَ القسوهِ والشدة بحيث لاَ تحتمل غير أنه علم أنهاَ ستتخذ معَه طريقاً آخر فلينتظرْ ما يأتيهِ فى الغد وإنَّ الله عنده الفرج القريب .

لقدْ جاءتْ إليه صبيحة ذلكَ اليوم الذِى استعرضَ فيهِ حياته وقالتْ له فى أمر صارم : ارجع عنْ دين محمد فقالَ خباب كلاَّ فلنْ يدخلَ هذَا الدينَ قلباً ثمَّ يخرج منه .

فقالتْ سأعذبكَ عذاباً لمْ تسمعْ بهِ منْ قبل فقالَ لكِ ذلكَ وعَلَى الله أنْ يلهمنى الصَّبر ويهب لى القوة عَلَى ما تفعلين فهوَ قهار السموات والأرضِ فتضاعفَ غيظهاَ وقالتْ سأعذبكَ بالنارِ سأذيقك ألمْ الحديدةِ المحماةِ إنك لتعرفهاَ جيداً وتدركَ قسوة لمسها للبدنِ وإلتصاقهاَ بالجسمْ .

لقدْ عُذِّب منْ قبلِ خباب كثيرٌ منَ المستضعفينَ المؤمنينَ وأهينوا إهانةَ شديدةَ وعُذبوا أقسى تعذيبٍ فصبروا واحتملوا العذابَ وذهلتْ أمَّ أنمارِ حينما احتمل خبــاب ألمَ الحديدةِ المحماةِ ولمْ يدركه شىء منَ الفزع أو الخوفِ لقدْ ظل كما هو ثابتَ القلب قوىَ الإيمانِ عجباً إنْها تضع الحديدةَ الحمراء الملتهبةَ عَلَى رأسهِ ومعَ ذلكِ هوَ متمسكٌ بدينه ترى هلْ بردتْ فأصبحتْ فاقدةَ الحرارةِ ؟ وأرادتْ أنْ تطمئنَّ فوضعتْ

أصبعهَا عليهَا فصرخت وكأنمَا ألقيت فى حفرةٍ منَ النارِ وتكرَّر ذلك منها وكأنمَا وجدتْ فيهِ سلوى فتضايقَ خبابُ منْ ذلك وأرادَ أنْ يعملَ عملاً ولكنهُ رأى أن يستشيرَ النَّبى صلى الله عليهِ وسلَّم واستمع الرسولُ الكريمُ لشكوى خبابٍ منْ فعلِ سيدتهِ أمِ أنمارٍ وتصوَّر ذلكَ المنظرَ الأليمَ فقالَ صلى الله عليه وسلمَّ صبراً ياخبابُ فمنْ قريبٍ يثأرُ الله لكَ وتوجَّه رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم بقلبـــهِ إلى الله وقالَ اللهمَّ انصرْ خباباً .

قالَ خبابٌ بأبى أنتَ وأمى يا رسولَ الله هذهِ حياتكَ خيرٌ وبركةٌ علَى الناسِ تهدِى الحائرَ وترشدُ الضالَّ وتعينُ المحتاجَ وتأخذُ بيدِ الفقيرِ والمسكينِ إنَّ هذهِ الدعواتِ بردٌ وسلامٌ نزلتْ علَى قلبِ خبابٍ فهدأتْ نفسهُ واطمأنَّ قلبهُ .

لقدِ استجابَ الله لدعاء رسولهِ فاشتكتْ منْ رأسها لقدْ جاء دورهاَ إنهاَ لمْ تفهمْ معنى لهذاَ الألمَ العنيفِ الذى فوجئتْ بهِ فى قوةٍ وعنفِ سقطتْ علَى أثرها صريعةً واهنةَ القُوى واشتدَّ بها المرضُ فلمْ تعدْ تحتملُ أكثرَ ممَّا احتملتْ وأرهقهاَ الألمُ

فصارتْ تعوِى كما يعوِى الكلبُ ودعيت الأطباء وأعلنوا جميعاً أنّ العلاجَ أنْ تـكْوى بالنارِ عَلَى رأسهاَ وصرخَ خبابُ قائلاً الله أكبرُ ولله الحمدُ ذكرَ دعوةَ الرسولِ وأنَّ الله استجابَ لهُ وذكرَ قولهاَ لهُ فليأتِ ربكَ يدفعْ عنكَ ألَمَ التعذيبِ فهاهوَ رفعَ عنهُ ألم سوطِ العذابِ الذى كانَ يشوى رأسهُ ويكْوى بدنهُ وأصابهاَ بالسهْم الذى اختارتهُ لتعذيبهِ .

حقاً لقدْ أصابهاَ فى الرأسِ وجعلَ علاجهاَ الـكىَّ بالنّار بتلكَ الحديدةِ المحماةِ واتجهتْ الأنظارُ إلى خبابَ واعتقدوا جميعاً أنهُ وحده هوَ الذى يستطيعُ أنْ يعالجَ المرأةَ ووضعَ الحديدةَ فى النارِ ولمّا أحمرتِ وضع الحديدةَ على رأسهاَ فى المـكانِ الذى كانتْ تضعُ الحديدةَ فيهِ على رأسهِ فهذا الجزاءُ العادلُ منْ ربِّ السمواتِ والأرضِ وهوَ على كلِّ شىءٍ قديرٌ .

أهل البدع شر من أهل المعاصى

أمرَ النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم بقتالِ المشركينَ وطائفة تمرقُ من الدِّين كما يمرقُ السهمُ منَ الرميةِ ونهى عنْ لعن الذى شربَ الخمرَ لما لعنهُ أحدُ الصحابةِ عند إقامة الحدِ عليهِ فقالَ لا تلعنهُ فإنه يحبُّ الله ورسولهُ كما لعنَ فى العموم شاربَ الخمر وبائعهاَ وعاملهاَ ونحو ذلك وقالَ فى ذي الخويصرةِ يخرجُ منْ ضئضئِ هذَا أقوامٌ يقرأونَ القرآن لا يجاوزُ حناجرهمْ يمرقونَ منَ الإسلام كما يمرق السهمُ من الرمية يحقر أحدكمْ صلاته معَ صلاتهمْ وصيامهُ معَ صيامهمْ وقراءتهُ معَ قراءتهم أينما لقيتموهمْ فاقتلوهمْ فإنَّ فى قتلهمْ أجراً عند الله لمنْ قتلهمْ يومَ القيامةِ .

فالخوارجُ أصل بدعتهمْ أنهمْ لا يرونَ طاعةَ الرسولِ واتّباعهِ فيما خالفَ ظاهر القرآنِ عندهمْ وهذا تركُ واجبٍ وكذلك القدريةُ لا يؤمنونَ بعلمْ الله القديم ومشيئتهِ الشاملةِ وقدرتهِ الكاملةِ وهذا تركُ واجب وكذلكَ الجبريةُ لا تثبتُ قدرةَ العبد ومشيئته وقدْ يدفعونَ الأمرَ بالقدرِ وهذَا تركُ

واجبٍ والوعيديةِ لا يرونَ اعتقاد خروج أهل الكبائرِ منِ النارِ ولا قبولَ الشفاعةِ فيهمْ وهذا تركُ واجب وقدْ يضمونَ إلى ذلك اعتقاداً محرماً من تكفير وتفسيق وتخليد وغيرِ ذلكَ هؤلاء منِ أهلِ لبدع فرقٌ شتى .

فضلالُ بنيِ آدمَ وخَطَؤُمْ فى أصولِ دينهمْ وفروعهِ إذَا تأملتهُ تجدُ أكثرهُ مِنْ عدمِ التصديقِ بالحقِّ لا منَ التصديقِ بالباطلِ فما منْ مسألة تنازعَ الناسُ فيهاَ فى الغالبِ إلاَّ وتجدُ ماأثبتهُ الفريقانِ صحيحاً وإنما تجدُ الضلالَ وقعَ منْ جهةِ النفى والتكذيبِ .

مثالُ ذلكَ أنَّ الكفارَ لمْ يضلوا من جهة ما أثبتوهُ منْ وجودِ الحقِّ وإنمَا أتوا منْ جهة ما نفوهُ منِ كتابِ الله وسنة رسولهِ وغير ذلك وحينئذ وقعُوا فى الشركِ وكل أمة مشركةٌ فأصْلُ شِركهاَ عدمُ تمسكهاَ بالكتابِ والسنةِ .

أما منْ تركَ المأمورَ بهِ فقدْ ذمهم الله كما ذمهمُ على تركِ الإيمانِ به وبأسمائهِ وبآياتهِ وملائكته وكتبهِ ورسلهِ والبعثِ

بعدَ الموتِ والجنة والنارِ وتركِ الصلاةِ والزكاةِ والجهادِ وغيرِ ذلكِ منَ الأعمالِ .

والشِّرْكُ أصله تَرْكُ المأمورِ به منْ عِبادة الله وَعدمُ اتباعِ رسولهِ وَتحريمُ الحلالِ فِيه تركُ ما أُمروا بهِ منْ الاستعانةِ بهِ على عِبادة اللهِ وَلما كانَ أصْل النَّهى عنهُ الَّذى فَعلُوه الشركُ وَالتَّحْريم روى فى الحديث « بُعثتُ بِالحنيفيَّةِ السّمحةِ » فالحنيفيَّه ضِد الشركِ وَالسماحَة ضدُّ الحجر وَالتَّضييقُ .

وفى صحيح مسلم عنْ عِياض بن حمارِ رضىَ اللهُ عنه عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم فِيما يروِيه عَن ربه : « إِنِّى خَلقْتُ عِبادى حُنفاءَ فاجتالتهمُ الشَّياطين عنْ دِينهِمْ وحَرّمتْ عليهِمْ ما أَحللْتُ لهُم وَأَمَرتهمُ أنْ يُشرِكوا بِى ما لمْ أنزِلْ بهِ سلطانًا » .

وظهرَ أثرُ هذينِ الذنبينِ فى المنحرفةِ منْ علماءِ العبادِ والملوكِ والعامةِ بتحريم ما أحله الله تعالى والتديُّنِ بنوع من الشركِ والأول يكثر فى المتفقهةِ والتورعةِ . والثانى يكثر فى المتصوفةِ والمتفرقةِ فتبينَ بذلكِ أن ماذمه

اللهُ وعاقبَ عليهِ منْ تركِ الواجباتِ أكثرُ مما ذمهُ اللهُ وعاقبَ عليهِ منْ فعلِ المُحرماتِ.

تحريم الكذب فى رؤيا المنام

عن ابن عباس رضىَ اللهُ عنهما عن النبى صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ (منْ تحلم بحلم لمْ يرهُ كلف أنْ يعقدَ بينَ شعيرتينِ ولنْ يفعل ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهُم لهُ كارهُون صُبَّ فى أُذُنه الآنكُ يومَ القِيامة ومنْ صوَّرَ صُورةً عُذِّب وكلفَ أنْ ينفخ فِيها الرُّوح وليس بنافخٍ) رواه البخارى قوله: تحلَّم رأى رُؤيا فى نومهِ وهوَ كاذبٌ والآنكُ الرَّصاصُ المُذاب.

وعنْ سُمرة بن جُندب رضىَ اللهُ عنه قال: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم مِما يُكثر أنْ يقول لِأصحابهِ هَل رأى أحدٌ منكمْ منْ رُؤيا؟ فيقصُّ عليهِ منْ شاء الله أنْ يقصَّ وإنهُ قالَ لنَا ذاتَ غداةٍ إنهُ أتانِى الليلةَ آتيانِ وأنهُما قالاَ لى انطلقْ وإنِّى انطلقتُ معهماَ وإنَّا أتينا علَى رجل مُضطجع وإذا آخرُ قائمٌ عليهِ بصخرةٍ وإذَا هوَ يهوِى بالصَّخرة لِرأسهِ

فَيثلغُ رأسهُ فيتدَهده الحجرُ ها هُنا فَيتبعُ الْحجر فيأخذهُ فلا يرجعُ إليهِ حتى يَصحَّ رأسهُ كما كانَ ثمّ يَعود عليهِ فَيفعلُ بهِ مثلُ ما فعلَ المرةَ الأولى قال قُلت لهما سُبحان الله ما هذا؟ قالاَ لِي انطلقْ فانطَلقنا فَأتينا عَلَى رجلٍ مُستلقٍ لِقفاه وإذَا آخرُ قائمٌ عليهِ بكلُوب منْ حديدٍ وإذَا هُو يَأتى أحدَ شقّي وجههِ فيشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ ومنخرَهُ إلى قفاهُ وعينهِ إلى قفاهُ ثمَّ يَتحوَّل إلى الجانب الآخرَ فَيفعلُ بهِ مثلَ مافعلَ بِالجانبِ الأوَّل فَمَا يَفرغُ منْ ذلكَ الْجانب حتى يَصحَّ ذلكَ الجانبُ كماَ كانَ ثمّ يَعود عليهِ فَيفعلُ مثلَ ماَ فَعل فى المرَّة الأولى قالَ قُلت سُبحان الله ما هذان قالاَ لى انطلقْ انطلقْ فانطلقَنْا فأتينا عَلَى مِثلِ التَّنُّور فأحسبُ أنهُ قال فَإذا فِيه لغطٌ وأصواتٌ فأطَّلعناَ فِيه فَإذا فِيه رِجال ونساءٌ عُراةٌ وإذَا هُم يَأتيهمْ لهبٌ منْ أسفلَ مِنهم فَإذا أتاَهُم ذلكَ اللهبُ ضوضؤاً قُلت ما هؤلاءِ ؟ قالاَ لى انطلقْ انطلقْ فانطلقناَ فأتَيْنا عَلَى نهرٍ حَسِبت أنهُ كانَ يقُول أحمرُ مِثلُ الدَّم وإذَا فى النهرِ رجلٌ سابح يسبَح وإذا على شَطّ النهر رجلٌ قدْ جمعَ عندهُ الحجارةِ فَيفغرُ له فاهُ فَيلقِمه حجراً

فَينطلقُ فَيسبحُ ثمَّ يرجعُ إليهِ كلَّما رجعَ إليهِ فَغَر فاهُ فألقمهُ حجراً قلت لهماَ ما هذان ؟ قالاَ لى انطلقْ انطلقْ فانطلقْنا عَلَى رجلٍ كريهِ المرآةِ أو كأ كرهِ ما أنتَ راء رجلاً مراى فإذا هوَ عندهُ نارٌ يحشها ويَسْعى حولْها قُلت لَهما ما هذَا؟ قالاَ لى انطلقْ انطلقْ فانطلقناَ فأتَيْنا عَلَى روضةٍ معتمةٍ فِيها منْ كل نورِ الرَّبيـع وإذا بَين ظهرى الروضةِ رجـلٌ طويلٌ لا أكادُ أرى رأسهُ طولاً فى السماءِ ، وإذَا حوْل الرَّجل منْ أكثرِ ولدانٍ ما رأيتهُمْ قَطُّ قُلت ما هذَا ؟ وما هؤلاءِ قالا لى انطلقْ انطلقْ فانطلقناَ فأتيناَ إلى دوحةٍ عَظيمةٍ لم أرَ دوحةً قطُّ أعظمَ مِنها ولا أحسنَ قالاَ لى إرقَ فِيها فارْتقيناَ فِيها إلى مدينـةٍ مبنيـةٍ بلبنِ ذهبٍ ولبنِ فِضـة فأتيناَ بَاب المدينـةِ فاستَفتحنا ففتحَ لناَ فدَخلناهاَ فتلقَّاناَ رجالٌ شطرٌ منْ خَلقهمْ كأحسنِ ما أنْتَ راءٍ وشطْرٍ مِنهم كأقبحِ ما أنتَ راءٍ قالاَ لهُم اذهبوا فَقعوا فى ذلكَ النهْرِ وإذاَ هُو نهرٌ مُعترضٌ يجرِى كأنَّ ماءهُ المحضُ فى البياض فَذهبُوا فوقعُوا فيهِ ثمَّ رجعُوا إلينَا قدْ ذَهب السُّوءِ عنهمْ فصارُوا فى أحسنِ صورةٍ قالَ

وقالاَ لى هذهِ جنةُ عدنٍ وهذَاك منزلُك فَسَما بَصرى صُعداً فَإذا قصرٌ مثلُ الرَّبابة الْبيضاء قَالاَ لى هذَاك منزلُك قُلت لهُما باركَ الله فِيكماَ فَذَرانى فأدخُلَه قالا لى أما الآنَ فلاَ وأنت داخلَه قُلتُ لهُما فإنِّى رأيتُ مُنذ اللَّيلة عجباً ؟ فما هذَا الذى رأيتُ ؟ قالاَ لى أمَّا إنَّا سنُخْبرك أما الرَّجلُ الأوَّل الذِي أتيتَ عليهِ يُثلغ رأسه بِالحجر فَإنه الرَّجل يَأخذُ القُرآن فيرفُضُه ويَنام عن الصَّلاة المكتُوبَة .

وأما الرَّجل الَّذين أتيت عليهِ يُشرشُر شدقه إلي قفاه ومنخُره إلى قَفاه وعينُه إلى قفاه فَإنه الرَّجل يغدُو منْ بَيته فَيكذبُ الكذبةَ تَبلغُ الآفاقَ .

وأمَّا الرِّجال والنِّساء العراةُ الذينَ هُم فى مثلِ بناءِ التنُّور فإنهُمْ الزُّناة والزَّوانى .

وأمَّا الرَّجل الكريهُ المِرآة الذى عندَ النَّار يحشُها ويَسعى حولَها فإنَّهُ مَالكٌ خَازن جَهنَّم .

وأمَّا الرَّجل الطَّويل الَّذى فى الرَّوضةِ فإنَّهُ إبراهيم

وأمّا الوِلْدان الذين حوله فكلُّ مولودٍ مات على الفِطرة. وفى رواية البُرْقانى وُلد على الفِطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله أولادُ المُشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأولادُ المُشركين وأما القومُ الذين كانُوا شطرٌ منهم حسنٌ وشطرٌ منهم قبيحٌ فإنهُمْ قومٌ خلطُوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً تجاوزَ الله عنهُمْ. رواه البخارى.

وفى روايةٍ له رأيتُ الليلةَ رجلينَ أتيانِى فأخرجانِى إلى أرضٍ مُقدسةٍ ثمَّ ذكرهُ وقالَ فانطلقْنا إلى نَقبٍ مِثل التنُّور أعلاهُ ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ يتوقدُ تحتهُ ناراً فإذَا ارتفعتِ ارتفعُوا حتّى كادُوا أن يخرُجوا وإذَا خمدتْ رَجعوا فِيها وفيهاَ رجالٌ ونساءٌ عراةٌ وفِيها حتّى أتينَا على نهرٍ منْ دم فِيه رجلٌ قائمٌ على وسطِ النهرِ وعلى شَطِّ النهْرِ رجلٌ وبين يديهِ حِجارةٌ فأقبلَ الرَّجلُ الذى فى النهرِ فإذَا أرادَ أنْ يخرُجَ رمى الرَّجل بحجرٍ فى فِيه فردهُ حيثُ كانَ فجعلَ كلمَّا جاء لِيخْرُج جعلَ يرمى فى فِيه بحجر فيرجعُ كما كانَ وفِيها فصَعدا بى الشَّجرة فأدْخلانِى داراً لم أرَ قطُّ أحسنَ مِنها فِيها رِجالٌ

شُيوخٌ وشَبابٌ وفِيها الذِى رأيتهُ يُشقُ شدقه فَكذابٌ يحدثُ الناسَ بِالكذبِ فتحملُ عنهُ حتى تبلغَ الآفاقَ فيصنع به إلى يوْم القِيامة وفيها الّذِى رأيتهُ يُشدَخُ رأسه فرجلٌ علمه الله القرآن فينامُ عنه بِالليلِ ولم يعملْ فِيه بِالنهارِ فَيُفعل به إلى يوْم القِيامة .

والدّار الأولى التى دَخلتُ دارُ عامّة المؤمنِينَ وأما هذهِ الدّار فدارُ الشهداءِ وأنا جِبريل وهذا مِيكائيل فارْفع رأسكَ فرفعتُ رَأسِى فإذا فوْق مِثل السَّحاب قالاَ لى ذَلك مَنزِلك قُلت دَعانى أدخُل منْزِلى قالاَ إنه بقى لكَ عُمر لم تَسْتكمله فلو استكملْتهُ أتيت منزِلك . رواه البخارى قوله يَثلغُ رأسه أى يَشدخه ويَشقه قوله يَتدهدهُ أى يَتدحرجُ قوله يُشرشرُ أى يُقطع قوله ضوضئُوا أى صاحُوا قوله يَفغر فاهُ أى يَفتحُ فاهُ قوله يحشُها أى يُوقدها قوله روضَةَ مُعتمة أى كثيرةُ النباتِ طويلته .

المصائب مكفرات الذنوب

قال الله تعالى : « وَلَنبلُونَّكُمْ حَتَّى نَعلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنبلُوَ أَخبَارَكُمْ » .

وعن عائشة رضيَ الله عنها أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قال : ما مِنْ مُصيبة يُصاب بِها المؤمنُ إلا كفَّر الله بِها عنهُ حتى الشَّوكة يشاكها . رواه مسلم.

وعن علقمة بن مرشد بن سابطٍ عن أبيهِ قالَ قال رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم مَنْ أُصيب بِمصيبةٍ فليتذكَّرْ مُصيبته بى فإنها أعظمُ المصائبِ وقال صلى الله عليهِ وسلم إذا ماتَ ولدُ العبد يقول الله لِلملائكة قبضتم ولدَ عبدِي ؟ فيقُولون حمدكَ واسترجعَ فيقُول الله تعالى ابنُوا لِعبدى بيتاً فى الجَنة وسمُّوه بيت الحمد .

وعنْ مُعاوية بن إياس عن أبيهِ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنهُ فقدَ رجلاً منْ أصحابهِ فسألَ عنهُ فقالوا يا رسولَ الله ابنُه الذِى رأيتَهُ هلكَ فلقيه النبى صلى الله

عليهِ وسلم فسأَلهُ عنْ ابنهِ فأَخبره أنهُ هلكَ فعزَّاه عليهِ ثمَّ قال يا فلانُ أيمَّا أحبُّ أن تمتع بهِ عُمرك أو لاَ تأَتى غداً باباً منْ أبوابِ الجَنة إلاَّ وجدتَّهُ قد سبقكَ إليْهِ يَفتحهُ لكَ فقَال يا نبيَّ الله هذا لهُ خاصةً أم لِلمسلمينَ عامَّة ؟ قالَ بَلْ لِلمسلمينَ عامَّةَ . وعنْ أبى مُوسى عن النبى صلى اللهُ عليهِ وسلم أنَّهُ خَرَج إلى البقيع فأَتى امرأَةً جاثِيةً على قبْرٍ تَبكى فقالَ يا أمةَ الله اتَّقى الله واصبِرى قالتْ يا عبدَ الله إنى أنا الحَرّاى الثَّكلى قالَ يا أمةَ الله اتَّقي الله واصبِرى قالت ياعبد الله قَدْ اسْمَعتنى فانصرفْ قال فانصرَفَ النبي صلى الله عليه وسلم وَبصر بِها رجلٌ منَ المسلمينَ فأَتاهاَ فسأَلهَا ما قالَ لكَ الرَّجل ؟ فأَخْبرته بِما قالَ وبِما ردتْ عليهِ فقَال لهَا أتعرفينهُ قالتْ لا والله قالَ ويحَكَ ذلكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبادرتْ تَسعى حَتى أدْركته فقَال يا رسولَ الله أصبرَ قالَ إنما الصَّبر عندَ الصَّدْمة الأولى أىْ إنما يجْملُ الصبر عندَ مُفاجأَة المُصيبة وَأما فِيما بَعد فَيقع السُّلو طبعاً وفى صحيح مُسلم مات ابن لأبى طلحةَ منْ أُم سليم فقالت لأهله لاتحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقرَّبت إليهِ عشاءً فأَكل وشرب ثمَّ تصنعتْ له أحسنَ ما كانتْ تتصنعَّ قبلَ ذلكَ فوقع بهافلمارأت

أنهُ قدْ شبع وأصابَ منها قالت: يا أبا طلحةَ أرأيتَ لو أنَّ قوماً أعارُوا عاريتهمْ أهلَ بيتٍ فطلبُوا عاريتهم ألهمْ أنْ يمنعوهم قالَ لا قالت: فاحتسب: إبنك قالَ فغضبَ أبوُ طلحةَ فقالَ تركتيني حتى إذا تلطختُ أخبرتيني بابني والله لا تغلبيني على الصبرِ فانطاقَ حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلمَ فأخبرهُ بما كان فقالَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم باركَ الله لكما في ليلتكما فذكر الحديث .

وعنَ عَلى بنِ أبي طالبِ رَضِي الله عنهُ للأشعثِ بنِ قيسٍ إنكَ صبرتَ إيماناً واحتساباً وإلاَّ سلوتَ كمَا تسلُوا البهائمُ وكتبَ حكيمٌ إلى رجلٍ قدْ أصيب بمصيبةٍ إنك قدْ ذهبَ منكَ ما رُزقتَ بهِ فلاَ يذهبْ عنكَ ما عُوضتَ عنهُ وهوَ الأجرُ .

وبلغَ الشافعيَّ رضي الله عنه أنَّ عبدَ الرحمن بنَ مهدي رحمهَ الله ماتَ له ابنٌ فجزعَ عليهِ عبدُ الرحمن جزعاً شديداً فبعثَ إليهِ الشافعيُّ يقولُ يا أخي عزِّ نفسكُ بمَا تعزِّي بهِ غيركَ واستقبحْ منْ فعلكَ مَا تستقبحهُ منْ فعلْ غيركِ وأعلمْ

أنّ امضىَ المصائبِ فقدُ سرورٍ وحرمانُ أجرٍ فكيفَ إذَا اجتمعاَ معْ إكتساب وزرٍ ؟ فتناولْ حظك يا أخى إذَا قربَ منكَ قبلَ أنْ تطلبهُ وقدْ نآى عنكَ ألهمكَ الله عندَ المصائبِ صبراً وأحرزَ لناَ ولكَ بالصبرِ أجراً وكتبَ إليهْ يقولُ :

إنىّ معزيكَ لاَ أنىّ علَى ثقةٍ
من الحياةِ ولكنْ سنةُ الدينِ
فماَ المعزَّى بباقٍ بعدَ ميّتهِ
ولاَ المعزى ولَو عاشَ إلىَ حينِ

وعنْ مالكِ بنِ دينَار رحمهُ الله تعالَى قالَ كنتُ فى أول أمرِى مكباً علَى اللهوِ وشربِ الخمرِ فاشتريتُ جارية تسريتُ بهاَ وولدتْ لى بنتاً فأحببتهاَ حباً شديداً إلى أنْ دبتْ ومشتْ فكنتُ إذَا جلستُ لشربِ الخمرِ جاءتْ وجذبتنى عنهُ فأهرقتهُ بينَ يدىّ فلمَّا بلغتْ منَ العمرِ سنتينِ ماتتْ فأكمدنى حزنهاَ قالَ فلما كانَ ليلةُ النصفِ منْ شعبانَ بتُّ وأناَ ثملٌ منَ الخمرِ فرأيتُ فى النومِ كأنّ القيامةَ قدْ قامتْ

وخرجتُ من قبرى وإذَا بتنِّين قدْ تبعنى يريدُ أكلى والتنينُ الحية العظيمةُ قالَ فهربتُ منهُ فتبعنى وصارَ كلما أسرعتُ يهرعُ خلفى وأنا خائفٌ منهُ فمررتُ فى طريقى علَى شيخٍ نقىّ الثيابِ ضعيفٍ فقلتُ ياشيخُ باللهِ أجرنى منْ هذَا التنينِ الذى يريدُ أكلى وإهلاكى فقالَ ياولدى أنَا شيخٌ كبيرٌ وهذَا أقوى منىّ ولاَ طاقةَ لى بهِ ولكنْ مرّ وأسرعْ فلعلّ اللهَ ينجيكَ منـــهُ قالَ فأسرعتُ فى الهربِ وهوَ ورائى فأشرفتُ علَى طبقاتِ النارِ وهىَ تفورُ فكدتُ أنْ أهوى فيهاَ وإذَا قائلٌ يقولُ لستَ منْ أهلى فرجعتُ هاربًا والتنينُ فى أثري فأشرفتُ علَى جبلٍ مستنيرٍ وفيهِ طاقاتٌ وعليهاَ أبوابٌ وستور وإذَا بقائلٍ يقولُ أدركُوا هذَا البائسَ قبلَ أنْ يدركهُ عدوهُ ففتحتُ ورفعتُ الستورَ وأشرفتُ منهاَ علَى أطفالٍ بوجوهٍ كالأقمارِ وإذَا ابنتى معهمْ فلمّا رأتنى نزلتْ إلىَّ كفةٍ منْ نورٍ وضربتْ بيدهَا اليمنى التنينَ فولّى هاربًا وجلستْ فى حجري وقالتْ ياأبتِ (ألمْ يأنِ للذينَ آمنُــوا أنْ تخشعُ قلوبهمْ لذكرِ اللهِ ومَا نزلَ منَ الحقُ) فقلتُ يابنية وأنتمْ

تعرفونَ القرآنَ ؟ قالتْ : نحنُ منْ ماتَ من أطفالِ المسلمينَ أُسكنا هاهنا إلى يومِ القيامةِ ننتظركُم تقدمونَ علينا فقلتُ يا بنية ماهذا التنينُ الذي يطاردني ويريدُ إهلاكي ؟ قالتْ يا أبتِ ذلكَ عملكَ السوءُ قويتهُ فأرادَ إهلاككَ فقلتُ ومنْ ذلكَ الشيخُ الضعيفُ الذي رأيتهُ ؟ قالتْ ذلكَ عملكَ الصالحُ أضعفتهُ حتىَّ لمْ يكنْ لهُ طاقةٌ بعملكَ السوءِ فتبْ إلى الله ولاَ تكنْ منَ الهالكينَ قالَ ثُم ارتفعتْ عنِّي واستيقظتُ فتبت إلى الله منْ ساعتي .

فانظرْ رحمك الله إلىَ بركةِ الذريةِ إذَا ماتُوا صغاراً ذكورًا كانُوا أوْ إناثاً وإنماَ يحصلُ للوالد النفعُ بهماَ في الآخرةِ إذَا صبرُوا واحتسبوُا وقالوا الحمدِ لله إناَّ لله وإناَّ إليه راجعون إقراراً بالهلاكِ والفناءِ والبعثِ في دارِ البقاءِ دارِ السعادةِ أوِ الشقاء فاخترْ لكَ منهما إحدى المنزلتين .

الخوف من عذاب الله

قالَ تعالىَ (إنَّ بطشَ ربِّكَ لشديدٌ) وقال تعالى : (وكذلكَ أخذُ ربِّكَ إذَا أخذَ القرَى وهىَ ظالمةٌ إنَّ أخذَهُ أليمٌ شديدٌ إنَّ فى ذلك لآيةً لمنْ خافَ عذابَ الآخرةِ ذلكَ يومٌ مجموعٌ لهُ النَّاسُ وذلكَ يومٌ مشهودٌ وما نؤخرهُ إلاَّ لأجلٍ معدودٍ يومَ يأتِ لا تكلمُ نفسٌ إلاَّ بإذنهِ فمنهم شقىٌّ وسعيدٌ) والآيات كثيرةٌ جداً فى ذلكَ .

وعنْ أنسٍ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ خطبناَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ خطبةً ما سمعتُ مثلهاَ قطُّ فقالَ (لوْ تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتمْ قليلاً ولبكيتمْ كثيراً فغطى أصحابُ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وجوههمْ ولهمْ خنينٌ) متفقٌ عليهِ . وفى رواية بلغَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم عنْ أصحابهِ شىءٌ فخطبَ فقالَ عرضتْ علَىَّ الجنةُ والنَّارُ فلمْ أرَ كاليومِ فى الخيرِ والشرِّ ولوْ تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتمْ قليلاً ولبكيتمْ كثيراً فمَا أتىَ علَى أصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يومٌ أشدُّ

منه غطوا رؤسهم ولهم خنين (الخنين البكاء مع اجتذاب النفس).

وعن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم لمقدار ميل قال سليم بن عامر الراوى عن المقداد فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذى يكحل به العين فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه رواه مسلم .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرى مالا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعنْ أبي برزةَ فضلةَ بنِ عُبيد الأسلمي رضي الله عنه قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لا تزولُ قدماَ عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عنْ عمرهِ فيماَ أفناهُ وعنْ علمهِ فيمَ فعلِ فيهِ وعنْ مالهِ منْ أينَ اكتسبه وفيمَ أنفقَه وعنْ جسمهِ فيمَ أبلاهُ رواهُ الترمذي وقالَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وعنْ عائشةَ رضيِ اللهُ عنهاَ قالتْ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلَّمَ يقولُ يحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ حفاةً عراةً عزلاً قلتُ يا رسولَ اللهِ الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضهمُ إلى بعضٍ ؟ قال يا عائشةُ الأمرُ أشدُّ منْ أنْ يهمهمُ ذلكَ وفى روايةِ الأمرِ أهمُّ منْ أنْ ينظرَ بعضهُم إلى بعضٍ متفقٌ عليهِ .

وعنْ أبيِ هريرةَ رضيِ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم منْ خافَ أدلجَ ومنْ أدلجَ بلغَ المنزلَ ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنةُ رواهِ الترمذِي وقال حديثٌ حسنٌ .

وعنْ أبى هُريرة رضيِ الله عنه قالَ قرأَ رسول الله صلى

الله عليه وسلَّم (يومئذٍ تحدّث أخبارها) ثم قالَ أتدرونَ ما أخبارهَا ؟ قالُوا الله ورسولهِ أعلم قالَ أخبارهَا أن تشهدَ عَلَى كلّ عبْد أوْ أمَة بمَا عملَ عَلَى ظهرِها تقول عملتَ كذَا وكذَا فى يومِ كذَا وكذَا فهذِه أخبارها رَواه الترمذىِ وقالَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

وعنْ عدىٍّ بنِ حاتَم رضىِ الله عنه قالَ قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ما منكُم منْ أحد إلاَّ سيكلّمه ربه ليسَ بينه وبينه ترجمان فينظر أيمنَ منه فلاَ يرَى إلا ما قدم وينظر أشأمَ منه فلاَ يرَي إلا ما قدَّمَ وينظر بينَ يدَيه فلاَ يرَي إلاَّ النارَ تلقاءَ وجههِ فاتقوا النارَ ولوْ بشقّ تمرة متفقٌ عَلَيْه .

وعنْ سمرةْ بنِ جندبِ رضيِ الله عنه أنّ نبىِ الله صلى الله عليه وسلَّم قالَ منهمْ منْ تأخذه النّار إلَى كعبيهِ ومنهم منْ تأخذه إلَى حجزتهِ ومنهمْ منْ تأخذُه إلَي ترقوتهِ رَواه مُسْلم .

وعنِ النعمانِ بنِ بشيرِ رضىِ الله عنهماَ قالَ سمعتُ رسولَ

رسول الله صلىّ اللهُ عليه وسلمَ يقولُ إنّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً يومَ القيامةِ لرجلٌ يوضعُ فى إخمَصَ قدميهِ جمرتانً يغلى منهما دماغهُ ما يُرَى أن أحدا أشدُّ منـهُ عذاباً وإنهُ لأهونَهمْ عذاباً متفقٌ عليه .

وعن ابنِ عمر رضىَ الله عنهما أنّ رسول الله صلىّ الله عليه وسلم قالَ يقومُ الناس لربِ العالمينَ حتىّ يغيبَ أحدُهم فى رشحهِ إلى أَنصاف أذنيهِ متفقٌ عليه ـ الرشح العرق .

عذاب القـــــبر

عن البراء بنِ عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنَ عَلَى رؤسنا الطير وفى يده عود ينكتُ به الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أوثلاثا ثم قال إنّ العبدَ المؤمن إذا كان فى انقطاع منَ الدنيا وإقبالٍ على الآخرة نزَل إليه ملائكةٌ من السماءِ بيضُ الوجوه كأنّ وجوههم الشّمس معهم كفَنٌ من أكفان

الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منهُ مدّ البصر ثم يجىء ملَك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتّها النفس المطمئنة أخرُجى إلى مغفرةٍ من الله ورضوان قال فتخرُج تسيل كما تسيلُ القطرة من السقاء فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرُج منها كأطيب نفحةِ مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأ من الملائكة إلاَّ قالوا ما هذه الرُّوح الطيبة فيقولون : فلانُ بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماءِ السابعةِ فيقول الله تبارك وتعالى اكتبوا كتابَ عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى .

قال فتُعاد روحُه فى جسده فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له من ربُّك فيقول ربى الله فيقولان ما دِينُك فيقول دينى الإسلامُ فيقولان ما هذا الرجلُ الذى بُعث فيكم فيقول هو رسولُ الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتَاب الله فآمنتُ به وصدّقت فيُنادى مُنادٍ من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من رَوْحها

وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الثياب طيّب الرِّيح فيقول أبشر بالذى يسرُّك هذا يومُك الذى كنتَ توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يَجيء بالخير فيقول أنا عملُك الصَّالح فيقول ربّ أَقِم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

قال وإنّ العبدَ الكافر إذا كان فى انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوه معهم المُسُوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضبه قال فتفرّق فى جسده فينتزعها كما يَنتزع السَّفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثةٍ وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الرُّوح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهىَ به إلى السماء الدنيا فيُستفتَح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تُفَتَّحُ لهُمْ أبوابُ السَّماءِ

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) .

فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدى فى سجن الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماء فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فى مَكَانٍ سَحِيقٍ) .

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقولُ هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجلُ الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى منادٍ أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من ذُكاء حرها وسمومها ويضيق قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه قبيح الثياب منتنُ الريح فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيثُ فيقول رب لا تقم الساعة .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى إنْ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار

فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة

وقال كعب إذا وُضع العبدُ الصالحُ فى قبره احتوشته أعمالهُ الصالحةُ فتجيء ملائكةُ العذاب قِبلَ رجليه فتقول الصلاةُ إليكم عنه فلا سبيلَ لكم عليه فقد أطال القيامَ لله عز وجل فيأتونه من قبل رأسه فيقولُ الصيام لاسبيلَ لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فيأتونه من قِبلَ جسدِه فيقول الحجُّ والجِهادُ إليكم عنه فقد نصَب نفْسه وأتعب بدنَه وحج وجاهد لله تعالى لاسبيلَ لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقةُ كفُّوا عن صاحبى فكم مِن صدقة خرَجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سَبيل لكم عليه فيقال له نم هنيئاً طبتَ حيًّا وميتاً قال وتأتيه ملائكة الرّحمة فيُفرشونه فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له فى قبره مدّ بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنورِه إلى يوم يبعثه الله عز وجل من قبره :

هلْ على نفسه امرُؤٌ محزون ... مُوقن أنه غــداً مدْفون

فهو للموت مُستعِد مُعَد ... لا يصون الحُطام فيما يصون

كلُّنا نكنز المذمّة للدنيــا ... وكلٌّ بحُبها مفتون

يا كثيرَ الكنوز إنّ الذى بك ... فيكَ مِما اكتنزْت منها الدُّون

أىُّ حى إلاَّ سيَصرعه الدَّهـ ... رُ وإلا ستستبيه المَنون
أين آباؤناى وآباؤهم قبـل ... وأين القرون أين القرون
لتنالنك ولو أنَّك ... فى شاهِق عليك الحصُون
كم أناسٍ كانوا فأفنتهُم الأ ... يام حتى كأنهم لم يكونوا
إنَّ رَأيا دعا إلى طاعةِ الله ... لرَأْىٌ مُبارَكٌ ميمون

مايعتصم به من الشيطان الرجيم

ذ كر ابنُ القيم رحمه الله تعالى أنَّ العصمةَ من الشيطان بعشرة أسباب يحترز بها الإنسانُ من الشياطين .

الحرْز الأول الاستِعاذة بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى (وإمَّا يَنزَغنَّك مِنَ الشَّيطانِ نَزغٌ فاستَعِذ بالله إنَّه هُوَ السَّميعُ العَلِيمُ) المراد بالسميع ههنا سميع الإجابة لاالسَّمع العام . الحِرز الثانى قراءةُ المعوذتين فإن لهما تأثيرا عجيبا فى الاستعاذة بالله من شر الشيطان ودَفعهِ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتعوَّذ المُتَعوذُون بمثلها وكان عليه الصلاة والسلام يتعَّوذ بهما كلَّ ليلة عند النوم وأمر عُقبة بنَ عامر أن يتعوذ بهما دُبر كل صلاة وذ كر صلى الله عليه وسلم أنَّ من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثا حين يُمسى وثلاثا حين يُصبح كفتاه من كل شر .

الحرز الثالث قراءةُ آية الكرسى .

الحرْز الرابع قراءة سورة البقرة ففى الصَّحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إنَّ البيت الذى تقرَأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان .

الحرز الخامس خاتمة سورة البقرة فقد ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه .

الحرز السادس أولُ سورة حم المؤمن إلى قوله إليه المَصيرُ ففى الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى ليلى عن زَرارة بن مُصعب عن أبى سلَمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن إلى قوله إليه المَصير وآية الكرسى حين يُصبح حفظ بهما حتى يُمسى ومن قرأها حين يُمسى حفظ بهما حتى يصبح وعبدُ الرحمن المليكى وإن كان قد تكلم فيه من قِبل حفظه فالحديث له شواهدُ فى قراءة آية الكرسى وهو مُحتَمل على غرابته .

الحرز السابع لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة ففى الصحيحين أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكُتب له مائةُ حسنة ومُحيت عنه مائةُ سيئة وكانت حرزا له من الشيطان يومَه ذلك حتى يُمسى ولم يأت أحد بأفضلَ منه إلا رجل عمل أكثرَ من ذلك فهذا حرز عظيمُ النَّفع جليلُ الفائدة يسير على من يسّره الله عليه .

الحرز الثامن وهو أنفع الحروز من الشيطان كثرة ذكر الله عز وجل وهذا بعينه هو الذى دلّت عليه سورةُ الناس فإنه وصف الشيطانَ فيها بأنه الخنَّاس الذى إذا ذكَر العبدُ ربه انخنس فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه وساوسَ فما أحرزَ العبدُ نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبدُ به ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نار تصلى فى قلب بن آدم كما روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا وإنَّ الغضب جمرةٌ فى قلب ابن آدم فما أطفأ العبدُ جمرةَ الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة فإن الصلاة إذا وقعت بخُشوعها والإقبال عَلَى الله فيها

أذهبت أثر ذلك جملة وهذا أمر تجربته تغنى عن إقامة الدليل عليه .

الحرز العاشر إمساك فضول الكلام فإنها تفتح أبوابا من الشر كلها مداخلُ للشيطان فإمساك فضول الكلام يسُد عنه تلك الأبواب وكم من حرب جرتها كلمةٌ واحدة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكبُّ الناسَ على مناخرهم فى النار إلا حصائدُ ألسنتهم .

وفى المسند أن رجلا من الأنصار توفى فقال بعضُ الصحابه طوبى له فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما يدريك لعله تكلم بما لايعنيه أو بخل بما لا ينقصه .

وأكثر المعاصى إنما تولد من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فإنَّ جارحتهما لايملاَّن ولايسأمان بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام وأما العينان ولو تركا لم يفترا وكان السلف يحذرون من فضول النظر وكانوا يقولون ما من شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان .

وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر فانه

يجر الجوارح إلى المعاصي ويُثقلها عن الطاعات وحسبك بهذا شرا فكم من معصية جلبها الشبع وفضولُ الطعام ولهذا جاء فى بعض الآثار ضيقوا مجارىَ الشيطان بالصوم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وِعاء شرا مِن بطنه ولو لم يكن فى الإمتلاء من الطعام إلاَّ أنَّه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله فإذا غفَل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه الشيطان وشهَّاه وهام به فى كل واد فإنَّ النفس إذا شبعت تحرَّكت وطافَت على أبواب الشهوات فإذا جاعَت سكنَت وذلَّت وأما فضول المخُالطات فهى الداء العضال الجالبة لكل شر وكم سلبت المخُالطة والمُعاشرة من نعمة وكم زرعَت من عداوة وكم غرست فى القلب من حرارة .

فضُول المخُالطة بقدر الحاجة ويجعل الناسَ فيها أربعة أقسام متى خلط أحدَ الاقسام بالآخر ولم يُميِّز بينهما دخل عليه الشرُّ من أحدهما من مخُالطته الغذاء ولا يستغنى عنه فى اليوم والليلة فإذا أخذ حاجته منه ترك مخُالطته ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام وهذا الضَّرب أعزُّ من الكبريت الأحمر وهم العُلماء بالله وبأمره

ومكائد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها النَّاصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب من مخالطتهم الرِّبح كُله .

القسم الثانى مَن مخالطتهم كالدَّواء على اختلاف أنواعه وقوَّته وضعفه تحتاج إليه عند المرض فما دُمت صحيحا فلا حاجةَ لك فى خَلْطته وهم من لاتَستغنى عن مخُالطتهم فى مصلحة المعاش وقيام ما أنت تحتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارات والقسم الثالث من مخُالطتهم كالداء على اختلاف أنواعه وقوته وضعفه فنهم مَنْ مخُالطته كالدَّاء العُضال وهو مَن لا تربح عليه فى دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد من أن تخسرَ عليه للدين والدنيا أو أحدهما فهذا إذا تمكَّنت مخُالطته واتَّصلت فهى مرضُ الموت المخُوف ومنهم مَن مخُالطتُه حُمى الربع وهو الثقيلُ البغيض الذى لا يُحسن إن تكلَّم لا يُفيدك ولا يُحسن أن يُنصت فيستفيدَ منك ولا يعرف منزلته منك فيضعها فى منزلتها بل إن تكلَّم فكلامُه كالعصا ينزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وإن سكت فأثقل من نصف الرَّحى العظيمة التى لا يُطاق حملها ومنهم مَن مخُالطتُه كوجع الضرس فإذا فارقك سكن الأذى ، ويُذكَر عن الشافعى رحمه الله أنه قال .

ما جلس إلى جانبي ثقيلٌ إلا وجدْتُ الجانبَ الذي هو فيه أثقلُ من الآخرَ قال ابنُ القيم رحمه الله ورأيتُ يوما عند شيخنا قدَّس الله رُوحه رجلا من هذا الضَّرب والشيخ رحمه الله يتحمَّله وقد ضَعُفت القُوى عن حمله فالتفتَ إلىَّ وقال مُجالَسة الثقيَّل حُمىَّ الربع ثم قال ولكنْ ادَّمنت ارواحُنا على الحُمى فصارت لها عادة أو كما قال رحمه الله .

وبالجملة فمُخالطة كلٍّ مخالِف من هذا الضَّرب ومن نكَد الدنيا عَلَى العبد أن يُبتلى بهذا النوع وليس له بُد من مُعاشرَته ومُخالَطته فليُعاشرْه بالمعروف حتى يجعلَ الله له فرَجا ومخرجا . القسم الرابع من مُخالطته الهلَكة ومُخالطته بمنزلة السُم فإن اتَّفق لا كله ترْياق وإلا فأحسَن اللهُ فيه العزاء وما أكْثرُ هذا الضَّرب في الناس لا كَثَّرهم اللهُ وهم أهلُ البدع والضَّلال الصَّادُّون عن سنةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسَلم الدَّاعون إلى خلافها فيجعْلون السُّنة بدعةً والبدعةَ سنة إن جَرَّدتَ التَّوحيد قالوا تنقصْتَ الأوْلياء والصَّالحين وإن جَرَّدتَ المُتابعة لِلرَّسول قالوا أهْدرتَ الأئَّمة المتْبوعين وإن وصفْتَ اللهَ بما وصَف به نفسَه وبما وصفَه به رسولُه مِن غير غلُوٍّ ولا تقْصير

قالوا أنتَ من المشبِّهين وإن أمرتَ بما أمر الله به ورسولُه من المعروف ونهيتَ عن المنكر قالوا أنتَ من المفتنين وإن اتَّبعتَ السُّنة وتركتَ ما خالفها قالوا أنتَ من الملبِّسين وإن تركتَ ما أنتَ عليه واتَّبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين فالحزمُ كلُّ الحزم التماسُ مرضاة الله ورسوله بإغضابهم وأن لا تبالى بذمِّهم ولا بغضبهم فإنَّه عين كمالك كما قيل :ـ

وإذا أتتْك مذمَّتى من ناقصٍ

فهى الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

فمَن كان بوَّاب قلبه وحارسُه من هذه المداخل الأربعة التى هى أصلُ بلاء العالَم وهى فضول النظر والكلامُ والطعامُ والمخالطةُ واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التِّسعة التى يُحترز بها من الشيطان فقد أخذ نصيبَه من التَّوفيق وسدَّ على نفسه بابَ جهنم وفتح بابَ الرحمة ويُوشك أنَ يحمد عند الممات عاقبةَ هذا الدَّواء فعند الممات يحمد العبدُ التُّقى وفى الصَّباح يحمد القومُ السُّرى .

المكاء والتصدية والغناء

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى ومن مكائِد عدُو الله التى كادَ بها مَن قلَّ نَصيبه من العِلْم والعقل والدِّين وصاد بها قلوبَ الجاهلين والمُبطلين سماعُ المكاء والتَّصدية والغِناء بالْآلات المحُرَّمة التى تصُد القلوبَ عن القُرآن وتجعلُها عاكفةً على الفُسوق والعصيان فهو قرآنُ الشيطان والحجابِ الكثيف عن الرَّحمن وهو رُقْية اللّواط والزنا وبه ينَال العاشقُ الفاسق من معْشُوقه غايةَ المُنى كادَ به النفوسَ المبُطلة وحسَّنه لها مكْرا منه وغروراً وأوْحى إليها الشُّبه البَاطلة على حسنه فقبلت وحيَه واتَّخذت لأجله القرآن مهْجُوراً ، فلو رأيتَهم عند ذيّاك السماع وقد خشعت منهم الأصواتُ وهدأت منهم الحركاتُ وعكفت قلوبُهم بكُلّيتها عليه وانصبابُها إنْصبابة واحدة إليه فتمايَلُوا له كتمايُل النُشوان وتكسَّروا فى حركاتهم ورَقْصهم لرأيتَ تكسُّر النِّسوان ويَحق لهم ذَلك وقد خالط خمارُها النُّفوس ففَعل بهم أعظمَ ما تفعلهُ حميّا الكُؤُس فلِغَير الله بل للشَّيطان قلوبٌ هناك تمزَّق وأثوابٌ تُشقَّق وأموال فى غير طاعةِ الله تُنفَق حتى إذا عمِل السُّكر فيهم عملَه وبلغ الشيطانُ منهم أُمنيته وأمَله واسْتفزَهم بِصوته وحيِله وأجْلب

عليهم بخيله وَرجله وخز فى صدورهم وَخزا أو أزَّهم إلى ضرب بالأقدام ازاً فطَورا يجعلهم كالحمير حول المَدار وتارة كالذباب ترقص وسط الديار فيارَحمتاه للسقوف والأرض من ذلك تلك الأقدام وياسوءتاه مِن أشباه الحَمير والأنعام ويا شماتة أعداء الإسلام بالَّذين يزعمُون أنَّهم خواص الإسلام قضَوا حياتهم لذة وطربًا واتخذُوا دينهم لهْوا ولعِبا مزاميرُ الشيطان أحبُّ إليهم من استماع سُوَر القرآن لو سمِع أحدُهم القرآن من أوله إلى آخره لمَا حرّك له ساكنا ولا أزعج له قاطِنا ولا أثار فيهم وجْدا ولا قدَح فيه من لوِاعج الشّوق إلى الله زِندا حتىَ إذا تلُى عليهم قرآنُ الشيطان وَولج مزْمورُه سمعَه تفجَّرت ينابيعُ الوَجدِ من قلبِه على عينه فجرَت وعلى أقْدامه فرقَصت وعلى يديه فصفقت وعلى زفَراته فتزايدَت وعلى نيران أشْواقه فاشْتعلت . فيا أيها الفاتنُ المفتون والبائعُ حظَّه من الله بنصَيبه من الشيطان صفقة خاسرٍ مغبوُن هلاَّ كانت هذه الأشْجان عند سماع القرآن وهذه الأذْواق والأوَاجيدُ عند قراءة القرآن المجيد وهذه الأحوالُ السنيات عند السور والآيات ولكن كلُّ أمرىء يصْبو إلى ما يُناسبه ويَميلُ إلى ما يشاكِله والجِنسية علةُ

الضم قذراً وشرعاً والمشاكلة سببُ الميل عقلا وطبعا فمن أين هذا الأخاء والنسب لولا التملق من الشيطان بأقوى سبب ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللا (أفتتخذونه وذُرّيّتَه أولياءَ مِنْ دُوني وَهُمْ لَكم عدُوٌّ بئسَ للظّالمينَ بَدَلا) ولقد أحسن القائل :

تُلِيَ الكتابُ فأطرقوا لا خِيفةً
لكنّه إطراق ساهٍ لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا
والله ما رقصُوا لأجلِ الله
دُفٌّ ومزمارٌ ونغمة شادنٍ
فمتى رأيتَ عِبادة بملاهي
ثقُلَ الكتاب عليهم لمّا رأوا
تقييده بأوامرٍ ونَواهي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى
زجراً وتخويفاً بفعل مَناهي
ورأوه أعظمَ قاطعٍ للنفسِ عن
شهَواتِها يا ويحها المتناهي

وأتى السَّماع مُوافقاً أغراضها
فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المسُاعِد للهوى من قاطعٍ
أسبابَه عِند الجهُول السَّاهى
إنْ لَمَ يكن خمرُ الجسُوم فإنه
خمرُ العقُول مماثل ومُضاهى
فانظُر إلى النَّشوان عند شرابه
وانظُر إلى النَّشوان عِند ملاهى
واحكُم بأىِّ الخمرتين أحقُّ
بالتَّحريم والتَّأثيم عِند اللهِ

ومن مكائد عدو الله مافتن به عشاق الصور

وتِلك لعمْرُ الله الفِتنة الـكبُرى والبَليَّة العُظمى التى استَعْبدت النفوس لِغير خلاقها وملـكت القلوبَ لِمنَ يسومُها الهَوان من عُشَّاقها وألقت الحربَ بين العِشق والتَّوحيد ودعت إلى مُوالاة كلِّ شيطان مَريد، فصيَّرت القلبَ للهْوى أسيرا وجعلتْه عليه حاكما وأميرا فأوسعت القلوبَ مِحنة وملأتْها فتنة

وحالَت بينها وبينَ رُشدها وصرَفتْها عن طريق قصدِها إلى أن قال رحمه الله .

إذا عرفت هذا فأصْل كلّ فعل وحركة فى العالَم من الحُب والإرادةِ فهُما مبْدأ لِجميع الأفعال والحركات كما أنَّ البُغض والكراهية مبْدأ كلّ ترْك وكَف إذا قيل إن الترك والكف أمر وجودى كما عليه أكثرُ الناس وبأنه عدَمى فيكفى فى عدمَه عدمُ مقتضِيه .

والتَّحقيق أن التِّرك نوعان ترك هو أمر وجُودى وهو كَفُ النفس ومنعُها وحبسُها عن الفعل فهذا سببُه أمر وجُودى وترك هو عَدم محْضٍ فهذا يكفى فيه عدمُ المقتُضِي فانقسم الترك إلى قسمين : قِسم يكفى فيه عـدمُ السبب المقتُضِي لوجوده ، وقسم يستْلزم وجودَ السبب الموجُب له من البُغض والكَراهية وهذا السبب لا يَقتْضى بمجرّدِه كفُ النفس وحبسها والالْتِئام مسبَّب عن المحبة والإرادة يقْضى أمر هو أحبُ إليه من هذا الذى كفّ نفسَه عنه فيتمارضُ عنده

الأمران فيؤثر خيرهما وأعلاهما وأنفعهما له وأحبهما إليه على أدناهما فلا يترك محبوبا إلا لمحبوب هو أحب إليه منه ولا يرتكب مبغوضاً إلا ليتخلص به من مبغوض هو أكره إليه منه إلى أن قال :

ولهذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وكان من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان فإن الإيمان علم وعمل والعمل ثمرة العلم وهو نوعان عمل القلب حباً وبغضاً ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلا وتركا وهما العطاء والمنع فإذا كانت هذه الأصول الأربعة لله كان صاحبها مستكمل الإيمان وما نقص منها وكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه .

فوالله لولا الله يسعدُ عبدَه
بتوفيقه والله بالعبد أرحم
لما ثبتَ الإيمان يوما بقلبه
على هذه العِلاّت والأمرُ أعظمُ
ولا طاوعته النفسُ في ترك شهوةٍ
مخافةَ نارٍ جمْرُها يتضرّم

ولا خاف يوماً مِن مقام إلهه
عليه بحُكم القِسط إذ ليس يَظلمُ

فتنة الشبهات وفتنة الشهوات

والفتنة نوعان فتنة الشُّبهات وهى أعظمُ الفتن وفتنة الشهوات وقد يجممان للعبد وقد ينفرد بأحدهما ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلةِ العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فسادُ القصد وحصولُ الهوى فهنالك الفتنةُ العظمى والمصيبة الكبرى فقلْ ما شئت فى ضلال سيِّء القصْد الحاكم عليه الهوى لا الهُدى مع ضعف بَصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسولَه وهو مِن الذين قال الله فيهم (إنْ يتَّبِعونَ الاَّ الظَّنَّ وما تَهْوى الأنفُسُ)

وقد أخبر سبحانه أنَّ اتّباع الهوى يُضل عن سبيل الله فقال (يادَاودُ إنّا جعَلْناكَ خَليفةً فى الأرضِ فاحْكُم بَيْنَ النَّاس بالحقِّ ولاَ تتَّبِعِ الهوى فيُضِلَّك عن سَبيلِ الله) وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق وهى فتنةُ المنافقين وفتنة أهل البدع على حسَب مراتب بدَعهم فجميعُهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التى اشتبه عليهم فيها الحقُّ بالباطل والهُدى بالضلال

ولا ينجّي من هذه الفتنة إلا تجريدُ المتابعة للرّسول صلى الله عليه وسلم وتحكيمُه في دقّ الدين وجُلّه ظاهرِه وباطنه حقائقه وشرائعه فتُتَلَقَّى عنه حقائقُ الإيمان وشرائع الإسلام وما يُثبته اللهُ من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه كما يتلقى عنه وجوبُ الصلوات وأوقاتها واعدادها ومقادير نصُب الزكاة ومُستحقيها ووجوبُ الوضوء والغسل من الجنابة وصومُ رمضان فلا يجعله رسولا في شيء دونَ شيء من أمور الدين بل هو رسولٌ في كل شيء تحتاج إليه الأمّةُ في العلم والعمل لا يُتلقَّى إلا عنه ولا يؤُخذ إلا منه ، فالهدى كلّه دائر على أقواله وأفعاله وكلما خرج عنها فهو ضلالٌ فاذا عقد قلبه على ذلك وأعرَض عما سواه ووزَنه بما جاء به الرسولُ فانْ وافقه قبِله لا لِكون ذلك القائل قاله بلْ لموافقته للرّسالة وإنْ خالفه ردّه ولو قاله من قاله فهذا الذي يُنجيه من فتنةِ الشُّبهات وإنْ فاته ذلك أصابه من فتنتها بِحسَبِ مافاته منه ، وهذه الفتنةُ تنشأ تارة من فهم فاسدٍ وتارة من نقل كاذبٍ وتارة من حقٍّ ثابتٍ خفِيَ على الرجل فلم يظفَر به وتارة من غرض فاسد وهو مُتّبَع فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة .

النوع الثانى فتنةُ الشهوات وقد جمع سبحانه بين الفتنتين فى قوله تعالى (كالَّذِين مِن قَبْلِكُمْ كانُوا أشدَّ مِنكمْ قوّة وأكثرَ أموالاً وأولاَدا فاستَمْتَعُوا بِخلاَقِهِم فاستَمتعتُم بِخلاَقِكمْ) أى تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها والخَلاق هو النصيب المُقدرَّ ثم قال (وَخُضتُمْ كالَّذِى خاضُوا) فهذا الخوضُ بالباطل وهو الشُّبهات فأشار سبحانه فى هذه الآية إلى ما حصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق والخوض بالباطل لأن فسادَ الدِّين إما أن يكون باعتقاد الباطلِ والتكلُّم به أو بالعمل بخلاف العِلْم الصحيح فالأول هو البِدَع وما والاها والثانى فسق الأعمال والأوَّل فسادٌ من جهة الشُّبهات والثانى من جهة الشهوات ولهذا كان السَّلف يقولون أحذروا من الناس صنفين صاحبُ هوى قد فتنه هواه وصاحبِ دنيا أعْمته دنياه، وكانوا يقولون احذروا فتنةَ العالِم الفاجر والعابِد الجاهل فإن فتنتهما فتنةٌ لِكل مفتون وأصلُ كلِّ فتنة إنما هو تقديمُ الرأى على الشرع والهوى على العَقْل.

فالأول أصل فتنة الشُبهة والثانى أصل فتنة الشهوة ففتنة

الشبهات تدْفعُ باليقين وفتنة الشهوات تدْفَع بالصَّبر ولذلك جعل سبحانه إمامةَ الدِّين منُوطة بهذين الأمرين فقال (وجَعَلْنَا مِنهم أَئِمَّـةً يَهدُونَ بِأَمْرِنا لمَّا صبرُوا وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُون).

فدلَّ على أنه بالصبر واليقين تُنالِ الإمامةُ فى الدِّين وجمع بينهما فى قولهِ تعالى (وتواصَوا بِالحَقِّ وتواصَوا بِالصَّبر) فتواصوا بالحق الذى يدفع الشبهات وبالصبر الذى يكف عن الشهوات وجمع بينهما فى قوله تعالى (وَاذْكُر عِبادَنا إِبْراهيمَ وإِسْحاقَ ويعْقُوبَ أولى الأَيْدِي والأَبْصارِ) فالأيدى القوى والعزائم فى ذات الله والأبصار البصائر فى أمر الله وعبارات السلف تدور على ذلك، قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله والأبصار والبصرُ فى الحق وقال سعيد بن جبير الأيدى القوة فى العمل والأبصار بصَرُهم بما هم فيه من دِينهم وقد جاء فى حديث مرسل أن الله يُحب البصَر النَّافذ عند وُرود الشُّبهات ويحبُّ العقلَ الـكاملَ عند حُلول الشَّهوات فبكمال العقل والصَّبر تُدفع فتنةُ الشهوة وبكمال الصبر واليقين تُدفَع فتنةُ الشبهة والله المستعان.

ومن كيد الشيطان لابن آدم

أنه يورده الموارد التى يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به ويضحك منه فيأمره بالسرقة والزنا والقتل ويدل عليه ويفضحه قال الله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) إلى قوله (والله شديد العقاب) .

فإنه تراءى للمشركين عند خروجهم إلى بدر فى صورة سراقة ابن مالك وقال أنا جار لكم من بنى كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء فلما رأى عدو الله جنود الله من الملائكة نزلت لنصر رسوله فر عنهم وأسلمهم كما قال حسان رضى الله عنه :

دلاهم بغرور ثم أسلمهم
إن الخبيث لمن دلاه غرار

وكذلك فعل بالراهب الذى قتل المرأة وولدها أمره بالزنا بها ثم بقتلها ثم دل أهلها عليه وكشف أمره بالسجود له فلما

فحمل فرّ عنه وتركه وفيه أنزل الله سبحانه (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إذْ قالَ لِلانسانِ اكفر فلمَّا كفرَ قال إنىِّ برىءٌ منكَ إنِّى أَخَافُ اللهَ ربَّ العالَمِين فَكانَ عاقِبتهُما أنَّهما فى النَّارِ خالِدِين فِيها وذَلِكَ جزاء الظَّالِمِينَ) .

وهذا السِّياق لا يختصُّ بالَّذى ذُكِرت عنه هذه الصفاتُ بل هو عام فى كل مَن أطاعَ الشَّيطان فى أمْره له بالكفر لينصُرة ويقضى حاجته فإنه يتبرَّأ من أوليائه جُملة فى النار ويقول لهم : — (إنى كفرْتُ بِمَا أشرَكْتُمونِ مِنْ قبلُ) فأورَدهم النارَ شرَّ المْوارد وتبرأ منهم كلَّ البراءة وتكلم الناسُ فى قول عدُو الله (إنىِّ أخافُ اللهَ) فقال قتادة وابن إسحاق صدق عدُّو الله فى قوله إنى أرى مالا ترون وكذب فى قوله إني أخافُ الله ، والله ما به مَخافةُ الله ولكن علم أنهّ لا قوّة له ولا مَنَعة فأوْردهم وأسلمهم وكذلك عادةُ عدوّ الله بِمَنْ أطاعه .

وقالت طائفةٌ إنما خاف بطش الله به فى الدنيا كما يخافُ الكافر والفاجر أن يُقتل أو يُؤخذ بجرُمه لا أنّه خاف عِقابه فى الآخرة وهذا أصح وهذا الخوف لا يستلزم إيمانا ولا نجاة

قال الكلبي خاف أن يأخذه جبريل فيعرّفهم حاله فلا يُطيعونه وهذا فاسد فإنه إنما قال لهم ذلك بعد أن فرّ ونكص على عَقِبيه لا أن يريد أنه إذا عرف المشركون أن الذى أجارهم وأوْردهم إبليس لم يطيعوه فيما بعد ذلك وقد أبعد النُّجْعة إن أراد ذلك وتكلَّف غيرَ المُراد وقال عطاء إنى أخاف الله أن يُهلِكنى فيمن يُهْلك وهذا خوفُ هلاك الدنيا فلا ينفعه.

وقال الزجاج وابن الأنبارى ظن أن الوقت الذى أُنْظِر قد حضر زاد بن الأنبارى أخاف أن يكونَ الوقت المعلوم الذى يَزول معه إنْظارى قد حضر فيقعَ بِى العذاب .

مما جاء فى الحسد والغضب

ثبت فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تباغضُوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدُوا ولا تدابرُوا وَكونوا عِباد الله إخوانًا .

وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دبَّ إليكم داء الأممَ قبلكم الحسدُ والبغضاء هى الحالقة حالقةُ الشَّعر والذى نفسُ محمد بيده

لا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أُنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم .

وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى ما حسدت أحداً على شيء قط من الدنيا إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وإن كان من أهل النار فكيف أحسده عليها وهو يصير إلى النار واعلم أنّ الحسد يضُر الحاسد فى الدين والدنيا ولا يتضرر بذلك المحسودُ فإنّ الحاسد قد سخط قضاء الله تعالى وكره نعمته على عباده .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الحسدُ يأكل الحسناتِ كما تأكلُ النّارُ الحطب .

ورأي موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطة بمكانه فسأل عنه فقيل نخبرك بعمله لا يحسُد النّاس على ما آتاهم الله من فضله ولا يمشى بالنّميمة ولا يعُق والديه .

دعِ الحسودَ وما يلقاه من كمد
كفاك منه لهيب النار فى كبدهْ
إنْ لمتَ ذا حسدِ نفّستَ كُرْبته
وإنْ سكتّ فقدْ عذّبتَه بيدهْ

أمّا الغضب فهو من النار روى أبو سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا إنّ الغضبَ جمرةٌ في قلب ابنِ آدم ألاَ ترون إلى حُمْرة عينيْه وانْتفاخ أوْداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليَلصق خدّه بالأرض ولو رأى الغضبانُ صورة نفسه لأنفِ لنفسه من تلك الحالة ومعلوم أنّ قُبح الباطن الذى أثّر على قبُح الظاهر أقْبح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشّديدُ بالصُّرعة إنما الشديدُ الذى يَملك نفسه عند الغضب .

فأصل الغضب يَنشأ من الكِبْر وعِزَّة النفس فينْبغى للغضبان أن يَقمع كِبْره بالتّواضع وينظرَ فى فضل كظْمِ الغيظِ ثم يسكت ويتعوّذ بغير حاله فإن كان قائماً جلس فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا غضب أحدُكم فليَسْكت أعادها ثلاثا .

وفى الصحيحين من حديث سليمان بن صُرَد قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يستَبّان وأحدهما قد

احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

خُذ ما صفا لك فالحياةُ غُرور
والموتُ آتٍ واللّبيب خبير
لا تعتِبنَّ على الزّمان فانّه
فلك على قُطبِ الهلاكِ يدُورُ
تَمحى السُّطورُ إذا تقادَم عهدُها
والخَلق فى رِقّ الحَياة سُطورُ
كُلٌ يفرُّ من الرَّدى ليفُوته
وله إلى ما فرَّ منه مَصيرُ

الشدائد تفضح المنافقين

يتألّم كثير من الناس للفتن والشدائدِ التى تقعُ على الأمم ولو عرف الإنسان الحكمة فى هذه الشدائد والغايةَ من هذه الفتن لعلم أنّها تنطوى عَلَى حِكم ومصالحَ لاغنى للاصلاح عنها .

فمثلا الشَّدائد التى تقعُ بالمسلمين مِن خصومهم فى الدِّين والعقيدةِ والحروبِ الطَّاحنة بين حزب الله وحزب الشيطان فإنها تُمحّص الذّنوب وتُطهرّ القلوبَ حتى يكونَ إيمانهم قويا خالصا فلا يكونَ للشيطان حظٌّ من تلك النّفوس .

ومن ناحية أخرى إنّ الشأن فى الداعى أو المُصلح أن يُقبل الناس عليه فى بادِىء الأمر وفيهم المؤمنُ والمنافق ولولا الشَدائد لبقى جيش ذلك المصلحِ خَليطاً من أنصاره وأعدائه فقضت حكمةُ الله أن يَبتليهم بالشدائد ويفتنهم بالمحِنَ والخطوب ليمتازَ المؤمنُ من المنافق والصادقُ من الكاذب .

والعِبرةُ فى ذلك أن ما ينالُ المصلحين من أذى وما يعترضِ حِزبهم من عقبات سواء فى ذلك ما يتعلّق بما لِهم أو نفوسهم كلُّ ذلك من شأنه أن يُمحّص المصلحين ويخلصهم من المؤثّرات قال تعالى :

(مَا كَانَ اللهُ لِيذَرَ المؤمنينَ عَلَى ما أَنْتُم عليه حتىَّ يميزَ الخبيثَ من الطَّيب) وقال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ إنْ يُتركُوا أَنْ يَقُولوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ) ولو لم يكن من الشدائد سِوى أنْ يميز

الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض ليكفى وقديما قالوا :

جزى الله الشدائد كل خير

عرفت بها عدوى من صديقى

لهذا يرينا الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وهو العالم بخفايا النفوس وما تكنه الضمائر أن المنافقين خصائص وأخلاقا بها يمتازون عن غيرهم ثم أرانا أن العلة فى أولئك الأخلاق هى مرض القلب واضطراب العقيدة ولو كانت قلوبهم سليمة من المرض ما كانوا على ذلك النفاق والأخلاق التى من صفاتهم المخادعة مع الله وما دروا أنهم بذلك العمل يخادعون أنفسهم أن وبال خداعهم راجع إليهم ولو قدروا الله حق قدره ما عاملوه تلك المعاملة .

(يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِينَ آمَنُوا ومَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهم وما يَشْعُرُون) ومن آثار خداعهم لله أنهم يُصلُّون بأجسامهم لا بقلوبهم فهم يُراؤن فى ذلك (وإذَا قامُوا إلى الصَّلاةِ قاموا كُسالى يراؤُنَ النَّاسَ ولاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ قليلا) .

ومِن أخلاق المنافق أن يُعجِبك قوله ويَسُوءك عملُه قوله فى الظاهر حسنٌ وعملُهُ فى الباطن خِلافه يصِف لك طريقَ الخلاص من ذلك الفساد كطبيبٍ ماهرٍ وعالِمٍ خبيرٍ وإذا وَلى عملا من أعمال المسْلمين رأيتَه شيطانًا من الشياطين يَظلم العبادَ والبلاد ويعيث فى الأرض الفساد .

(ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَولُه فِى الْحَيَاةِ الدُّنيا ويُشْهِدُ اللهَ على مَا فِى قَلْبِهِ وهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وإذا تَوَلَّى سَعَى فى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فيها وَيُهلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ واللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ وإذا قِيلَ لَه اتَّقِ اللهَ أَخَذَتهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ) .

وإذا كان الله قد توعَّد المنافقين بِشرٍّ مما توعد به الكافرين إذ يقول (إنَّ المُنافِقينَ فى الدَّرْكِ الْأسفَلِ مِن النَّارِ) فلأنهم شر مُسْتطير على الإصلاح ومرض وَبيل فى جسم الأُمَّة فى كل زمان ومكان إذ قال الله فيهم :

(هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرهم قاتَلَهُمُ اللهُ أنَّى يؤْفَكُون) .

لقدْ كشف الله أمرُ المنافقين فى صدر الإسلام بفرضية

القتال وفضح أمرهم بذلك التكليف الشاق فإن الحوادث والفتن التى تحل بحزب الإصلاح منهم وإن كان من أخلاقهم الجبن والخور كما يظهر واضحاً فى التماسهم المعاذير . قال تعالى :

(فلمّا كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ كخشيةِ الله أو أشدَّ خشيةً وقالوا ربّنا لِمَ كتبتَ علينا القتالَ لولاَ أخّرتنَا إلى أجلٍ قريبٍ قُل متاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمنَ اتّقىَ ولا تُظلمون فتيلا) .

وقوله تعالى : (يَعتذِرُون إليكم إذا رجعتم إليهم قُل لا تعتذِروا لَن نُؤمِن لكُم قَد نبأنا اللهُ مِن أخبارِكم وسيَرى الله عملَكُم ورسُولُه) .

ومع كونهم جُبناء لم يقفْ ضررُهم عند حد أن منعوا أنفسهم عن القتالَ بل يعوقون غيرهم عنه ويُخذلونهم عن قيامهم بالواجب .

(قَدْ يعلَمُ اللهُ المعوّقين منكُم والقائلين لإخوانِهم هلُمَّ إلينَا ولاَ يأتُون البأسَ إلاّ قليلا أشحةً عليكُم فإذا جاء الخَوفُ رأيتَهُم ينظرُون إليك تدُورُ أعينُهم كالذى يُغشى

عليه مِنَ المَوْتِ فإذَا ذهَبَ الخوفُ سَلقُوكم بألسِنَةٍ حِدادٍ أشِحَّةً على الخَيرِ أولئك لَمْ يُؤمِنوا فأحْبَطَ الله أعمالَهم وكانَ ذلِكَ على الله يَسيرا) .

لَقد تملَّكهم الجبنُ واستولى عليهم الضَّعْف فإذا جاء الخوف وطُولِبوا بالقتال رأيتَهم وقد دارت أعينُهم واضطَّربت أبصَارهم ينظَرون إليك نظَر من حلَّت به غشْيةُ الموت .

وحسْبُنا أن الله تعالى يقول فيهم (هُمُ العَدُوُّ) فيحْصُر العداوةَ فيهم وكأنَّ الكافرين فى جانبهم ليسوا شيئًا يُذكَر لأن الكافر قد ظهر كفرُه وعداوته للمؤمنين فيستطيع المؤمنُ أن يأخذَ منه حِذره .

أمَّا المنافق فهُو العدو فى ثوب الصَّدِيق والخاذِلُ فى شكل النَّاصِر ولوْ لم يكن من وصف الله لهم سِوى هذه الجملة مِن الآية لَكفَت ولَقد أطال القرآنُ فى صفاتهم وفضائحِهم ولم يكْتفِ القرآنُ بذلك القدْر من التَّحذير بل قال (قاتلَهُم اللهُ) وهو دُعاء عليهم بالْهلاك والْإبَادة .

منازل المنافقين والكافرين فى الآخرة

قال الله تعالى : (إِنَّ المُنَافِقِين فى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ) .

عن خالد بن عمير قال خطبنا عتبة بن غزوان فقال إنه ذُكِر لنا أنَّ الحجَر يُلقى من شفَة جهنم فيهوِى فيها سبعين خَرِيفا أو عاما ما يُدرِك لها قعرا والله لتملأُنه أفعجِبتم أخرجه هكذا مسلم موقوفا وأخرجه الإمام أحمد مرفوعا ، وأخرج الترمذى من حديث الحسن قال قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا يعنى منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنَّ الصَّخرة العظيمة لتُلْقى من شَفِير جهنم فتهوِى فيها سبعين عاما وما تُفْضى إلى قعرها) قال وكان عمر يقول أكثروا ذكرَ النار فإن حرَّها شديدٌ وإنَّ قعرها بعيد وإنَّ مقامعَها حديد ثم قال لا يُعْرف للحسن سماع من عتبة بن غزوان .

وخرج مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فسمعنا وجبةً فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم قال هذا

حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن انتهى إلى قعرها .

قال الله تعالى (لَهُم مِنْ جَهَنَّم مِهَادٌ ومِنْ فوقِهِمْ غَوَاشٍ) قال محمد بن كعب والضحاك والسدى المهاد الفَرْش والغَواشِ اللحف .

قال تعالى (وَجَعَلْنَا جَهَنَّم لِلْكافِرِين حَصِيراً) أيْ فِراشاً ومهاداً وأولُ من يُكسَى حُلَّة من النار إبليس يضعُها على حاجبه ويسحبُها من خلفِهِ ذريّتُه وهو يقول ياثبُوراه وهم يُنادون ياثبُورَهم حتى يَقفوا على النار فيقولُ ياثُبورَه ويقولون ياثُبورَهم فيقال لهم (لاَ تدْعُوا اليَوْمَ ثُبورًاً واحِداً وادْعُوا ثبوراً كَثِيراً) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوّذوا بِالله من جُبِّ الحزْن ، قالوا وما جُبُّ الحزْن قال وادٍ فى جَهَنم تتعوَّذ منه جهنم كل يوم مائةَ مرة ، قِيل يارسول الله من يدخُله قال القراء المراؤن بأعمالهم :

لو أبصرتْ عيناك أهل الشقا

سيقوا إلى النّار وقد أُحرقوا

يصلونها حين عصوا ربّهم

وخالفوا الرُّسْل وما صدَّقوا

قد كنتم حُذِّرتمو حرّها

لكن من النيران لم تَفرِقوا

وجيء بالنِّيران مزمومةً

شرارُها مِن حوْلها مُحرقُ

وقيل للنِّيران أَنْ أحْرِقي

وقيل للخُزّان أَنْ أطْبِقوا

وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذُكِر عنده عمه أبو طالب فقال لعلّه تنفعُه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضَحْضاح من نار تبلغ كعبيه يَغْلي منهما دماغُه .

وفيهما أيضاً عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يارسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحُوطك ويغضب لك

قال نعم هو فى ضَحْضاح من نار ولولا ذلك كان في الدَّرك الأسفل من النار .

وفى رواية لمسلم قال قال وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضَحْضاح . ومن أعظم عذابِ أهل النار حجابُهم عن الله عز وجل وإبعادُهم عنه وإعراضُه عنهم وسخَطه عليهم . كما أنَّ أهلَ الجنة أفضلُ ما يكون عندهم هو تجَلِّيه سبحانه وتعالى لهم ورؤيتهم إياه أعظمُ من جميع أنواع النعيم قال تعالى :

(كلاَّ بلْ رَانَ عَلَى قلوبِهم ما كانوا يَكْسِبُونَ كلاَّ إنَّهم عَنْ رَبِّهم يَوْمئذٍ لَمَحجُوبُون ثم إنَّهم لصَالوا الجَحِيم ثم يُقَال هذا الَّذِي كنتم بِهِ تكَذِّبُون) .

فذكر الله تعالى لهم ثلاثةَ أنواع من العذاب حجابهم عنه ثم صَلْيهم الجحيم ثم توبيخُهم بتكذيبهم به فى الدنيا ووصفهم بالرَّان على قلوبهم وهو صدأُ الذنوب الذى سَوَّد قلوبهم فلم يَصِل إليها بعد ذلك فى الدنيا شئ من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابتهِ وخشيتهِ ومحبَّته فكما حجبت قلوبُهم فى الدنيا

عن الله حُجِبوا فى الآخرة عن رُؤيته . وهذا بخلاف حال أهل الجنة (لِلَّذِين أَحْسَنُوا الحسْنَى وزِيَادَةٌ ولاَ يرهَقُ وجُوهَهُم قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ) .

ومن عذاب أهل النار سحبُهم على وُجوهِهم فى النار قال تعالى (إنَّ المُجْرِمين فِي ضَلاَلٍ وسُعُرٍ ، يَومَ يُسْحَبُون فى النَّار على وجوهِهِم ذوقوا مَسَّ سَقَرْ) .

ومن عذابهم الصَّهْر كما قال تعالى (فالَّذِين كَفَروا قُطِّعَتْ لَهم ثِيابٌ مِن نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رؤسِهِم الحَمِيم يصْهَر بِهِ مَا فِي بطونِهِم والجلود ولَهمْ مَقَامِع مِنْ حَدِيد) .

قال مجاهد يصهر به ما فى بطونهم يذاب به إذابة ومن حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنَّ الحميم لَيصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيَسْلت ما فى جوفه حتى يمرق مِن قدميه وهو الصَّهر ثم يعود كما كان .

تحريم آلات اللهو والمعازف وشرب الخمور

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتُّخذِ الفَىْء دُوَلا والأمانةُ مَغْنماً والزكاة مِغْرَما وتُعُلِّمَ لِغير الدِّين وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمَّه وأدنى صديقه وأقْصَى أباه وظهرَت الأصوات فى المساجد وساد القبيلةَ فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلَهم وأُكرِم الرجل مخافةَ شره وظهرت القِيان والمعازِف وشربت الخمور ولَعن آخرُ هذه الأمة أوَّلها فَليرْتقبوا عِند ذلك ريحا حمراء وزِلْزَلة وخسفا ومسخا وقَذْفا وآياتٍ تَتَابع كنظام بالٍ قطع سِلكه فتتابع قال الترمذى هذا حديث حسن غريب .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يُمسَخ قومٌ من هذه الأمة فى آخر الزمان قِرَدة وخنَازير قالوا يارسول الله أليْسوا يشهَدون أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله قال بلى ويصومون ويصلُّون ويحجُّون قالوا فما بالهم قال اتَّخذوا المعَازف والدُّفوف والقِينات فباتوا على شرابهم ولَهْوهم فأصبحوا وقد مسِخوا قِردة وخنازير

وأما حديث أبي أمامة الباهلي فهو فى مسند الإمام أحمد وفى الترمذى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبيت طائفة من أمتى على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يُصبحون وقد مُسِخوا قِرَدة وخنازير ويُبعث على أحياء من أحيائهم رِيحًا فتنسفهم كما نسفت من كان قبلكم باستحلالهم الخمرَ وضربهم الدفوف واتخاذهم القينات .

وعن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الأمة على طُعم وشُرب ولهو فيصبحون وقد مُسِخوا قِرَدة وخنازير وليُصيبنّهم خَسف وقذف حتى يُصبح الناس فيقولون خُسِف الليلة بدار فلان وخُسِف الليلة ببنى فلان وليُرسِلنّ عليهم حجارة من السماء كما أُرسِلت على قوم لوط على قبائلَ فيها وعلى دور فيها وليُرسِلَنّ عليهم الريحَ العقيم التى أهلكت عاداً بشربهم الخمر وأكلهم الرِّبا واتخاذهم القِينات وقطيعتهم الرَّحِم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى خَسف ومسخ وقذف قالت عائشة

يارسول الله وهم يقولون لا إله إلا الله فقال إذا ظهرت القينات وظهر الربا وشُرِبت الخمر ولُبِس الحرير وكان ذا عند ذا وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بَقِيَّة بن الوليد عن يزيد بن عبد الله الجهني حدثنا أبو العلاء عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة ورجلٌ معه فقال لها الرجل يا أم المؤمنين حدثينا عن الزّلزلة فقالت إذا أستَبَاحوا الزّنا وشرِبوا الخمرَ وضربوا بالمعازف غارَ الله فى سمائه فقال تَزَلزَلى بهم فإن تابوا ونزعوا وإلاّ هدمتُها عليهم قلت يا أم المؤمنين أعذاب لهم قالت بل موعِظة ورحمة وبَركةٌ للمؤمنين ونكال وعذاب وسخَط على الكافرين ، قال أنس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشدّ فرحا منّى بهذا الحديث .

وقال أبو هريرة لا تقوم الساعة حتى يمشى الرّجُلان إلى الأمر يعملانه فيُمسَخ أحدُهما قردا أو خنزيرا فلا يَمنع الذى نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يَمضى إلى شأنه ذلك حتى يقضى شهوته حتى يمشى الرجلان إلى الأمر يعملانه فيُخسف بأحدِهما فلا يمنع الذى نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يَمشى لشأنه ذلك حتى يقضى شهوتَه منه .

عدل الحاكم وعفو المحكوم

كان رجل من أهل البصرة شديدَ النّكاية بالعدُو وقد أبلى مع أبي موسى الأشعرى بلاء حسنًا عجِب له النَّاس وجعل الألسنة تنطَلق بمدحه والثناء عليه وكان الرجل فرحاً بهذا الجهاد جهادِ الكافرين الخارجين على حدود الله والضاربين فى ظلمات العماية والضلال وقد أخلص فى جهاده إخلاصاً أرضى ضميره واطمأن قلبه وشعَر بأنه قد أدّى ما يجب عليه نحوَ إسلامه ودولتهِ ، لقد كان هو ومن معه كالآساد صولة وعزْما وشجاعة وإقداما وكان لا ينسى فى هذه الحَوْمة حظّه من الغنائم ولا نصيبه من الأسلاب فهو بصير بالأمور وكان يحسب لهذه الساعة التى سيتناول فيها قِسطه من الغنائم حسابا كبيراً .

وجاءت هذه الساعة ومضى إلى أبى موسى يطالبه بنصيبه فى الغنيمة ولكن سُرعان ما وقع خلافٌ بينهما لأنَّ الرجلَ يريد أن يأخذ سهمَه كله ولكن أبا موسى يُريد أن يُعْطيه بعض سهمه ولكنَّ الرجل أبى إلا أن يأخذ سهمَه جميعَه ولم يخش عقاباً أو تهديداً وعزّ على أبي موسى أن يقف منه هذا الرجل

موقفا ما كان يجب أن يكون فاعتزم أن يعاقبه تأديبا له وردعا لغيره أن يفعل ما فعل إنَّ هذا معناه الفوضى وإذا سادت الفوضى فلن يعرفَ أن ينفذ أمرا بعد وسيرى كلُّ فرد فيه مغمزا يصل منه إلى ما يريد ، لا لن يكونَ هذا ولن يرتفعَ فى البصرة صوتٌ مخالِف بأىٍّ وجه من الوجوه يجب أن يكون رأيه هو الرأى الذى لا يعارضه أحد ولا يمارِى فيه إنسان ، وصمّم على تأديب الرجل زجرا له ولغيره من المجادلين جلده أبو موسى عشرينَ سوطا ولم يكتف بهذا بل أمعن فى التّنكيل به فحلق له شعرَه .

وتملّك الرجل الغيظ وعجِب كيف يفعَل به أبو موسى ما فعل وقد ضمن الإسلامُ لكل فرد حقّه إنه دينُ الحرية لا الذلّة والعدل لا الظّلم دينُ السماحة والعفو لا الغطرسة والجبَرُوت .

أيضرِبه أبو موسى عشرين سوطا ثم يحلق شَعره إذلالا له وتنكيلا به لا لابُدَّ أن يفعل شيئاً.

إنه ليُخيَّل إليه أن أبا موسى قد اعتقد أنه ليس فوقه أحدٌ

إذَن فلْيذهبْ إلى من ولاَّه هذا الأمر أَجل فلْيذهب إلى أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب ويعرِض أمامه القضيَّة ولينظر بماذا سيحكم فيها عمرُ وهو هو من يعرِف الناسُ عدلَه وإيمانه وخوفَه من الظُّلم ورعايتَه لحدود الله أجَلْ فلْيَذهب إليه .

وجمع الرجل شعرَه وهو حزينُ النفس منْقبِضُ الصَّدر فقد أُهينت كرامتُه وديِسَت عزَّتُه ولم يأمُر بذلك الإسلام وسوف يطرقَ الأبواب جميعاً حتى يُنْصَف ولن يخذُله الله .

وكان منظرُه عجيبا وهو يجمعُ شَعْره وقد اكْفهرَّ منه الوجهُ وحال اللَّون وتعقَدت الأسارِير ورأى أن يُسرع بالسير إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث تُصانُ الكرامات وتُحفَظ الحقوقُ ويَنال كلٌّ مظلوم حقَّه .

هناك حيث القوة لِلْحق .

وهناك وجد الرجلُ طريقَه إليه ومَثُل بين يديه وهو واجِد على أبى موسى ناقِمٌ عليه .

لم يكن عُمر منفرداً وإنما كان معه بعضُ جُلَسائه وكان من بينهم جريرُ بن عبد الله البجلى فقال كنت أقربَ الناس

حينذاك من عمر فأدخل الرجل يدَه فاستَخرج شعره فى حَنَق وغيظ ثم ضرب به صدرَ عمر بن الخطاب .

وذهِل الناس لهذه الجرأة العجيبة إذ كيف يُلقي رجلٌ من عامة الشعب شعْره فى وجه أمير المؤمنين الّذى يخشى صولَته كلُّ إنسان وما أشدَّ عجبَهم حين بَقِى عمر كما هو لم يتحرَّك ولم يحزَن ولم يثُر فى وجه الرَّجل الذى أساء الأدب واعتدى عليه بهذه الصورة النَّكراء إذ أنه رأى بنُورِ الله أنَّ الرجل لم يفعَل ذلك إلا تحت ضغْط من ظُلم قاساه أو ألَمٍ أضناه أو عُنفٍ أذَلَّه فهو موتُورٍ لاجرَم .

قال الرجل فى جَفْوة وغِلْظة أمَا والله لولا . . .

فقال عمر بن الخطاب لِمَن حوله فى هدُوء وحِلم لولا النَّار :

فقال الرجل وقد أذركه شيء من الخجل يا أمير المؤمنين إنى كنت ذا صوتٍ ونِكاية فى العدُو ومضى يقُص القِصة إلى أن قال ضربنى أبو موسى عشرين سوطا وحلَق رأسى وهو يرى ألا يُقتَص منه وعلمَ عمر أنَّ الرجل معذور فيما فعل وأنه

أهدِرت كرامتُه وأُهينت منزِلته فقال لمن حوله معتذرا عن الرجل بل ومُعْجَبا به لأن يكونَ النَّاس كُلُّهم على صرامة هذا أحبُّ إليَّ من جميع ما أفاء الله على .

ووقف الرجل ذاهلا حائرا إنَّ عمله لم يُقابَل بالشِّدة من عمر ولم يقابل بالعُنف والقسْوة وإنما قوبل بالصَّفح والعفْو .

واهتم عمر بالأمر وأدهشه أن يفعلَ أبو موسى هذا بواحد من المسلمين بيد أنه لم يُصْدر حكما فلابد أن يَطمئنَّ إلى ما فعل أبو موسى فكتب إليه سلام عليكم أما بعد : فإن فلانا أخبرنى بكذا وكذا فإن كنتَ فعلتَ ذلك فى ملأ من الناس فاقعد له فى ملأ من الناس حتى يقتص منك وإن كنتَ فعلتَ ذلك فى خَلاء من الناس فاقعُد له فى خلاء من الناس حتى يَقتصَّ منك .

قرأ أبو موسى الرسالة فأُسقِط فى يده وعلم أنه جانب الصَّواب حين لم يستمع إلى صوت الحق وأن الواجبَ عليه أن يعطيَه كل ما طلب ولم يطلُب غيرَ حقه .

فالمنصب والجاه لا يُغنى أحدهما من الحق شيئا ولا يدفع أى شىء فى الوجود عن الإنسان عذابَ الله وعقابَه .

وعمر لا يعرّف كبيرا أو عظيما سوى الحق أما الوُلاة والقضاة والعمال فالحق أبقى منهم ولكن ماذا يكون الحال ؟

أيجلِس أبو موسى أمام الناس وهو هو رِفعةُ قدر وسُمُو منزلة ليضربَه ذلك الرجل عشرين سوطا كما ضربه ثم يحلِق شعْره كما حلق شعره ؟

هذا كبير جداً ولكن هو العدلُ لَا الظُّلم والصواب لا الخَطأ فكيف إذن لا ينزِل أبو موسى على حكم الحق ؟ لاَ مناص من الرُضوخ للحق مهما كان مرا . وعاد الرجل إلى البصرة ولكنه عاد بنفس أخرى عاد مرفوعَ الرأس ثابت الخُطا شامخ الأنف موفورَ الكرامة .

لقد كان يسير فى الطريق فكأنما يقول لكل إنسان أنظر إلَيّ فأنا الذى استردّ كرامته واحتكم إلى أمير المؤمنين فأخذ له حقَّه كاملا غير منقوص واجتمع الناس ليشهدوا موقفا أليما ومنظرا سيكون له أثرُه فى النفوس منظرَ والٍ يُضربَ بالسوط يَضْرِبه رجل من عامة الشعب ثم ماذا ؟ ثم يَحلِق له رأسه .

ولقد التف حول الرجل كثيرٌ من الناس يرجون منه الصفح ويلتَمسون العفو عن واليهم أبى موسى ويذكُرونه بمكانته من كبار المسلمين فضلا وعلما ولكنّ الرجل رفض قائلا لا والله لا أدَعُه لِأحد من الناس .

وارتدَّت أنظار الناس وقد يئست من إقناع الرجل بوِجْهة النَّظر وإن العدل يجب أن يسود بين الناس دون تفرِقة بين سيد ومَسُود أو حاكم ومحكوم ما دام الإسلام سوَّى بين الناس وجعلهم أخْوة متعاونين مُتساندين فى الخير مُقاومين للشر فإذا جاوز أحدٌ الحد يجب أن ينال جزاءه مهما كان الأمر ليكون رَدْعا لغيره وقعَد أبو موسى ليُقْتَص منه ! وصمت الناس وأطرَقوا بِرؤسهم وتطَّلع الرَّجل إلى أبى موسى الوالى الذى منعه حقّه (فَمَنَ اعتَدى عليكم فاعتَدوا عليه بِمثل ما اعتَدى عليكُم) .

يا الله إن أحداً لا يمنعُ أبا موسى الآن من ضَرْبه بالسوط وحلْق رأسه أمام الناس كما فعل أفلا يتخذ من ذلك فرصة بالتقرب إلى الله فيعفُو عنه وكأنَّما ضميرهُ مترقِّبا لهذه النتيجة

مُنتَظراً لذلك السؤال فأجابه مُسرعاً ما المانع وأحَسَّ الرجل براحة وطُمَأْنينة وسارع لسانُه إلى إعلان العفو بقوله اللَّهم إنّى قد عفَوت عنه وانطلَقَت الألْسِنة بالتكبير والتَّهليل والحمدِ والثناء واغرَوْرقت عينا أبي موسى بالدّموع ولكنها لم تكن دموعُ الحزن وإنما كانت دموع الشكر وكانت هذه الدموع أبلغَ دليل على صَفاء القُلوب .

(ادْفَع بالَّتي هِيَ أحسَن فإذا الّذى بيْنَك وبَينَه عَداوةٌ كأنَّه ولِيٌّ حَمِيمٌ وما يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذين صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم) .

هذه الأمة خير الأمم

قال الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أيْ عُدولا أخْيَاراً كما قال تعالى (قَالَ أَوْسَطُهم أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لولا تُسَبِّحُون) أى خيرُهم لِتَكُونوا شُهداء يوم القِيامة للأنبياء على أممهم ، وروى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْعَى نوح عليه السلام يوم القيامة فيُقال له هل بلَّغتَ فيقول نعم فيُدعى قومُه فيُقال لهم هل بلَّغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيُقال لنوح مَن يشهدُ لك فيقول محمدٌ وأمَّتُه فذلك قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِتَكُونوا شُهداء على النَّاسِ) فيدْعَون فيَشْهدون له بالبلاغ ثم أشْهدُ عليكم .

واعلم أنه كما فضل نبيَّنا على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فُضِّلت أمتهُ على سائرَ الأمم .

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثَلُكم ومثلُ اليهود والنَّصارى كرَجُل استعمل عُمَّالا فقال من يَعْمل لى من صلاة الصُّبح إلى نصفِ النَّهار

على قِيراط إلاَّ فعلت اليهود ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط إلا فعلت النصارى ثم قال من يعمَلُ لى من صلاة العصر إلى غروبِ الشمس على قيراطين إلا فأنتم الذين عمِلْتم فغضِبَت اليهودُ والنَّصارى فقالوا نحنُ كُنا أكثرَ عملا وأقلُّ عطاء قال هل ظلَمْتكُم مِن حقِّكم شيئاً قالوا لا قال فإنَّما هو فَضْلى أوتيه مَنْ أشاء .

واعلم أنَّ فضيلة هذه الأمة على الأمم المُتَقدمة وإن كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه إياها إلا أنه جعل لذلك سبباً كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عِلْمهُ بما جهلوا فكذلك جعل لتقديم هذه الأمة سبباً هو الفِطْنة والفهمُ واليقين وتسليمُ النفوس فى طاعةِ الله وجهاده وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظِهم لِلقرآن العظيم فهذه الأمة أوَّلُ أمة تدخل الجنةَ وقد قال صلى الله عليه وسلم أهلُ الجنة مائة وعشرون صَفًّا أمتى منهم ثمانون صَفا .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا إنكم تُوفُون سبعين

أمة أنتم خيرُها وأكرمُها على الله تعالى فالحمد لله الذى أعطانا بجوده وفضله ما لَسْنا مِن أهله .

روى أبو موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن مثلي ومثل ما بعثنى اللهُ به كمثل رجُل أتى قومَه فقال يا قوم إنِّى رأيتُ الجيْش بِعيْنى وأنا النَّذِير العُريان فالنَّجا النَّجا فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدْلجُوا وانطَلقوا على مَهَلهم فنَجَوا وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مَثَلُ من أطاعنى واتَّبع ما جئتُ به ومَثَلُ من عصانى وكذَّب بما جِئتُ به من الحق أخرجاه فى الصحيحين ، شعرا

طَلَبتُكِ يادنيا فأعددْتُ فى الطَّلب
فلم أرَ إلا الهمَّ والغَمَّ والنَّصبْ
فلمَّا بدا لى أنَّنى لستُ واصِلا
إلى لذَّة إلا بأضعافِها تعَبْ
وأسرفتُ فى ديني ولم أقض شَهْوتى
هربْت بِذنبي منكِ إنْ نفع الْهَربْ

تَسَرْبلت أخلاق قنُوعاً وعِفّة
، فعِندى بأخلاق كنوزٌ مِن الذَّهَبِ

ولم أرَ حظّاً كالقُنُوعِ لأهله
وإنْ مِل الإنسانُ ماعاش فى الطَّلب

العقوق وطاعة النساء من أشراط الساعة

عن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تحزن ذواتُ الأولاد لِعُقوق أولادِهن وتفرح العواقِر ويكون الولدُ غيظا والشتاءُ قيظا رواه ابن أبى الدنيا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطاع الرجلُ امرأته وعصى أمّه وأقصى أباه وأدنى صديقه فارْتقِبوا عند ذلك ريحا حمراء وزِلزلة وخَسفا ومسْخا وقذْفا وآياتٍ تتابع كنِظام انقطَع سِلكه فتتَابع رواه الترمذى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن أعلام الساعة وأشراطها أن يكون الولد غيظا والمطر قيْظا وأن تَفِيض الأشرار فيضا رواه الطبرانى ، وعنه أيضا من أعلام الساعة وأشراطها أن يتواصل الأطباق وتُقَطَّع الأرحام رواه الطبرانى .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال لأن يربي الرجل جرواً أي ولد كلب خير من أن يربي ولداً رواه الطبراني .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال لا تقومُ الساعة حتى يكون الولدُ غيضا والشتاء فيضا وتقومَ الخطباء بالكذب رواه الطبراني .

وعن ابن عياض رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فتنةً وإنَّ فتنةَ أمتي المال رواه الترمذي .

وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدَعُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء رواه ابن ماجة .

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل ابشِروا وأمِّلوا ما يسركم فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى أن تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسِطت على من قبلكم فتنافَسُوها كما تنافسوها فتُهلِكَكم كما أهلَكتهم رواه ابن ماجة .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مِن صباح إلاَّ وملكان يناديان ويل لِلرجال من النساء ويل للرجال من النساء رواه ابن ماجة .

وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فكان فيما قال (إنَّ الدنيا خضِرة حلوة وإن الله مُستَخلِفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتَّقوا الدنيا واتقوا النساء) رواه ابن ماجة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت امرأة من مُزَينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إنهَوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختُرُ في المسجد فإن بني إسرائيل لم يُلعَنوا حتى لبس نساؤُهم الزينة وتبختَرن في المسجد رواه ابن ماجة .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرجَ الرجلُ من أهله فيخبرَه نعلُه أو سوطُه أو عصاه بما أحدث أهلُه بعده رواه أحمد .

مما جاء عن المسيخ الدجال

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غيرَ الدجال أخوفنى عليكم إنْ يخرُج وأنا فيكم فأنا حجيجهُ دونَكم وإن يخرج ولست فيكم فامرُؤ حجيج نفسه والله خليفَتى على كل مسلم إنه شاب قَطَطٌ عينُه طافِية كأنى أشبِّهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتحَ سُورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتُوا قلنا يا رسول الله وما لُبثه فى الأرض ؟ قال أربعون يوما يوم كَسَنَة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يوم قال لا اقدُروا له قدْره قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض قال كالغيث استَدْبَرتْه الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون

به وَيستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح
عليهم سارحتهم أطولَ ما كانت ذرّاً وأسبغه ضروعا وأمده
خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف
عنهم فيصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر
بالخَرِبة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزُها كيعاسيب
النَّحْلِ ثم يدعو رجلا مُمتلئا شبابا فيضربُه بالسيف فيقطعه
جزْلتين رميَة الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك
فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح بنَ مريم عليه السلام
فينزِل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرُودَتين واضعا
كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر
منه جُمان كاللؤلؤ فلا يحلُّ لكافر يجِد ريحَ نفَسِه إلا مات
ونفَسُه ينتهى إلى حيثُ ينتهى طرْفُه فيطلبُه حتى يدركه بباب
لَد فيقتلهُ ثم يأتى عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه
فيمسح عن وجوههم ويحدّث بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو
كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أنى قد
أخرجت عباداً لى لا يُدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادى إلى الطور
ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر

أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى صلى الله عليه وسلم وأصحابُه رضى الله عنهم إلى الله تعـالى فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصْبحون فرسى كموت نفْس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلاَّ ملأه زهَمُهم ونتْنُهم فيرغب نبى الله عيسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم إلى الله تعالى فيرسلُ الله تعالى طيراً كأعناق البخْت فتحمْلُهم فتطرحُهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عز وجل مطراً لا يكن منه بيت مدَر ولا بيت وبَر فيغسلُ الأرض حتى يتركَها كالزُّلفة ثم يقال للأرض أنبتِى ثمرك ورُدّى برَكَتك فيومئذ تأكل العِصابة من الرُّمانة ويستظِلون بقَحْفها ويُبارك فى الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لَتكفى الفِئام من الناس واللِّقحة من البقر لَتكْفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لَتكْفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحًا طيبة فتأخذُهم تحت

آباطهم فتقبض رُوح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارَجُونَ فيها تهارُج الحمرُ فعليهم تقومُ الساعة رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قِبَل الشام فلا يَبْقى على وجه الأرض أحدٌ فى قلبه مثقالُ ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدَكم دخل فى كَبِد رجل لدخلَته عليه حتى تقبضَه فيبقى شرارُ الناس فى خِفَّة الطير وأحلام السِّباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألاَ تستَجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌ رِزقُهم حسن عيشُهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا اصْغى ليتا ورفع ليتا وأولُ من يسمعه رجلٌ يلُوط حوضَ إبله فيُصعَق الناسُ حوله ثم يرسل الله أو قال ينزِل الله مطرا كأنه الطل أو الظل فتنبت منه أجسادُ الناس ثم يُنفَخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون

ثم يقول يا أيها الناس هلمَّ إلى ربكم (وقِفُوهم إنَّهم مَسئولون) ثم يقال أخرِجوا بَعْث النار فيقال من كم ؟ فيقال من كل ألف تِسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يومَ يجعلُ الوِلدان شيبا وذلك يومَ يُكشَف عَن سَاقٍ رواه مسلم.

قصة تميم الدارى ومخاطبته المسيخ الدجال

عن فاطمة بنت قيس قالت سمعت نداء منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت فى صف النساء التى تَلِى ظهورَ القوم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر وهو يضحك فقال لِيلْزم كل إنسان مُصلاه فقال أتدرون لِمَ جمعْتُكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إنى والله ما جمعْتكم لا لرغْبة ولا لرهْبة ولكن جمعتكم لأنَّ تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنتُ حدثتكم عن المسيخ الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرِيَّة مع ثلاثين رجلا من لَخْم وجُذام فلعب بهم الموجُ شهراً فى البحر ثم أرْفَؤُا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرِبَ

الشمس فجلسوا فى أقرب سفينة فدخلوا الجزيرة فلَقِيتْهم دابة أهْلب كثير الشَّعر لا يدرون ما قُبُلَه من دُبُرِه من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنتَ قالت أنا الجَسَّاسة قالوا وما الجَسَّاسة قالت أيها القوم انطَلِقوا إلى هذا الرجل فى الدَّيرْ فإنه إلى خبَرِكم بالأشواق قال فلما سمَّت لنا رجلا فَرِقْنا منها أنْ تكون شيطانة .

قال فانطلقنا سِراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قط خلْقا وأشدُّه وِثاقا مجموعةٌ يداه إلى عُنُقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنتَ قال قَدرْتم على على خبرى فأخبرونى ما أنتم قالوا نحن أناس من العرَب ركبنا فى سفينة بَحرِيَّة فصادفنا البحر حين اغتَلم فلعِب بنا الموجُ شهرا ثم أرْفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقْربها فدخلنا الجزيرة فلَقِينا دابة أهْلَب كثيرَ الشَّعر لا يَدْرِى ما قُبُلَه من دُبُرِه مِن كثْرةِ الشَّعر فقلنا ويلك ما أنتِ فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجسَّاسة قالت أعْمَدوا إلى هذا الرجل فى الدَّيْر فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا وفزِعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبرونى عن نَخْل بِيسانَ قلنا عن أىِّ

شأنِها تَستَخبِر قال أسألكم عن نخلها هل يُثْمِر قلنا نعم قال إنه يُوشِك ألاَّ يُثمر .

قال أخبرونى عن بُحيرة طَبرية قلنا عن أيِّ شأنِها تستَخبِر قال هل فيها ماء قُلنا هى كثيرة الماء قال إنَّ ماءها يُوشِك أن يذهَب قال أخبرونى عن عين زُغَر قالوا عن أى شأنها تستخبر قال هل فى العين ماء وهل يزرع أهلُها بماء العين قلنا نعم هى كثيرةُ الماء وأهلها يزرعون من مائها .

قال أخبرونى عن النبى الأمين ما فعل قالوا قد خرَج من مكة ونزل يَثرِبَ قال أقاتلَهُ العربُ قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنَّه قد ظهر على من يَليه مِنَ العرب وأطَاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنَا نعم أمَا إنَّ ذاك خيرٌ لهم أن يُطيعوه وإنِّى مُخبركم عنى أنا المَسيخ ويُوشِك أن يُؤذَن لى بالخرُوج فأخرُجُ فأسِير فى الأرض فلا أدع قرْية إلاَّ هبطتُها فى أربعين ليلة غيرَ مكة وطِيبة فهما مُحرَّمتان علىَّ كلتاهما كُلَّما أردت أن أدخل واحدة أو واحدة منهما استقبلنى ملك وبيده السيف مصلتًا يصدنى عنها وإن على كل نقب منها ملائكة

يحرسونها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بِمخصَرته فى المِنْبر هذه طيبةُ هذه طِيبةُ هذه طِيبة يعنى المدينةَ ألا كُنت حدَّثتُكم عن ذلك فقال الناس نعم قال فإنه أعجبنى حديثُ تميم وافقَ الذى كنتُ أُحدِّثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنَّه فى بحر الشام أو بحر اليمن لا بل مِن قبلِ الشرق ماهو من قبل الشرق ما هو وأومأ بيدهِ إلى الشرق قالت فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المهدى المنتظر

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدى منا أهل البيت أشمُّ الأنفِ أقنىَ أجْلى يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما مُلئت جَوراً وظلماً يعيش هكذا وبسط يسارَه وأصْبعين من يَمينه السَّبابة والإبهام وعقد ثلاثة » أخرجه الحاكم .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيكون بينكم وبين الروم أربع هُدَن الرابعة على يد رجل من آل هارونَ يدومُ سبع سنين » قيل يارسول الله منْ إمامُ الناس يومئذ قال « مِن وَلدِى ابنُ أرْبعين سنة كأنَّ وجهه كوكب درِّى فى خدّه الأيمن خالٌ أسود وعليه عباءتان قَطوانِيتان كأنه من رجال بنى إسرائيل يملك عشرَ سنين يُخْرج الكنوز ويفْتح مدائن الشرْك » أخرجه الطبرانى فى الأوسط . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبْق من الدهر إلا يومٌ لبعث الله

رجلا من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما مُلِئت جوراً» أخرجه أحمد وأبو داود .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم «ستكون بعدى خُلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما مُلِئت جوراً» رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن أبى سعيد قال والله ما يأتى علينا أمر إلا وهو شرٌّ من الماضى ولا عام إلّا وهو شرٌّ من الماضى ثم قال لولا شىء سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن «من أمرائكم أميراً يحثُو المالَ حثواً ولا يعدُّه عدا يأتيه الرّجل يسأله فيقول خذ فيبسُط ثوبَه فيحثُو فيه وبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ملْحفة غليظة كانت عليه يحكى صُنْع الرجل ثم جمع أكنافها قال فيأخذه ثم ينطلق» رواه أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تنعَم الأمة فى وقت المهدى نعمة لم ينعَموا بمثلها ترسِل السماء عليهم مدْراراً ولا تدّخر الأرضُ شيئاً من النبات

والمال كدوس يقوم الرجل يقول يامهدى أعطِنى فيقول خذ» أخرجه الطبرانى والبزار وابن ماجه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاءا يُصيب هذه الأمة حتى لايجدَ الرجل ملجأ يلجَأ إليه من الظلْم فيبعث الله رجلا من عِترتى وأهل بيتى فيملأ الله الأرض به قِسطاً وعدلا كما مُلِئت ظلما وجوراً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدَع السماء شيئاً من قطرِها إلا صبتّه ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجتَه حتى يتمنّى الأحياء الأموات يعيشون فى ذلك سبعَ سنين أو ثمان أو تسع سنين أخرجه الحاكم وصححه .

وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن فى أمتى المهدى يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً فيجىء إليه الرجل فيقول يامهدى أعطنى أعطنى فيُحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحملَه» رواه الترمذى .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدى منا أهل البيت يصلِحه الله فى ليلة» رواه ابن ماجه وأحمد .

قال ابن كثير وقت ظهور المهدى يكون قبلَ نزول عيسى وإنَّ ظهورَه من بلاد المشرق وليس من سرداب سامِراء كما يهذِى به ويزعمه جهلةُ الرّافضة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشركم بالمهدى رجلٌ من قريش من عترتى يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلِئت جَوراً يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض يقسم المال صِحَاحا فقال رجل ما صحاحا قال بالسَّوِيَّة بين الناس ويملأ الله قلوبَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنِى ويسعُهم عدله حتى يأمر مناديا فينادى فيقول من له فى مال حاجة فما يقوم من الناس إلّا رجل واحد فيقول أنا فيقول إئت السَّادن يعنى الخازنَ فقُل له إنَّ المهدى يأمر أن تُعطينى مالا فيقول أحثُ حتى إذا جعله فى حِجْره ندِم فيقول كنت أجشعَ أمةِ محمد فيردُّه فيقال له إنا لا نأخذ شيئا أعطيناه فيكون كذلك سبع سنين أو تسعَ سنين ثم لا خيرَ فى العيش بعده » أخرجه أحمد فى المسند وأبو يعلى والترمذى قاله ورجاله ثقات

وعن قرة بن إياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« لتُملأن الأرضُ جوراً وظلما فإذا مُلئت ظلما وجورا بعث الله رجلا من أمتى إسمه إسمى واسم أبيه إسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلِئت جوراً فلا تمنع السماء شيئا من قَطرِها ولا الأرض شيئا من نباتها يلبث فيهم سبعا أو ثمانيا أو تسعا يعنى سنين » أخرجه الطبرانى والبزار .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنا أهلُ بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقَون بعدى بلاءا وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قِبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحقّ فلا يعطونه فيقاتلون ويُنصَرون فيُعطَون ما سألوا فلا يقبلُونه حتى يدفعُوها إلى رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه إسمى واسم أبيه إسمُ أبى فيَملِك الأرضَ فيملأُها قسطا وعَدلا كما مُلئت جوراً وظلما فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم فليأتِهم ولو حَبْوا على الثَّلج » أخرجه ابن ماجه .

خروج الدجال فى آخر الزمان

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأتى الدجال وهو مُحرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهى إلى بعض السِّباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خيرُ الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال :

أرأيتُم إن قتلت هذا ثم أحيَيْته أتشكُّون فى الأمر فيقولونَ لا قال فيَقتُله ثم يُحييه فيقول الرجل حين يُحييه والله ما كنت فيك قط أشدَّ بصيرة منِّى الآن قال فيريد الدجال أن يقتلَه فلا يُسلَّط عليه قال أبو أسحاق يقال إن هذا الرجل هو الْخضر عليه السلام رواه مسلم .

ومن أبى سعيد الخدرى رضى اللهعنه بلفظ آخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال فيتوجهَّ قبَله رجل من المؤمنين فتلقاه المَسالح مسالحُ الدجال فيقولون له أين تعمدُ فيقول أعمدَ إلى هذا الذى خرج قال فيقولون أوَمَا تُؤمن

رِبنّا فيقول ما بِربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه قال فينْطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيأمر الدجال به فيُشَجُّ فيقول خذوه وشُجُّوه فيوسَع ظهرُه وبطنُه ضرْبا قال فيقول أمَا تؤمنُ بى قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيأمر به فيُنشر بالمنشار من مفرِق رأسه حتى يفرِق بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستَوى قائما ثم يقول أتؤمن بى فيقول ما ازددْت فيك إلا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يَفعَل بعدى بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحَه فيُجْعل ما بين رقبته إلى ترقوته نُحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذِف به فيحسِب الناس إنّما قذفه إلى النار وإنما أُلقِي فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظمُ الناس شهادة عند رب العالمين رواه مسلم .

وعن المستورد القرشى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تقوم الساعة والرُّوم أكثر الناس فقال له

عمرو بن العاص أبصرْ ما تقول قال أقول سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمَا لئن قلتُ ذلك إن فيهم لخصالا أربعا إنهم لأحلمُ الناس عند فتنةٍ وأسرعُهم إفاقة بعد مُصيبة وأوْشكُهم كرَّةً بعد فرَّةٍ وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف وخامسة حسَنة جميلة وأمنعُهم من ظُلم الملوك» رواه مسلم .

قال ابن كثير وهذا مما يدُلُّ على أنَّ الرُّوم يُسلمون آخر الزمان .

•

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عيسى يدرِكُ الدّجال فيقتُله بباب لِدّ الشرقي فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارَى به اليهود إلا أنطَق الله ذلك الشيء لا شجرَ ولا حجرَ ولا حائِط ولا دابّة إلا الغَرْقد فإنه من شجرهم لا تنطِق إلا قال ياعبد الله المسلم هذا يهُودي تعال فاقتله» رواه ابن ماجة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتِل المسلمون اليهود فيقتُلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقولُ الحجرُ والشجر يامسلمُ ياعبد الله

هذا يهودى خَلْفى فتعال فاقتُلْه إلا الغَرقد فإنه من شجر اليهود رواه مسلم .

وعن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل الدجال فى هذه السَّبِخة : الحديث وفيه ثم يُسَلِّط الله المسلمين عليه فيقتَلونه ويقتُلون شِيعَته حتى إن اليهودى ليَخْتبِىء تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة لِلمسلم هذا يهودى تحتى فاقتُلْه » رواه الإمام أحمد .

وعن نافع بن عتبة بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقاتلون جزيرة العرب فيفْتَحها الله لكم ثم تقاتِلون فارس فيفتحها الله لكم ثم تقاتِلون الروم فيفتحها الله لكم ثم تقاتلون الدجال فيفتحه الله لكم رواه أحمد .

وعن محجن بن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : خطب الناس فقال يومُ الخلاص ثلاثا فقيل له وما يومُ الخلاص قال يجىء الدجال فيصعد أُحُدا فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه هل ترون هذا القصر الأبْلَق هذا مسجدُ أحمد ثم يأتى المدينة

فيجد فى كل نقب من أنقابها ملَكا مُصْلِتا سيفَه فيأتى سَبخة الجَرْف فيضْرب رُواقه ثم ترجُف المدينة ثلاث رجَفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه وذلك يومُ الخلاص رواه أحمد .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من بلد إلا سيَطؤه الدجال إلا مكةَ والمدينةَ وليس نقْب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافِّين تحرسُها فينْزِل بالسبخة فترجُف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كلُّ كافر ومنافق وفى رواية عن أنس فيأتى سَبِخة الجَرْفِ فيضرب رواقه فيخرجُ إليه كل منافق ومنافقة » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المدينة ومكة محفُوفَتان بالملائكة على كل نقْب منها ملائكة لا يدخلُها الدجال ولا الطاعون » رواه أحمد .

من علامات الساعة الزيارة على الفاحشة

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألاَ أُخبركم بأشراط الساعة وذلك فى حجة الوداع فقام إليه سلمان الفارس وفى الحديث قال من أشراط الساعة أن يكتفى الرّجَال بالرّجال والنسآء بالنساء ويُغاَر على الغِلمان كما يُغاَر على الجارية البِكْر وفيه فعند ذلك تكون أمراء فسَقَة ووُزَراء فَجَرة إلى آخر الحديث.

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة أن يكثُر الزنا ويقِلّ الرجال ويَكثُر النساء حتى يكون لِخمسين امرأةِ القيّم الواحد متفق عليه.

وعن أبي ذر رضى الله عنه إذا أقترب الزمان يكثر أولاد الزنا حتى إن الرجل ليَغشى المرأة أى يزنى بها على قارعةِ الطريق إلى أن قال : أمثلهم فى ذلك المُداهِن رواه الحاكم.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتُليتم بهِنّ وأعوذ بالله أن تدرِكوهن لم تَظهر الفاحشة فى قوم قط

حتى يُعلِنُوا بها إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضَتْ فى أسلافهم الذين مضوا ولم يُنقِصوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسِّنِين وشِدة المُؤْنَة وجورِ السُّلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلّا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم يُمطَروا ولم يَنقُضوا عهد الله وعهدَ رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدُوًا من غيرهم فأخذُوا بعض ما فى أيديهم ومالم تحْكُمْ أئمَّتُهُم بكِتاب الله ويجْهَروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم تفرد به ابن ماجه .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فعَلَت أمتى خمسَ عشرة خصلة حل فيها البلاء قيل وما هى يارسول الله قال إذا كان المَغنَم دُوَلا والأمانةُ مَغْنَما والزكاة مَغرَمًا وأطاع الرجلُ زوجته وعق أمَّه وبرّ صديقه وجفا أباه وارْتفَعت الأصوات فى المساجد وكان زعيمُ القوم أرْذلَهم وأُكْرِم الرجلُ مخافة شره وشُرِبت الخمور ولُبِس الحرير واتُّخِذت القينات والمعازف ولعن آخر هـــذه الأمة أوَّلَها فليرْتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسْفا أو مسْخا ثم قال

الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه .

وعن على رضى الله عنه أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم وتكون الفاحشة زيارة فسألته عن الفاحشة زيارة فقال الرجلان من أهل الفسق يصنع أحدهم طعاما وشرابا ويأتيه بالمرأة فيقول اصنع ما كنت تصنع فيتزاورون على ذلك فعند ذلك هلكت أمتى يابن الخطاب رواه ابن أبى الدنيا والبزار .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أشراط الساعة فشُوّا الزنا وشُرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لِخَمْسين أمرأةً القيِّم الواحد رواه ابن ماجه .

ذكر الدخان الذي يكون في آخر الزمان

قال الله تعالى : (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) .

نقل البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه فسر ذلك بما كان يحصُل لقريش من شدة الجوع وهذا التفسير غريب جداً لم يُنْقَل مثله عن أحد من الصحابة غيره وقد حاول بعض العلماء ردَّ ذلك ومعارضته بما ثبت فى حديث أبى سريحة حذيفة ابن أسيد لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات فذكرَ فيهن الدجال والدخان والدابَّة .

وكذلك فى حديث أبى هريرة بادِرُوا بالأعمال ستاً فذكر منهن هذه الثلاث وفى ظاهر القرآن ما يدُل على وجود دخان

من السماء يغشى الناس وهذا أمر محُقَّق عام وليس كما روى عن ابن مسعود أنه خيال فى أعين قريش من شدة الجوع .

قال تعالى : (فارْتَقِبْ يَوْمَ تأتي السَّماَء بِدُخَان مُبِين) أى ظاهر واضح جلىٌّ ليس خيالا (رَّبنا اكْشِف عنَّا العَذابَ إنا مُؤْمِنون) أى ينادى أهلُ ذلك الزَّمان ربهم بهذا الدعاء يسألون كشفَ هذه الشدة عنهم فإنهم قد آمنوا وأيقنوا بما وعِدوا به من الأمور الغيبيَّة الكائنة بعد ذلك يوم القيامة وهذا دليل على أن يكون هذا قبل يوم القيامة حيث يُمكن رفعُه ويمكن استدراك التوبة والإنابة والله أعلم .

ويقول الله تبارك وتعالى : (إنَّا كاشِفوا العذَاب قَلِيلا إنكُم عائِدُون) أفيكشِف عنهم عذابَ الآخرة إذا جاء ثم عادُوا إلى كفرهم فذلك قوله : (يَوْمَ نَبطِشُ البَطْشَة الكُبْرى إنَّا مُنْتَقِمون) .

من علامات الساعة الصواعق والمطر الشديد

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتى الرجل القوم فيقول من صعق قبلكم الغداة أو تلكم الغداة فيقولون صعق فلان وفلان .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا يكنُّ منه بيوت المدَر ولا يكن منه بيوت الشعر .

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات خرَزات منظومات فى سِلك فانقطع السلك فتبع بعضها بعضاً .

وروى البخارى عن أبي اليمانى عن شعيب أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس فى البنيان ولا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة

عظيمة دعْواهما واحدة ولا تقوم الساعة حتى يُقبَض العِلمُ وتكْثرَ الزّلازل ويتقاربَ الزمان وتكثرَ الفتن ويكثرَ الهرج ولا تقوم الساعة حتى يُبعَث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين كلهم يزْعم أنه رسول الله ولا تقوم الساعة حتى يُمر الرجل بقبر الرجل فيقولَ ليتنى مكانك ولا تقوم الساعة حتى تطلعَ الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين (لا يَنفَعُ نفساً إيْمَانها لَم تكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فى إيمانِهَا خيراً) ولا تقومُ الساعة حتى يكثرَ فيكم المالُ حتى يَهِمَّ الرجل رب المال من يقبلُه منه رواه مسلم من وجه آخر عن أبى هريرة .

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أشراط الساعة أن يقِلَّ العِلم ويَظهر الجهل والزنا وشربُ الخمر وتقِلُّ الرجال وتكثرَ النساء حتى يكون لخمسين امرأةً القيمُ الواحد » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تذهب الأيام والليالى حتى تفُور أرض العرب مروجا

وأنهاراً وحتى تحسِر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه فيُقتَل من كل مائة تسعة وتسعون وينجو واحد » رواه مسلم من وجه آخر عن سهيل .

وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى » فقلت يارسول الله إنى لأظُن حين أنزل الله (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) إن ذلك تام فقال إنه سَيكون من ذلك ماشاء الله ثم يَبعث الله ريحاً طيِّبة فتُوفِّى كلُّ من كان فى قلبه مثقالُ حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيَرجِعون إلى دين آبائهم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يتقاربَ الزمان فتكونَ السَّنَة كالشهر ويكونَ الشهر كالجُمُعة وتكون الجُمُعة كاليوم ويكونَ اليوم كالسَّاعة وتكونَ الساعة كإحْراقِ السَّعفةِ » .

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو قائم على المنبر يقول « إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاةِ العصر إلى غروب الشمس أُعطِي أهلُ التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأُعطُوا قيراطًا ؛ ثم أُعْطِي أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعملوا به حتى صلاة العصر فأُعطُوا قيراطا ، ثم أُعْطِيتم القرآن فعَمِلتم به حتى غربت الشمس فأُعْطِيتم قيراطين قيراطين ، فقال أهل التوراة والإنجيل ربنا هؤلاء أقلُّ عملا وأكثر أجْراً فقال هل ظَلَمتكم من أجركم شيئا قالوا لا قال فذاك فَضْلى أُوتيه مَن أشاء وهكذا » رواه البخارى .

ذكر نزول عيسى عليه السلام

قال الله تعالى : (وقولهم إنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وما قتلوه وَمَا صَلَبُوه وَلَـكِنْ شُبِّهَ لهم وإنَّ الَّذِين اخْتَلَفُوا فِيه لَفِي شَكٍّ مِنْه مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتباعَ الظَّنِّ وَمَا قتلوه يقينا بَلْ رَفَعَه اللهُ إِلَيْه وكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً وإنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيَامَةِ يكُونُ عَلَيْهِم شَهِيداً) .

قال ابن جرير فى تفسيره حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي حصين عن أبى سعيد بن جبير عن ابن عباس (وإنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال قبل موت عيسى ابن مريم وهذا إسناد صحيح .

وكذا روى العوفى عن ابن عباس وقال أبو مالك (وإنْ مِنْ أهل الْكِتَاب إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) ذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وقال الحسن البصرى (وإنْ مِنْ أهْلِ الْكِتَابِ إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال

قبل موت عيسى ابن مريم والله إنه الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون رواه ابن جرير .

وروى ابن أبى حاتم عنه أن رجلا سأل الحسن عن قوله تعالى : (وإنْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) قال موت عيسى إن الله تعالى رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يُؤْمِن به البَرُّ والفاجر .

وهكذا قال قتادة بن دعامة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهو ثابت فى الصحيحين عن أبى هريرة كما سيأتى موقوفاً وفى رواية مرفوعاً والله أعلم .

وهذا هو المقصود من السِّياق الإخبارُ بِحَياته الآن فى السماء وليس كما يزعُمه أهلُ الكِتاب الجَهلة أنهم صلبوه بَلْ رفعه الله إليه ثم ينْزل من السماء قَبْل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المُتوَاتِرة مما تَبيَّن فى أحاديث الدجال وكما سيأتى وبالله المُستعان وعليه التُّكلان ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلى العظيم الذى لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم .

وقد روى عن ابن عباس وغيره أنه أعاد الضمير فى قوله قبل

موته على الكتاب وذلك لو صح لما كان منافياً لهذا ولكن الصحيح فى المعنى والإسناد ما ذكرناه وبالله التوفيق .

ذكر خروج يأجوج ومأجوج

ل الله تعالى : (حَتَّى إِذَا فُتِحتَ يَأْجُو ومَأْجُوجُ وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُون واقْترَب الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أبصَارُ الَّذِين كَفَرُوا يَاوَيْلَنا قَدْ كُنَّا فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) .

وقال تعالى فى قصة ذى القرنين : (ثُمَّ أَتْبع سَبَبا حتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّين وجَدَ مِنْ دُونِهِما قوماً لا يَكَادُون يَفقَهُون قولاً قالوا ياذَا الْقَرْنَين إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فى الْأرْضِ فهَلْ نجْعَلُ لكَ خَرجاً عَلَى أَنْ تجْعَلَ بَيْننَا وَبيْنَهُم سَدًّا قال ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خيرٌ فأَعِينُونى بِقُوَّةٍ أجْعَلْ بَيْنكُم وَبيْنَهُم رَدْماً آتونِى زُبَرَ الحَدِيد حتَّى إذا سَاوَى بيْنَ الصَّدَفَين قَالَ نفُخُوا حَتَّى إذَا جعلَهُ نَارا قال آتونِى أُفرِغْ عَلَيه قِطراً فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتطَاعُوا لَهُ نَقبًا قال هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبِّى

جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا وتَرَكْنَا بَعْضَهُم يَوْمَئذٍ يَمُوجُ فى بَعْضٍ ونُفِخَ فى الصُّور فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا) .

ذكَر ابنُ كثير فى تفسيره قصة بناء ذى القرنين للسَّد من حديد ونُحاس بين جبلين فصار ردما واحداً وقال هذا رحمةٌ من ربى أى يحجز به مِنْ هؤلاء القوم المفسِدين فى الأرض وبين الناس فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء أى الوقت الذى قدَّر انْهدامه فيه جعله دكاء أىْ مساوياً للأرض وكان وعد ربى حقا أى هذا لابدَّ من كونه ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض يعنى انْهدامه يخرجون على الناس فيموجون فيهم وينسِلون أى يسرِعون المشىَ من كل حدَب ثم يكون النَّفخ فى الصور للفزَع قريبا من ذلك وقال فى الآية الأخرى (حتَّى إذا فُتِحَت يأجُوج ومأجُوج وَهُمْ منْ كلِّ حدَب ينسلُون و قترب الوعدُ الحقُّ فإذا هى شاخصةٌ أبصارُ الَّذين كفرُوا) الآية .

وثبت فى الصحيحين من حديث زينب بنت جحش أن النبى صلى الله عليه وسلم نام عندها ثم استيقظ محمَرا وجهه وهو

يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين أصبعيه .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو حدثنا خالد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال إنكم تقولون لا عدوّ لكم وإنكم لا تزالون تقاتلون عدُوا حتى يأتى يأجوجُ ومأجوجُ عراضُ الوجُوه صغار العُيون صُهْب الشِّعاف من كل حدَب ينسلون كأنّ وجوههم المجانُ المطرَقة .

ذكر تخريب الكعبة شرفها الله

قال الله تعالى : (حتّى إذَا فتِحتَ يأجُوج ومأجُوج) أول ظهور ذو السُّوَيقتَين فى أيام عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك بعد هلاك يأجوج ومأجوج فيبعث الله عيسى ابن مريم طليعَة ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة فبينما هم يسيرُون إليه إذ بعث الله ريحًا يمانيَّة فيقبض فيها رُوحُ كلّ مؤمن ويبقى

عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم قال كعب وتكون الساعة قريباً حينئذ .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَحُجَّن هذا البيت وليُعْتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج تفرد بإخراجه البخارى .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايحَجّ البيت ثم قال هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد .

قال ابن كثير رحمه الله ولا منافات بين الروايتين لأن الكعبة يحَجُّها الناس ويعتمرون بها بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وطمأنينة الناس وكثرةِ أرزاقهم فى زمان المسيح ابن مريم عليه السلام ثم يبعث الله ريحاً طيبةً فتَقبَض بها رُوح كل مؤمن ومؤمنة ويتَوَفىَّ نبيُّ الله عيسى عليه الصلاة والسلام ويُصَلىَّ عليه المسلمون ويُدْفن بالحُجْرة النبوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم يكون خرابُ الكعبة على يد ذى السويقتين بعد هذا وإن كان ظهورُه فى زمان المسيح .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يُخَرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حِليها ويُجَرِّدها من كسوتها ولكأنى أنظر إليه أُصَيلع أُقيرَع يضرب عليها بمسحاته ومعوله انفرد به أحمد وإسناده جيد .

وقال أبو داود فى باب النهى عن تهييج الحبشة حدثنا القاسم بن أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير بن محمد عن موسى ابن جبير عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشةَ ما تركوكم فإنه لا يَستَخرِج كنزَ الكعبة إلا ذو السُّوَيقتين من الحبشة .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كأنى أنظرُ إليه أسوَد أفحَج ينقضها حجراً حجراً يعنى الكعبة انفرد به البخارى وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قَحطان يسُوق الناسَ بعصاه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء وقد يكون هذا الرجل هو ذو السويقتين ويحتمل أن يكون غيره فإن هذا من قحطان وذاك من الحبشة والله أعلم .

ذكر خروج الدابة من الأرض

قال الله تعالى : (وإذا وَقَع القَوْلُ عَلَيْهم أخْرَجْنا لَهُم دابّةً من الأرْضِ تُكلّمُهُم) أى تخاطبهم مخاطبة تقول لهم إنَّ النَّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال ابن عباس تخاطبهم وتخرجهم .

وروى أحمد ومسلم وأهل السنن عن أبي سريحة حذيفة ابن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى ترَوا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخــروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم ، وثلاث خسوف خسفٌ بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعرَ عدَن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقِيلُ معهم حيث قالوا .

وحديث طلحة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خَرَجات فى الدهر فتخرج خرْجة من أقصى البادية ولا يدخُل ذكرُها القرية أعنى مكة ثم تكمن زماناً طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها فى أهل البادية ويدخُل ذكرُها القرية يعنى « مكة » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينما الناس فى أعظم المساجد حُرمة على الله وأكرمها المسجد الحرام لم يرُعْهم إلا وهى ترْغُو بين الركن والمقام تنفُض عن رأسها التراب فارْفَضَّ الناس عنها شتّى ومعاً وتثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يُعجِزوا الله فبدأَتْ بهم فجَلَت وجوهَهم حتى جعلَتها كالكوكب الدُّرِّى وولَّت فى الأرض لا يدرِكها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوّذ منها فى الصلاة فتأتيه من خلْفه فتقول يافلان الآن تصلى فيُقبل عليها فتسمهُ فى وجْهه ثم تنطلِق ويشترك الناس فى الأموال ويصطَحِبون فى الأمصار يُعْرف المؤمنُ من الكافر حتى إن المؤمن لَيقول يا كافر أقْضِنى حقى وحتى إن الكافر ليقول يامؤمن أقْضِنى حقِّى هكذا روى مرفوعا وفيه غرابة .

وعن فضيل بن مرزوق عن عطية قال قال عبد الله تخرج الدابة من صَدْع من الصفا كجَرْي الفرس ثلاثة أيام لا يَخْرُج ثلثها .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال تخرج الدابة من تحت صخرة بِشِعْب جِياد فتستقبلُ المشرق فتصرُخ صرْخة تنفذُه ثم تستقبل اليمن فتصرُخ صرْخة تنفذه ثم تروح من مكة فتُصبح بعسفان قيل له ثم ماذا قال ثم لا أعلم .

وروى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وبهز بن أسد وعفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتُحطِّم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجهَ المؤمن بالعصا حتى إنَّ أهل الخِوان الواحد ليَجْتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول يا كافر .

وروى ابن أبى حاتم وقال ابن جريج عن أبى الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعيناها عين خنزير وأذنها

أذُن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدرُ أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرٍّ وذنبُها ذنب كبش وقوائمها قوائمُ بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا يخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا تنكُت في وجهه بعصا موسى نُكْتة بيضاء فتفشو تلك النكْتة حتى يبيَضَّ لها وجهُه ولا يبقى كافر إلا نكَتت في وجهه نكْتة سوداء بخاتم سليمان فتفشوا تلك النُّكْتة حتى يسودَّ لها وجهه حتى إنَّ الناس يتبايعون في الأسواق بكَم ذا يامؤمن بِكَم ذا يا كافر حتى إنَّ أهل البيت ليَجْلسون على مائدتهم فيعْرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة يافلان أبْشِر أنت من أهل الجنة ويافلان أنتَ من أهل النار فذلك قوله تعالى : (وإذَا وَقَعَ الْقَولُ عليهم أخْرَجْنا لَهُم دابَّةً من الأرضِ تُكَلِّمُهم أنَّ النَّاسَ كَانوُا بآياتِنَا لا يوُقِنُون) .

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى : (هَلْ يَنظُرُون إلاَّ أَنْ تأْتِيَهُم المَلاَئِكَةُ أو يَأْتِى رَبُّك أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّك لا يَنْفَعُ نفساً إيمانُها لَم تكنُ آمنَتْ من قبلُ أوْ كَسَبَت في إيمانِهَا خَيْرا قُلِ انْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُون) .

عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها قال (طلوع الشمس من مغربها) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تَطلعَ الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل وقد أخرجه الجماعة إلا الترمذى .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ هذه الآية .

وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر رضى الله عنه : أتدرى أين تذهب هذه الشمس إذا غربت . قلت لا أدرى قال : إنَّها تنتهى فتسجدُ تحت العرش ثم تستأذن فيوشِك أن يُقال لها ارجعى من حيث جئتِ وذلك حين (لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكُن آمَنَت مِنْ قبل أوْ كَسَبَت فى إيمانِها خيراً).

وثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنْسَه بعدُ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول الآيات خروجا طلوعُ الشمس من مغربها وخروجُ الدابة على الناس ضُحىً فأيتها ما كانت قبل صاحِبَتها فالأخرى على إثرها قريبا .

وذكر الطبرانى فى معجمه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلعت الشمس من مغربها خرَّ إبليس ساجداً ينادى ويجْهَر إلهى مرنى أن أسجد لمن شئت قال فتَجمعُ إليه زبانيتُهُ تقول ياسيدنا ما هذا التضرُّع فيقول إنما سألت ربى أن يُنظِرَنى إلى الوقت المعلوم قال ثم تخرج دابة الأرض من صدْع فى الصفا قال فأول خطُوة تضعها بأنطاكية فتأتى إبليس فتلطمه . وهذا غريب جداً

وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليأتينَّ على الناس ليلةٌ تعدل ثلاثَ ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذاك يعرفها المُتَنَفِّلون يقوم أحدهم فيقرأ حِزْبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حِزْبه ثم ينام فبينما هم كذلك صاح الناس بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت فطلعت من مطلعها قال فحينئذ لا ينفعُ نفسا إيمانُها .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آيةُ طلوع الشمس من مغربها فقال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فيتَنَبَّه الذين كانوا يُصَلُّون فيها يعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لاتُرى قد باتت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصَلُّون ثم يقومون فتُطِلُّ عليهم جنوبهم حين يتطاول الليل فيفزع الناس ولا يصبحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم .

وقال عبد الله بن مسعود يوما لجلسائه أرأيتم قول الله تعالى تغرب فى عين حمئـه ماذا يعنى بها قالوا الله ورسوله أعلم قال إنها إذا غربت سجدت له وسبحته وعظمته ثم كانت تحت العرش فإذا حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته فيقال لها اثبتى فتجلس مقدار ليلتين قال ويفزع المتهجدون وينادى الرجل تلك الليلة جاره يافلان ما شأننا الليلة لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى عييت ثم يقال لها اطلعى من حيث غربت فذلك (يَومَ لاَ يَنْفَعُ نفساً إيمانُها لم تكُن آمنت مِنْ قَبْلُ أو كسبت فِى إيمانها خيْرا) .

وعن صفوان بن عسال رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله فتح بابا قِبَل المغرب عرضه سبعون أو قال أربعون عاما للتوبة ثم لا يغلق حتى تطلع الشمس منه) فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل عَلَى أن من أحدث إيمانا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تُقْبلَ منه وإنما كان كذلك

والله أعلم لأن ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها ودنوها فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة كما قال تعالى (هلْ ينْظُرون إلاَّ أن تأْتِيَهمُ الملائكةُ أوْ يأْتىَ رَبُّك أوْ يأْتِى بعْضُ آياتِ رَبِّك يَوْم يأْتى بعْض آياتِ ربكَ لاَينْفَعُ نفساً إيمانُها) .

النفخ فى الصور

قال الله تعالى : (فإذا نُفخَ فى الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولاَ يتساءلُون) .

وقال تعالى : (فإذا نُفخ فى الصُّور نفخَة واحدَة وحملتِ الأرضُ والجبالُ فدكَّتا دكَّةً واحدةً فيومئذٍ وقعت الواقعةُ وانشقتِ السماء فهىَ يوْمئذٍ واهية والملكُ على أرجائِها ويحمل عرشَ ربك فوقَهم يومئذٍ ثمَانية يومئذٍ تُعرضُون لا تخفَي منكمَ خافيةٍ) .

وقال تعالى : (يومَ ينفخُ فى الصُّور ونحشُر المجرمين يومئذٍ زرقاَ) الآيات .

وقال تعالى : (يومَ ينفخَ فى الصُّور فتأتُون أفْواجاً وفتحتِ السمَاء فكانتْ أبْواباً وسيِّرتِ الجبالُ فكانتْ سراباً) .

وقال تعالى : (ونفخَ فى الصُّور فجمعناَهم جمعاً وعرضناَ جهنمَ يومئذٍ للكافِرينَ عرْضاً) .

وقال تعالى : (ونفخَ فى الصُّور فصعقَ منْ فى السموات ومنْ فى الأرضِ إلاَّ منْ شاء الله وكلٌّ أتوهُ داخرِينَ) .

وقال تعالى : (فإذَا نُقِرَ فى النَّاقُور فَذَلِكَ يومئذٍ يومٌ عسيرٌ على الْـكافرِينَ غيرُ يَسير) .

قال تعالى : (ومَا ينظُر هؤلاء إلاَّ صيحةً وَاحدةً مالهَا مِنْ فوَاقٍ) .

قال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا مطرف عن عطية عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى (فإذا نقر فى الناقور) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحبُ القرْن قد الْتقم القرْن وحَنَى جبْهَتَه ينظُر متى يُؤمر فيَنْفخ فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله كيف نقول قال : قولوا حسبُنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا . انفرد به أحمد وقد رواه أبو كدينة يحيى بن المهلب عن مطرف به .

وعن سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد الْتقم الصور وحنى جبْهَتَه ينظر متى يُؤمَر أن ينفخ لينفُخ قلنا يارسول الله ما نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه قال (إنَّ الله تعالى لمَّا فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصوْر فأعطاه إسرافيل فهو واضعهُ على فيه شاخصاً إلى العرش ببصره ينتظر متى يُؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن قال كيف هو قال عظيم قال والذى بعثنى بالحق إنّ عظَم دَارَةٍ فيه لعَرْض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصَّعقْ والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول أنفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ويأمره تعالى فيمدُّها ويطيلها ولا يفترْ وهى التى يقول الله تعالى (وما ينظُر هؤلاَء إلاّ صيحةً واحدةً مالهَا منْ فواقٍ) فتسير الجبال سير السحاب فتكون سرابا وترتج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة المُوبَقة فى البحر تضربها الأمواج تكْفاً بأهلها كالقنديل المعلّق بالعرش ترجحه الأرواح ألا وهو الذى يقول الله تعالى (يوم ترجفُ الراجفةُ تتبعُها الرادفةُ قلوبٌ يوْمئذ واجفةٌ أبصارُها خاشعةٌ يقولُون أئِنَّا لمرْدوُدون فى الحافرةِ) الآية .

فيميد الناس على وجهها وتذهل المراضع وتضعُ الحوامل

ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها فترجع فتولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ينادى بعضكم وهو الذى يقول الله تعالى يوم القيامة (يومَ التنادِ) فبيناهم على ذلك إذ تصدَّعت الأرض تصدُّعين من قطر إلى قطر فرأوا أمرا عظيما لم يرَوا مثله وأخذهم لذلك من الكرْب والهول ما الله به عليم ثم تطوَى السماء فإذا هى كالمهْل ثم انشقَّت السماء فانتثَرت نجومها وخُسِف شمسُها وقمرُها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموات لا يعلمون بشىء من ذلك .

قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله حين يقول : (ففزِع من فى السموات ومن فى الأرض إلاَّ من شاء الله) قال أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول الله تعالى (يا أيها النَّاس اتقوا ربَّكم إنَّ زَلْزلةَ السَّاعةِ شىءٌ عظيم يومَ ترونهاَ تذهلُ كلُّ مرُضعَة عما أرضَعت وتضعُ كلُّ ذاتِ حملْ حملهاَ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد)

فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيُصعق أهل السموت والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خامدون وجاء ملك الموت إلى الجبار فيقول يارب مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى فمن بقى فيقول يارب بقيتَ أنتَ الحىُّ الذى لا يموت وبقيتْ حملة عرشك وبقى جبرائيل وميكائيل وبقيتُ أنا فيقول الله عز وجل ليمت جبريلُ وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فإنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو أعلم بمن بقى من بقى فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة عرشك وبقيتُ أنا فيقول الله تعالى فليمت حملة عرشى فيموتون ويأمر الله العرش فيقبْض الصورَ من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت إلى الجبّار عز وجل فيقول قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم بمن بقى فمن بقى فيقول يارب بقيتَ أنتَ الحىَ الذى لا يموت وبقيتُ أنا فيقول الله له أنت خلْق من خلقى خلقتك لمّا رأيت فمتُ فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد

الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولا طوى السموات والأرض كطىّ السِّجل ثم دحاها ثم تلقفها ثلاث مرات وقال أنا الجبار ثلاثاً ثم يهتف بصوته لمنَ الملْك اليوم ثلاث مرات فلا يجُيبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار ويبدلُ الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسُطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظى لاترى فيها عوجاً ولا أمتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه من الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزِل الله عليكم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطِر فتطمر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنا عشر ذراعا ثم يأمر الله الأجسام أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله تعالى لِيحي حملة عرشى فيحيون ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول لِيحي جبرايل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله الأرواح فيؤْتىَ بها تتوهَّج أرْواح المسلمين نوراً والأخرى ظُلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحلْ قد

ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى
الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد مشي السم
في اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم وأنا أول من تنشق الأرض
عنه فتخرجون منها سراعا إلى ربكم تنسلون مهطعين إلى الداع
يقول الكافرون هذا يوم عسر حفاة عراة غرلا غلفا ثم
يقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى
بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دماً وتعرقون
حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان فتضجون
وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا يقضي بيننا فتقولون من أحق
بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه
قبلا فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى فيقول ما أنا بصاحب
ذلك ثم يستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاءوا إلى نبي أبى
عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوني فأنطلق
حتى آتي الفحص فأخر ساجداً قال أبو هريرة يارسول الله
ما الفحص قال قدام العرش حتى يبعث الله إلي ملكا فيأخذ
بعضدي فيرفعني إلى ربي فيقول لي يا محمد فأقول نعم لبيك

يارب فيقول ما شأنك وهو أعلم فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشَفِّعنى فى خلقك فأقض بينهم فيقول شفَّعتك أنا آتيكم فأقض بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرجع فأقف مع الناس فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حِسًّا من السماء شديداً فنزل أهلُ السماء الدنيا مثلُ من فى الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مصافَّهم قلنا لهم أفيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم ينزِلون على قَدر ذلك من التَّضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى فى ظُلَل من الغمام والملائكة ويَحمل عرشَ ربِّك يومئذٍ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السُّفلى والسموات إلى حجزِهم والعرش على مناكبهم زجلٌ من تسبيحهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى المُلْك والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الذى يُميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتِف بصوته فيقول (يامعشر الجن والإنس إنى قد أنصَت لكم من يوم خلَقْتكُم إلى يومكم هذا أسمع قولَكم وأرى أعمالَكم فانصِتوا إلىَّ إنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيراً فليحمَدَ الله ومن وجد

غير ذلك فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه) ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنقٌ ساطع مُظلم ثم يقول (ألمْ أعْهَد إليكم يابنى أدمَ أن لا تعبدُوا الشَّيطان إنَّه لكُم عدُوٌّ مُبين وأَن اُعبدُونى هذا صراطٌ مُستَقيم ولقدْ أضلَّ منكُم جبلاً كثيراً أفلَمْ تكُونُوا تَعقلون هذِهِ جهَنَّمُ التَّى كُنْتمُ بِها تُكذِّبُون) أوتوعدُون شك أبو عاصم وامتَازُوا اليوم أيُّها المجرمون فيميِّز الله الناس وتجثوا الأمم يقول الله تعالى (وترى كل أمَّةٍ جاثيةً كلٌّ أمةٍ تدعى إلى كتَابها اليومَ تُجزون ما كنتمُ تعملوُن).

فيقضى الله بين خلْقه إلا الثقلين الإنس والجنَّ فيقضى الله بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليُقيد الجمَّاء من ذات الْقرن فإذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تَبِعة عند واحدة لِأُخرى قال الله لها كونى تراباً فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت تراباً ثم يقضى الله تعالى بين العباد فيكون أول ما يقضى فيه الدماء ويأتى كلُّ قتيل فى سبيل الله ويأمر الله فيأخذ من قتل فيُحمل رأسُه تشخُب أوْداجُه فيقول يارب فيم قتَلَنى هذا فيقول تعالى وهو أعلم فيم قتلْته فيقول قتلتُه لتكون العزَّة لك فيقول الله تعالى صدَقْتَ فيجعل الله وجهه مثلَ نور السموات ثم تسبقه

الملائكة إلى الجنة ثم يأتى كلٌ من كان يقتل على غير ذلك وبأمر من قتِل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يارب فيم قتلنى هذا فيقول وهو أعلم فيم قتلته فيقول قتلته لتكون العزّة لى فيقول له تعِست ثم ما تبقى نفس قتلها إلا قتِل بها ولا مظلمة إلا أُخذ بها وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ثم يقضى الله بين من بقى من خلقـــه حتى لا يبقى مظلمة عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليُكلَّف شائبَ اللبن بالماء ثم يبيعه أن يُخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يُسمع الخلائقَ كلهم فقال ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئاً إلا مُثلت له آلهته بين يديه فيُجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عُزَير ويُجعل ملك من الملائكة على صورة عِيسى فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار فهذا الذى يقول الله تعالى (لو كَان هؤلاء آلهةً ماورَدوها وكلٌ فيها خالدِون) فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله بما شاء من هيْبَته فقال يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون

فيقولون والله مالنا إله إلا الله ما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم
وهو الله الذى يأتيهم فيمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يأتيهم
فيقول ذهب الناس فالحقُوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون
والله مالنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكْشف عن ساقه
ويتجلّى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم فيخرُّون سجداً على
وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله أصْلاَبهم كصَياصىّ
البقر ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم ويضرب الله بالصراط
بين ظهرانى جهنم كقد الشَّعر أو كعقْد الشعر وكحد السيّف
عليه كلاَليبُ وخطاطيف وحسَك دونه جسر دحضُ مزلّة
فيمرُّون كطرف البصر وكلمُح البرق أو كمرِّ الريح أو كجياد
الركاب أو كجياد الرِّجال فناج سالمٌ وناج مخْدُوش ومكْدوح
على وجهه فى جهنم فإذا أفضى أهلُ الجنة إلى الجنة قالوا من
يشفعُ لنا إلى ربِّنا فندخل الجنة فيقولون من أحقُّ بذلك من
أبيكم آدم إنه خلقه الله بيده ونفخ فيه من رُوحه وكلّمه قبلا
فيأتون آدم فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول ما أنا بصاحب
ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيُؤتى نوح
فيُطلب ذلك إليه فيذْكر ذنباً ويقول ما أنا بصاحب ذلك

ولكن عليكم بإبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول
ما أنا بصاحبكم عليكم برُوح الله وكلته عيسى ابنُ مريم
فيؤتى عيسى ابنُ مريم فيُطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحب ذلك
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيأتُونى ولى عند ربى ثلاثُ شفاعات وعدَنيهن
فأنطلِق فآتى الجنة فآخذ بحلْقة الباب فأستفتح فيفتح لى فأُحيَّ
ويُرحب بى فإذا دخلت إلى الجنة فنظرت إلى ربى عز وجل
خررْت له ساجداً فيأذن الله من حمده وتمجيده بشىء ما أذن به
لأحد من خلقه ثم يقول الله لى ارفع يامحمد رأسك واشفع
تُشَفع وسَلْ تُعطه فاذا رفعت رأسى قال الله وهو أعلم ماشأنُك
فأقول يارب وعْدتنى الشفاعة فشفِّعنى فى أهل الجنة يدخلون
الجنة فيقول الله عز وجل قد شفَّعتك وأذِنت لهم فى الدخول
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى بعثنى بالحق
ما أنتم فى الدنيا بأعْرف بأزْواجكم ومساكنكم من أهل الجنة
بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين
زوجة مما يُنْشِىء الله واثنْتَين آدَميتين من بنات آدم لهما فضلٌ
على من أنْشَأ الله بعبادتهما لله فى الدنيا يدخل على الأولى منهما

فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مُكلّل باللؤلؤ عليه
سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها
ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها
وإنه لينظر إلى مُخِّ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السِّلك فى قصبة
الياقوتة كبِدُه لها مرآة وكبِدُها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها
ولا تمله لا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكرُه
ولا تشتكى قُبُلها إلا أنه لا مَنِىّ ولا منيّة فبينما هو كذلك
إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لاتمل ولا تُمَلّ ألا إن لك أزواجا
غيرها فيخرُج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت
والله ما فى الجنة أحسنُ منك وما فى الجنة شىء أحبّ إلىّ
منك قال وإذا وقع أهل النار فى النار وقع فيها خلق من خلق
ربك أوبقتهم أعمالهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه لا تجاوز ذلك
ومنهم من تأخذه إلى حِقويه ومنهم من تأخذ جسده كلّه إلا
وجهُه حرّم الله صورته عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقول يارب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى فيقول الله عز
وجل أخرِجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم

أحد ثم يأذن الله فى الشفاعة فلا يبقى نبىٌّ ولا شهيد إلاّ شفّع
فيقول الله عز وجل أخرِجوا من وجدتم فى قلبه زِنة الدينار
إيمانًا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله
فيقول أخرجوا من وجدتم فى قلبه ثلثى دينار ونصف دينار
ثم يقول وثلث دينار ثم يقول وسدس دينار ثم يقول قيراط
ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى فى النار
من عمل خيراً لله قط وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع
حتى إن إبليس ليتَطاول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفْع
له ثم يقول الله عز وجل بقيت أنا وأنا أرحم الراحمين فيدُخل
الله يده فى جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم خَشَب
محترِق فينبتهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان فينبُتون كما
تَنبت الحبة فى حَميل السيل فما يلى الشمسَ منها أُخيضِر وما يلى
الظِّل منها أصيفِر فينبتون نبات الطَّراثِيث حتى يكونوا أمثال
الدرْمك مكتوب فى رقابهم الجُهَنَّميون عُتَقاء الرحمن عز وجل
يَعْرِفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا لله خيراً قط فيبقون
فى الجنة فذِكرُه إلى هنا كان فى أصل أبى بكر بن المقرى
عن أبى يعلى رحمه الله هذا الحديث مشهور رواه جماعة من

الأئمة فى كتبهم كابن جرير الطبرى فى تفسيره والطبرانى فى المطولات وغيرها والحافظ البيهقى فى كتاب البعث والنشور والحافظ أبى موسى المدينى فى المطولات أيضاً من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة وقد تكلم فيه .

وقال الحافظ أبو موسى المدايني بعد إيراده له بتمامه وهذا الحديث وإن كان فيه نكارة فى إسناده من تكلم فيه فعامة مافيه يروى مفرقاً من أسانيد ثابتة وقد تكلم على غريبه .

من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالى (إنَّ لَدَيْنا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصَّةٍ وعذاباً أليماً يوم ترْجُف الأرضُ والجِبالُ وكانَتِ الجبال كَثيباً مهيلاً إنا أرْسَلنا إليكُم رَسُولا شَاهِداً عليكُم كما أرْسلنا إلى فرعونَ رَسُولا فعَصى فرعونُ الرَّسولَ فأخذْناه أخذاً وَبيلا فكيفَ تتقُون إن كفرتمُ يوماً يجعلُ الوِلدان شيباً السَّماء مُنفَطرٌ به كان وعْدُه مفعُولا) .

وقوله تعالى (فيومَئذٍ وقعَتِ الواقعَة وانشقَّت السَّماءُ فهِي يَومئذ واهيَة والملك على أرْجائها ويحمِلُ عرْشَ ربِّك فوقهُم يومئذ ثمانية يومئذ تعرَضون لا تخفى منكم خافِية) .

وقوله تعالى (واستَمع يومَ يُنادِي المنادِي من مكان قريب يوْمَ يسمعُون الصَّيحة بالحقِّ ذلك يومُ الخرُوج إنَّا نحنُ نُحيِي ونُميت وإلينا المَصِيرُ يومَ تَشقَّقُ الأرْضُ عنهم سِراعاً ذلِك حَشرٌ علينا يسير) .

وقوله تعالى (ومَا قدَرُوا الله حقَّ قدْرِه والأرضُ جميعاً

قبضته يومَ القيامة والسموات مَطويَّات بيمينه سبحانه وتعالى عماَّ يُشرِكون) .

وقوله تعالى (يومْ تكُونُ السَّماء كالمهل وتكون الجبالُ كالعهنِ ولا يُسأل حميم حميماً يُبصَّرونهم يودُّ المجرم لو يفتدِى منْ عذابِ يومئذٍ ببنيه وصاحِبتهِ وأخيه وفصيلتهِ الَّتى تئْويه ومنْ فى الأرضِ جميعاً ثم يُنجيه كلاَّ إنَّها لظىَ نزَّاعةً للشوَّى تدْعو من أدْبرَ وتولَّى وجمَع فأوعى) .

وقال تعالى (هل أتاكَ حديث الغاشية وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبة تصلَى ناراً حامية تسقىَ منْ عينٍ آنيةٍ ليس لهمْ طعامٌ إلاَّ منْ ضَريع لا يُسْمِن ولا يغْنى منْ جُوعٍ وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ لسعْيها راضيةٌ فى جنةٍ عَالية لا تسمعُ فيهاَ لاغيةً فيهاَ عينٌ جارية فيها سُررٌ مرْفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةَ ونمارقُ مصفوفةٌ وزرابىُّ مبثوثةٌ) .

وعن سعيد بن عمر الأنصارى قال جلست إلى عبد الله ابن عمر وأبى سعيد فقال أحدهما لصاحبه أى شىء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه يبلغ العرق من الناس

يوم القيامة فقال أحدهما إلى شحمته وقال الآخر تُلْجمه نخط به عمر وأشار أبو عاصم باصبعه من شحمَة أذُنه إلى فيه فقال ما أرى ذلك إلاَّ سواء تفرد به أحمد وإسناده جيد قوى .

وعن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة أُدْنيت الشمس من العباد حتى تـكون قيدَ ميل أو ميلين قال سليم لا أدْرى الميلين مسافة الأرض أم الميل الذى يكْحل به العين قال فتصْهَرُهم فيـكونون فى العرق بقدر أعمالهم فنهم من يأخذه العرق إلى عَقِبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يُلْجمه إلجاماً قال الترمذى حسن صحيح وأخرجه مسلم عن الحكم بن موسى .

وعن الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت إنا أول الناس سائلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوْم تبدَّل الأرضُ غَير الأرضِ والسَّموات وبرَزُوا للهِ الواحدِ القهَّار) قالت قلت أين الناس يومئذ يارسول الله قال على الصراط رواه مسلم فى صحيحه والترمذى وقال حسن صحيح .

فصــــل

من الآثار الدالة على أهوال يوم القيامة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُبعثَ الناسُ يوم القيامة والسماء تَطِش عليهم) تفرد به الإمام أحمد، وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم تطش عليهم احتمالان :

أحدهما : أن يكون ذلك من المطر يقال أصابهم طش من المطر وهو الخفيف منه .

والثانى : أن يكون ذلك من شدة الحر والله أعلم .

وثبت فى الصحيح أنهم يقومون فى الرَّشْح إلى أنصاف آذانهم وفى الحديث الآخر أنهم يتفاوتون فى ذلك بحسب أعمالهم كما جاء فى حديث الشفاعة .

وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العرق ليُلْجم المرء فى الموقِف حتى يقول يارب إرْسَالُكَ بى

إلى النار أهونُ عليّ مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب.
إسناده ضعيف .

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين إذا أُعْطُوا الحقّ قبلوه وإذا سُئلُوه بذلوه وحكموا للناس كحُكْمهم لأنفسهم). تفرد به الإمام أحمد .

وقد ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظلّ إلا ظلُّه : إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منها حتى يعودَ إليها . ورجل دعَتْه امرأة ذات منصِب وجمال فقال إنى أخاف الله . واثنان تحاباً فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا يوم نشورهم وكأنى بأهل لا إله إلا الله ينفُضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن كثير وله شاهد من القرآن العظيم قال الله تعالى (إنَّ الذِين سبَقَتْ لهُم مِناَ الحسْنى أولئكَ عَنْها مبعدُون لا يسمعُون حَسِيسها وهمْ فيما اشْتهتْ أنْفسهم خالدُون لا يَحزنُهُم الفزَعُ الأكبرُ وتتلقَّاهم الملائكةُ هذَا يومُكمُ الَّذِى كنْتم توعدُون يوْم نَطْوى السَّماء كطىِّ السِّجل للكتب كما بَدَأْنا أوَّل خلْقٍ نُعيده وعداً عَلينَا إنَّا كنَّا فَاعلينَ) .

قال أبو بكر بن أبى الدنيا أخبرنا أبو حفص الصفار حدثنا جعفر بن سليمان أنبأنا إبراهيم بن عيسى الشكرى بلغنا أن المؤمن إذا بُعِث من قبره تلقَّاه ملكان أحدُهما معه ديباجة فيها بُرْد ومسْك ومع الآخر كوب من أكواب الجنة فيه شراب فإذا خرج من قبره خلط الملك البُرْد بالمسك فرشَّه عليه وصبَّ له الآخرُ شرْبة فيُناوله إياها فيشربها فلا يظمأ بعدها أبداً حتى يدْخل فى الجنة فأما الأشقياء والعياذ بالله فقال الله تعالى (ومنْ يَعْشُ عنْ ذِكرِ الرَّحمن نقيِّضْ لهُ شَيطاناً فهُو لهُ

قرينٌ وإنهُم ليصدُّونهمُ عنِ السبيلِ ويحسبُون أنهُم مهتدُونَ حتَّى إذَا جاءنَا قَال ياليتَ بيني وبَينَك بُعدَ المشْرِقين فبئسَ الْقَرِين ولن ينفعَكم اليومَ إذ ظلمتُم أَنكمْ فى الْعذَاب مُشْتَرِكُون) .

قال ابن كثير إن الكافر إذا قام من قبره أخذه بيده شيطانه ويلزمه لم يفارقه حتى يرمىَ بهما فى النار قال تعالى (وجاءتْ كلُّ نفْس معَها سائقٌ وشهيدٌ) أى ملكٌ يسوقه إلى المحشر وآخرُ يشهد عليه بأعماله وهذا عام فى الأبرار والفجار كل بحسْبه (لقدْ كنتَ فى غفلةٍ منْ هذا فكشفْنَا عَنك غطاءَك فبصرُك اليوْمَ حديدٌ) أى قوىٌّ (الَّذِى جَعَلَ معَ الله إلهاً آخرَ فألقياهُ فى العذابِ الشَّديد قال قرينه ربَناَ ما أطغيتُهُ ولكنْ كانَ فى ضلالٍ بعيدٍ قالَ لا تَختْصموا لدىَّ وقدْ قدَّمتُ إلـيكم بالْوعيدِ ما يبدَّلُ القولُ لدَىَّ وما أنَاَ بظلاَّمٍ للعبيد يومَ نقولُ لجهنَّم هل امتلأَت وتقولُ هلْ منْ مزيد) .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : (يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذر فى صور الناس يَعْلُوهم كلُّ شىء من الصَّغار حتى يدخلوا سجناً فى جهنم يقال له بولس فتعلوهم نار الأنيار فيُسقَون من طين الخبال عُصارة أهل النارِ) رواه الإمام أحمد ورواه الترمذى والنسائى من طريق آخر وقال الترمذى حديث حسن .

الحوض المورود

عن أبى بن كعب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحوض فقالوا يارسول الله وما الحوض فقال (أشدُّ بياضاً من اللبن وأبردُ من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك من شرب منه لم يظمأ أبداً ومن صُرِف عنه لم يُرْوَ أبداً).

وروى أبو بكر بن أبى عاصم فى كتاب السنة بإسناد لفظه قيل يارسول الله وما الحوض قال (والذى نفسى بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبداً ولا يصرف عنه إنسان فيرُوَى أبداً).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء) وكذا رواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب.

وعنه رضى الله عنه قال أغفا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إغفَاءة فرفع رأسه مبتسما إما قال لهم وإما قالوا له لِمَ ضحِكتَ
يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنْزِلت على
آنفا سورةٌ فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنَّا أعطَينَاكَ الكوثرَ
فصلِّ لربِّك وانحر إنَّ شانئكَ هوَ الأبتْر) .

ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال
(هو نهر أعطانِيه ربي عز وجل فى الجنة عليه خير كثير تردُ
عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختَلج العبد منهم
فأقول يارب إنه من أمتى فيقال لى إنك لا تدرى ما أحدثوا
بعدك) هذا ثلاثى الإسناد رواه مسلم وأبو داود والنسائى ولفظ
مسلم (هو نهر وعدَنِيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترِدُه على
أمتي يوم القيامة) .

والباقى مثله ومعنى ذلك أنه يشخُب من الكوثر ميزابان
إلى الحوض فى العرَصَات قبل الصراط لأنه يختلج منه ويمنع
منه أقوامٌ قد ارتدُّوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجاوزون
الصراط كما سيرد هذا إن شاء الله .

وعن العباس بن سالم اللخمى قال بعث عمر بن عبد العزيز

إلى أبى سلام الحبشى فحَمل إليه على البريد يسأله عن الحوض فقدم به إليه فسأله فقال سمعت ثوبان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد النجوم من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين) فقال عمر بن الخطاب من هم يارسول الله قال هم (الشُّعْث رؤوسا الدُّنس ثِياباً الذين لا ينْـكحون المتَنعِّمات ولا تفْتح لهم أبوابُ السُّدد) فقال عمر بن عبد العزيز لقد نـكَحْتُ المتَنعِّمات وفتُحت لى السُّدد إلاَّ أن يرحَمنى الله والله لا أدهن رأسى حتى يَشْعث ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتّسخ .

وروى الإمام أحمد رضى الله عنه عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة وعن عبد الوهاب عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عَرْضه فقال (من مقامى إلى عمان) وقال عبد الرازق ما بين بصرى وصنعاء أو ما بين أيلة ومكة أو قال من مقامى هذا إلى عمان وسئل عن

شرابه فقال(أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغبث فيه ميزابان يُمدّانه من الجنة أحدهما وَرِقٌ والآخر ذهب).

مجىء الرب تبارك وتعالى يوم القيامة

قال الله تعالى (وأشْرقتِ الأَرضُ بنورِ رَبِّها ووُضِع الكتابُ وجىء بالنبيِّن والشهداء وقُضى بينهُم بالحقِّ وهُم لاَ يظلمُونَ ووُفيت كلُّ نفسٍ ماعملتَ وهُو أعلمُ بِما يفعلُون).

قال ابن عباس إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرضُ مدَّ الأديم وزيد فى سَعَتِها كذا وكذا وجمع الخلائقُ فى صعيد واحد جنهُم وإنسُهم فإذا كان كذلك قُبِضَت هذه السماء الدنيا عن أهلها فيُنْشروا على وجه الأرض ولأَهل هذه السماء الدنيا وحدَهم أكثرُ من جميع أهل الأرض جنِّهم وإنسهم بالضِّعف فإذا رآهم أهل الأرض فزعوا إليهم ويقولون أفيكم ربُّنا فيفزعون من قولهم ويقولون سبحان ربنا ليس فينا وهو آت ثم تقبض السماء الثانية وأهل السماء الثانية أكثر من أهل هذه السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بالضِّعف فإذا انتشروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض

ويقولون لهم أفيكم ربُّنا فيفزعون من قولهم ويقولون سبحان ربِّنا ليس فينا وهو آت ثم تُقَاضَ السموات سماء سماء كلما اقتضَّت سماء كانت أكثر من أهل السموات التى تحتها ومن جميع أهل الأرض بالضِّعف جِنِّهم وإنسِهِم كلما نُشروا على وجه الأرض فزع إليهم أهلُ الأرض ويقولون لهم مثل ذلك حتى تُقاضَ السماء السابعة ولأهلُها وحدها أكثرُ من أهل ستِّ سموات ومن أهل الأرض بالضِّعف ويجىء الله فيهم والأمم جُثِىٌّ صفوف فينادى مناد ستعلمُون اليوم من أصحاب الكرَم لِيقُم الحمَّادُون لله على كل حال فيقومُون فيَسْرحون إلى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمُون من أصحاب الكرم اليوم لِيَقُم الذين كانت تتجافى جُنوبُهم عن المضَاجع يدْعُونَ ربَّهم خَوْفاً وطمعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفقُونَ فيقومون فيَسْرحون إلى الجنة ثم قال ثم ينادى ثالثة ستعلمون من أصحاب الكرَم اليوم ليقُم الذين كانوا لاتلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله وإقامِ الصّلاة وإيتاء الزّكاة يخافُون يوْماً تتقلَّب فيه القُلوب والأبصَار فيقُومون فيَسْرحون إلى الجنة فإذا لم يبق من هؤلاء الثَّلاثة خرج عُنُق من النار فأشرف على الخلائق له عينان مبُصرتان

ولسان فصيح فيقول إنى وُكلت بكل جبار عنيد فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حبَّ السمسم فيحبَسَ بهم فى جهنم ثم يخرُج الثانية فيقول إنى وُكلت بمن آذى الله ورسولهَ فيلتقِطهُم من الصفوف لقط الطير حبَّ السمسم فيحبَس بهم فى جهنم ثم يخرُج الثالثة فيقول إلى وُكلت بأصحاب التصاوير فيلتَقِطهم من الصفوف لقط الطير حبَّ السمسم فيحبَس بهم فى جهنم قال فإذا أُخِذ من هؤلاء ثلاثة ومن هؤلاء ثلاثة نشرت الصحفُ ووضِعت الموازينُ ودُعيت الخلائق للحساب قال تعالى (كلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكا دكا وجاء ربُّك والملك صفًّا صفًّا وجيء يومئذٍ بجهنَّم يومئذٍ يتذكَّرُ الإنسانُ وأنَّى له الذِكرىَ).

وقال تعالى (هَلْ ينظرُون إلاَّ أنْ يأتيَهُم الله فى ظللٍ منَ الغمام والملائكةُ وقُضى الأمرُ وإلى الله تُرجعُ الأمورُ) .

وثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يومُ القيامة فإن النَّاس يُصعقون فأكونُ أول من يفيق فأجد موسى باطشا

بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أصعق فأفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور) قوله (أم جوزى بصعقة الطور) يدل على أن هذا الصعق الذى يحصل للناس يوم القيامة سببه تجلى الرب تعالى لعباده لفصل القضاء فيصعق الناس من العظمة والجلال كما صعق موسى يوم الطور حين سأل ربه الرؤية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فموسى عليه الصلاة والسلام يوم القيامة إذا صعق الناس إما أن يكون جوزى بتلك الأولى فما يصعق عند هذا التجلي وإما أن يكون صعق أخف من غيره فأفاق قبل الناس كلهم والله أعلم .

وثبت فى الصحيحين واللفظ للبخارى عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته .

وفى رواية للبخارى إنكم سترون ربكم عيانا وجاء إنهم يسجدون له تعالى كما قال ابن ماجه بسنده عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين

فى صعيد واحد يوم القيامة أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالسجود فيسجدون طويلا ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدتكم فداكم من النار له شواهد من وجوه أخر .

العرض على الله ومحاسبة الرب لعباده

قال الله تعالى (ويومَ نُسيِّر الجبالَ وترى الأرضَ بارزةً وحشرناهم فلمْ نغادِرْ منهم أحداً وعرِضوا على ربِّك صفاً لقدْ جئتمونا كمَا خلقناكم أوّلَ مرّةٍ بلْ زعمتم أن لنْ نجعلَ لكُمْ موعِداً ووُضع الكتابُ فترى المجرمين مشفقين ممَّا فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتابِ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها ووجدوا ما عمِلوا حاضراً ولاَ يظلمُ ربك أحداً) .

وقال تعالى (ولقدْ جئتمونا فُرادَى كمَا خلقناكم أوّل مرّة وترَكتم ما خوّلناكم وراء ظهورِكم وما نرَى معكمْ شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاءُ لقدْ تقطّعَ بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون) .

وقال تعالى (ويومَ نحشرهم جميعاً ثم نقول للذينَ أشركوا

مَكانَكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقالَ شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدُون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالكَ تبلوا كلُّ نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحقّ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون) .

وقال تعالى (ويومَ يحشرهم جميعاً يامعشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس وقالَ أولياؤهم منَ الإنسِ ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجّلتَ لنا قالَ النّار مثواكم خالدين فيها إلاّ ماشاء الله إنّ ربّك حكيمٌ عليمٌ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون يامعشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسُل منكم يقصّون عليكم آياتى وينذرُونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدّنيا وشهدُوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربّك مُهلك القرى بظلم وأهلها مُصلحون ولكلٍّ درجاتٌ ممّا عملوا وما ربّك بغافل عمّا يعملون) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطايرُ الصحف

فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسبا حسابا يسيراً دخل الجنة ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يحاسَب يوم القيامة إلا هلك فقلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى (فأمَّا من أُوتى كتابَه بيمينه فسَوْف يحاسَبُ حِسَابا يسيراً) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما ذلك العرْض وليْسَ أحدٌ يناقَشُ الحسَاب يومَ القيامة إلاَّ عُذِّب) يعنى أنه تعالي لو ناقش فى حسابه لعذّبه وهو غير ظالم له ولـكنه تعالى يعفو ويصفح ويغفِر ويسترُ فى الدنيا والآخرة كما سيأتى فى حديث ابن عمر يُدنى الله العبد يوم القيامة حتى يضعَ عليه كنفه ثم يقَرِّره بذنوبه حتى إذا ظن أنه قد هلك .

قال الله تعالى إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) .

قال تعالى (يا أيُّها الإنسَان إنَّكَ كادِحٌ إلى ربِّك كَدحا فمُلاَقيه فأمَّا من أُوتىَ كتابَهَ وراءَ ظهرِه فسَوفَ يدعُو ثبورا

ويَصلى سَعيرا إنه كان فى أهلِه مَسرورا إنَّه ظنَّ أن لَن يحورَ بلَى إنَّ ربَّه كانَ بِهِ بَصِيراً) فالخلق قيام لرب العالمين بين يديه والعرَق قد غمر أكثرهم وبلغ فيهم كلَّ مبلغ والناس فيه بحسب الأعمال ولا يتكلم أحد إلا بإذنه تعالى ولا يتكلم يومئذ إلا الأنبياء والرسل حولهم أممهم وكتاب الأعمال قد اشتمل على عمل الأولين والآخرين موضوع لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها وذلك ما كانت تعمل الخلائق وتكتبه عليهم الحفظة فى قديم الدهر وحديثه قال تعالي (ينَبأُ الإنسَان يومئذٍ بمَا قدَّمَ وأخَّرَ بلَ الإنسَان عَلَى نفسه بَصِيرهٌ ولَو ألقىَ مَعاذيرَه) .

قال الشاعر :

وطَارَتِ الصُّحُف فى الأَيدِى مُنَشَّرةً
فِيهَا السَّرائرُ والأخبَار تطَّلع

فكيف سهوك والأنباء واقِعة
عما قليل ولا تدْرى بما تقع

أفِى الجِنان وفوزٌ لا انقِطاع له
أمِ الجحيم فلا تبقى ولا تدَع

تهوِى بسكانها طوراً وترفعهم
إذا وجَوا مخرَجاً عن عُمْقها قمُوا
طال البكاء فلم يُرْحَم تضرُّعُهُم
فيها ولا رِقَّةٌ تُغنِى ولا جَزَعُ
لِينفع العِلم قبل الموت عالِمَه
قد سألَ قوم بها الرُّجعى فما رجعوا

أول من يحاسب من المخلوقات يوم القيامة

قال الله تعالى (ومَا منْ دابَّة فى الأرضِ ولاَ طائرٍ يطيرُ بجنَاحيْهِ إلاَّ أممٌ أمثالكم ما فرَّطنا فى الكتاب منْ شىء ثم إلَى ربِّهم يحشرُون) .

وقال تعالى (وإذا الوحُوش حُشرت) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتصْ للشاة الجمــاء من الشاة القرناء تنطحُها . وهذا إسناده على شرط مسلم .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجمَّاء لتقتص من القَرناء يوم القيامة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يُقتص لِلخلق بعْضهم من بعض حتى لِلجماء من القرناء وحتى للذَّرَّةِ من الذرة . تفرد به أحمد .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتَطحان فقال ياأبا ذر هل تدرى فيم تنتطحان قال لا قال : لكن الله يدرى ويقتص بينهما وهذا إسناده حسن .

قال القرطبى وروى ليث عن أبى سليم عن عبد الرحمن ابن مروان عن الهذيل عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاتين تنتطِحان فقال ليقتصَّن الله يوم القيامة لهذه الجَلحاءِ من هذه القرناء قال وذكر ابن وهب عن ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن أبى بكر بن سوادة أن أبا سالم الجشانى حدثه أن ثابت بن طريف استأذن على أبى ذر قال فسمعته رافعاً صوته فقال أما والله لولا يوم الخصومة كسرتك فدخلت فقلت

ما شأنك يا أبا ذر فقال وما عليك أن لا تضربها فقال أما والذى نفسى بيدِه أو قال والذى نفس محمد بيده لتسألن الشاة فيما نطحت صاحبتها وليسألن الجادُ فيما نَـكَّب أصبع الرجل .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فذكر الغول فعظّمه وعظّم أمره ثم قال لألفينّ أحدَكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء فيقول يارسول الله اغِثنى فأقول لا أملِك لك شيئاً قد بلّغتك لألفَيَنّ أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حَمحَمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلّغتك لا ألفَين أحَدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغِثنى فأقول لا أملِك لك شيئاً قد بلّغتك لا ألفينّ أحدَكم يجىء يوم القيامة عَلَى رقبته صامِت فيقول يارسول الله أغِثنى فأقول لا أملِك لك شيئاً قد أبلغتك .

وذكر القرطبى عن أبى القاسم القشيرى فى شرح الأسماء الحسنى عند قوله المقسِط الجامع وفى خبر الوحش والبهائم ثم تحشَر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا

بيوم سجود هذا يوم الثواب والعقاب فتقول البهائم هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بنى آدم قال ويقال إن الملائكة تقول للبهائم إن الله لم يحشركم لثواب ولا لعقاب وإنما حشركم تشهدون فضائح بنى آدم ثم تعود ترابا .

الجزاء على قدر الأعمال

ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ أول ما يُقضى فيه بين الناس يوم القيامة الدماء وقد تقدم فى حديث الصور أن المقتول يأتى يوم القيامة تشخب أوداجه دما .

وفى بعض الأحاديث ورأسه فى يده فيتعلّق بالقاتل حتى ولو كان قتله فى سبيل الله فيقول يارب سل هذا فيم قتلنى فيقول الله تعالى لِمَ قتلت هذا فيقول يارب قتلته لتكون العزّة لك فيقول الله صدقت ويقول المقتول ظلما سل هذا فيمَ قتلنى فيقول الله تعالى فيم قتلته فيقول لتكون العزّة لى وفى رواية لتكون العزة لفلان فيقول الله تعالى تعست ثم يقتص منه لكل من قتله ظلما ثم يبقي فى مشيئة الله تعالي إن شاء عذّبه وإن شاء رحمه .

قال الله تعالى (والذين يدعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ ولاَ يقتُلون النفسْ التّى حرمَ اللهُ إلاّ بالحقِّ ولا يزنُون ومَن يفعَلْ ذلكِ يلقَ أثاماً يضاعفْ لهُ العذابُ يومَ القيامةِ ويخلدْ فيهِ مهاناً إلاَّ من تابَ) . الآية .

وهذا دليلٌ على أن القاتل لا يتعيَّن عذابه فى نار جهنم ولو كان القتل من حقوق الآدميين وهى لا تسقط إلا بالتوبة بدليل حديث الذى قتل تسعة وتسعين ثم أكمل المائة ثم سأل عالماً من بنى إسرائيل هل له من توبة فقال من يحول بينك وبين التوبة إئت بلد كذا وكذا فإنه يُعبد الله بها فلما توجه نحوها وتوسط بينها وبين التى خرج منها أدركه الموت فنأى بصدرِه نحو التى هاجر إليها فتوفته ملائكة الرحمة إلى آخر الحديث .

وإذا كان هذا فى بنى إسرائيل فلأن يكون فى هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى لأن الله وضع عنا الآصار والأغلال التى كانت عليهم وبعث نبيَّنا بالحنيفيَّة السمْحة .

وفى الصحيح عن عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وليقفنَّ أحدُكم بين يدى الله

تعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان يترجم له فيقول ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتّق أحدُكم النار ولو بشقّ تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة .

وفى الصحيحين عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه يوم القيامة من سبع أرضين .

وعن صفوان بن محرز قال كنت آخذ بيد ابن عمر فجاء رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنّ الله يُدنى المؤمن فيضع كنفه عليه ويستره من الناس ويقرّره بذنوبه فيقول له أتعرِف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا حتى إذا قرّره بذنوبه وقال إنه قد هلك قال فإنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتابَ حسناته بيمينه .

وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين.

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: تجيئون يوم القيامة وعلى أفواهكم الفدام فأول ما يتكلم فى ابن آدم فخذه وكفه.

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن الوليد عن ابن أبان أنبأنا محمد بن الحسن المخزومى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز الليثى عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول ما يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها وتشهد يداها ورجلاها بما كان يوليها ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك ثم يدعى بأهل الأسواق فما يوجد منهم دوانق ولا قراريط ولكن حسناتُ هذا تدْفع إلى هذا الذى ظلم وتدُفع سيئات هذا إلى الذى ظلمهَ ثم يؤتى بالجبارين فى مقامعَ من حديد ويقال ردُوهم إلى النار فما أدرى يدخلونها أم كما قال تعالى (وإنْ منكُم

إلاَّ واردُها كان على ربكَ حتماً مقضِياً ثم ننجىٌ الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثياً).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (يومئذٍ تحدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربكَ أوحى لهَا) قال أتدرُون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهدَ على كل عبد وأمة بكل ما عمل على ظهرها أن تقول فعلت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا فذلك أخبارها .

وعن سفيان قال دخلت المدينة فإذا برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا فقالوا أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدِّث الناس وخلا ، قلت له أنشدك بحق وحق إلا ما حدثتنى حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث طويلا ثم أفاق ثم قال لأُحدثنَّك حديثاً حدَّثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت مامعنا فيه أحد غيرى وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى فمكث كذلك ثم أفاق ثم مسح وجهه ثم قال أفعل لأحدِّثنك حديثاً حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى البيت مامعنا أحد غيرى وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خاراً على وجهه فأسندته طويلا ثم أفاق فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليَقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدْعى رجل جمع القرآن ورجل قتِل فى سبيل الله ورجلُ كثير المال فيقول الله تعالى للقارى ألم أُعلِّمك ما أنزلت على رسولى قال بلى يارب قال فما عملت فيما علمْت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك ، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت أصلُ الرحم وأتصدَّق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردتَ أن يقال فلان جواد فقيل فيك ذلك ويؤتى بالذى قتِل فى سبيل الله فيقال له فيما ذا قتلت فيقول أُمرتُ بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتِلت فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبتَ ويقول الله تعالى بل أردتَ أَن يُقال فلان جرىء فقد قيل ذلك قال

أبو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال ياأبا هريرة أولئك الثلاثة أولُ خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله ثلاثة ديوان لا يَعبأ به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله .

فأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا فظُلْم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم يتركه أو صلاة تركها فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فظُلْم العباد بعضهم بعضاً القصاصُ لا محالة .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يُؤتى بالمليك والمملوك والزوج والزوجة فيُحاسَب المليكُ والمملوك والزوج والزوجة حتى يقال للرجل شربت يوم كذا وكذا على لذّة ويقال للزوج خطبت فلانة مع خُطّاب فزوجْتكها وتركتُهم .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : أن العار ليَلزم العبد يوم القيامة حتى يقول يارب لإرسالك بى إلى النار أيسرُ علىَّ مما ألقى وإنه ليَعلم ما فيها من شدة العذاب قال الله تعالى (ثم لتسألُنَّ يومئذٍ عن النعيم) .

يومَ تبيضُ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ

قال الله تعالى (يَوم تَبيضُ وُجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ فأمَّا الذّين اسودَّت وجوهُهم أكَفرتم بَعد إيمَانِكم فَذوقوا العذَابَ بمَا كنتم تَكفرُون وأمَّا الّذين ابيضت وُجوهُهم فَفِي رَحمةِ اللهِ هُمْ فيها خالِدُون) .

وقال تعالى (وُجوهٌ يَومئذٍ نَاضِرةٌ إلى رَبهَا نَاظرةٌ وَوُجوهٌ يَومئذٍ بَاسِرةٌ تَظنُّ أنْ يُفعلَ بِهاَ فَاقِرَة) .

وقال تعالى (لِلّذِين أحسنُوا الْحُسنَى وَزيادةٌ ولاَ يَرهقُ وُجوهَهُم قتَرٌ وَلاَ ذِلةٌ أولَئك أصحابُ الجَنّةِ هُمْ فِيهاَ خالدُون) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (يومَ نَدعُو كلَّ أُنَاسٍ بِإمامهِم فَمنْ أُوتِىَ كتابهُ بِيمينهِ فأُولَئكَ يَقرؤُنَ كِتابَهم وَلاَ يُظلمُونَ فَتيلاً وَمَن كانَ

فى هَذِهِ أعْمى فهُو فِى الآخِرةِ أعمى وأضلُّ سبيلا) قال يُدْعى
آخرهم فيُعْطى كتابُه بيمينه ويمد له فى جسده ويبيّضُ وَجهُه
ويُجعَل على رأسه تاجٌ من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه
فيرونه من بعيد فيقولون اللهم أئتنا بهذا وبارك لنا فى هذا
فيأتيهم فيقول أبشِروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا .

وأما الكافر فيسودُّ وجهه ويمدّ له فى جسمه فيراه أصحابه
فيقولون نعوذ بالله من هذا من شر هذا اللّهم لا تأتنا به
فيأتيهم فيقولون اللّهم أخزه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل
منكم مثل هذا ثم قال الحافظ لا نعرفه إلا بهذا الإسناد .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : خلق الله يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة
فجعل فى الأرض منها رحمة تعطِف الوالدة على ولدها والبهائم
بعضها على بعض والطير وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة
فإذا كان يوم القيامة أكملها الله بهذه الرحمة . رواه ابن ماجه .

وعن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى عز وجل

فوعدنى أن يُدخل من أمتى سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر فاستَزَدتُ فزادنى مع كل ألف سبعين ألفاً فقلت يارب إن لم يف هؤلاء مهاجرى أمتى قال إذا أكملهم لك من الأعراب. رواه أحمد.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة أول زمرة من أمتى تدخل الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم كل رجل منهم على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد ضوء كوكب فى السماء ثم هى بعد ذلك منازل. رواه الإمام أحمد.

وعن عمران بن حصين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال أكثرنا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال: عُرِضت علىّ الأنبياء الليلة بأُممها فجعل النبىّ يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة والنبي ومعه النفر والنبى ليس معه أحد حتى مر على موسى معه كبكبة من بنى إسرائيل فأعجبونى فقلت من هؤلاء فقيل لى هذا موسى معه بنو إسرائيل قال فقلت فأين أمتى فقيل لى انظر عن يمينك فنظرت فإذا الضراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لى أرضيت فقلت رضيت

يارب قال فقيل لى إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال النبي فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الضراب فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإنى قد رأيت ثم ناسا يتهاوشون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى من السبعين الألف فدعا له فقام رجل آخر فقال ادع الله يارسول الله أن يجعلنى منهم فقال قد سبقك بها عكاشة . قال ثم تحدثنا فقلنا من ترون هؤلاء السبعين الألف قوم وُلدوا فى الإسلام لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرى الأمم فى الموسم فتراءت عليه أمته فقال فأُريت أمتى فأعجبنى كثرتهم قد ملئوا السهل والجبل فقيل لى إنَّ مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقيل من هم يارسول الله قال : هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون . فقال عكاشة ادع الله أن يجعلنى

منهم فدعا له ثم قام رجل آخر فقال أدع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة .

تفرق العباد عن موقف الحساب

قال الله تعالى (وأَنْذِرْهُم يومَ الحسرةَ إذْ قضىَ الأمْرُ وهُم فى غفلةٍ وَهُمْ لا يُؤمنونَ) .

وقال تعالى (وَيومَ تَقومُ الساعةُ يَومئذٍ يَتفرقونَ فأمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعملُوا الصَّالحاتِ فَهمْ فى رَوضةٍ يحبرونَ وأمَّا الَّذِين كفرُوا وكذبُوا بآياتِنا ولقاء الآخرةِ فأولئك فى العذابِ محضرونَ) .

وقال تعالى (ويومَ تقومُ السَّاعةُ يومئذٍ يخسرُ المبطلُونَ وترىَ كل أمةٍ جاثيةً كلُ أمةٍ تدعَى إلى كتابهاَ اليومَ تجزونَ ما كنتُم تعملُون هذَا كتابُنا ينطقُ عليكُمْ بالحقّ إنَّا كنَّا نَستَنسخُ ما كنتٌم تعملُونَ فأمَّا الَّذِين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ فيدخلُهُمْ ربهم فى رحمتهِ ذلكَ هوَ الفوزُ المبينْ وأمَّا الَّذِينْ كفرُوا أفلمْ تكُنْ آياتىِ تُتلى عليكُمْ فاستكبرتمْ وكنتمْ

قَوماً مُجرِمينَ وَإذَا قِيلَ إنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ والسَّاعةُ لاَ ريبَ فيهاَ قُلْتمْ مَا نَدْرى مَاَ السَّاعةُ إنْ نظنُّ إلاَّ ظَنًّا ومَاَ نحْنُ بِمُستَيقنِينَ وَبَدا لهمْ سَيئاتُ مَاَ عَمِلُوا وَحاقَ بِهِمْ مَاكانُوا بِهِ يستهزئونَ وقِيلَ اليومْ ننساكُمْ كمَاَ نسيتمْ لقاَء يومِكُمْ هذاَ ومأواكُمُ النَّارُ وَماَ لكُمُ منْ ناصِرِينَ ذَلِكُمْ بِأنكم اتخذْتُمُ آياتِ اللهِ هزُواً وغَرَّتكُمُ الحياةُ الدُّنياَ فَاليومِ لاَ يُخرجونَ مِنهاَ وَلاَ هُمْ يُستَعْتبونَ فَللهِ الْحمدُ رَبِّ السَّمواتِ وَربِّ الأرْضِ رَبِّ الْعالمينَ وَلَهُ الْكبرِياءُ فى السَّمواتِ والأرْضِ وهُوَ الْعزيزُ الْحَكيمُ).

وعن عطاء بن زيد أن أبا هريرة أخبره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال: هل تُضَارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد فَلْيتبعه فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه

فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويُضرَب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أولَ من يُجيزه ودعاء الرسل يومئذ سلِّم سلِّم وبه كلاليب مثل شوك السَّعدان أما رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال: فانها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بعمله ومنهم المخردَل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرِج من النار من أراد أن يُخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكلَ من بنى آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحِشوا فيُصَب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة فى حَمِيل السيل ويبقى رجل مُقبِل بوجهه على النار فيقول يارب قد قشبنى ريحُها وأحرَقنى ذكاءها فاصرِف وجهى عن النار فلا يزال يدعو الله فيقول لعلك إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك يارب قرِّبنى إلى باب الجنة فيقول أليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره ويلك يابن آدم ما أغدرَك فلا يزالَ يدعو فيقول لعلى إن أعطيتك

ذلك تسألني غيره فيقول وعزتك لا أسألك غيره فيعطي الله ما شاء من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول يارب أدخلني الجنة فيقول أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ويلك يابن آدم ما أغدرك فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل له تمنّ من كذا فيتمنى ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول هذا لك ومثله معه .

قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة قال عطاء وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله هذا لك ومثله معه قال أبو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة حفظت (ومثله معه) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده فأما عند الصراط فإن الله يعطى كل مؤمن نوراً وكل

منافق نوراً فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظُرونا نقتبِس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورَنا ولا يذكر عند ذلك أحد أحداً .

وعن أم مُبشر إمرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة فقال لا يرَد النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية قالت أليس الله قال (وإنْ منكمْ إلاَّ واردُها) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فه (ثمَّ ننجى الذينَ اتَّقوا ونذرُ الظالمينَ فيهاَ جثيًّا) .

وثبت فى صحيح البخارى من طريق قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا خلِص المؤمنون من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتصُ لهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا خلص المؤمنون هذّبوا ونقوُا أذن لهم فى دخول الجنة فلأحدُهم أهدى بمنزله فى الجنة من منزله فى الدنيا .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة جوزُوا النار بعَفوى

وأدخل الجنة برحمتي فاقتسموها بفضائل أعمالكم . وهـذا غريب .

قال الله تعالى : (يومَ نحشُر المتقينَ إلى الرحمن وفداً ونسوقُ المجرمينَ إلى جهنَّم ورداً لا يملكونَ الشفاعَة إلاَّ من اتخذَ عند الرَّحمن عهداً) .

يحشَر الناس مشاة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راكب ناقة حمراء وبلال ينادى بالأذان بين يديه فإذا قال أشهد أن محمداً رسول الله صدقه الأولون والآخرون فإذا كان هذا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكون إتيانهم بالنجائب بعد الجواز على الصراط وهو الأشبه والله أعلم .

شعراً .

أبت نفسى تتوب فما احتيالى
إذا برز العباد لذى الجلال
وقامت من قبورهم حيارى
بأوزار كأمثال الجبال
وقد نُصِب الصراط لكى يجوزُوا
فمنهم من يُكَب على الشمال

ومنهم من يسير لدارِ عدن
تلقَّاه العرائس بالعوالى
يقول له المُهيمن ياولىٌّ
غفرتُ لك الذنوب فلا تبالى

صفة أهل النار وعذابها أجارنا الله منها

قال الله تعالى : (فإنْ لم تفعلُوا ولنْ تفعلوا فاتقُوا النارَ الَّتى وقُودهَا الناسُ والحجارةُ أعدتْ للكافرِين) .

وقال تعالى : (أُولئك عليهمْ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعِين) .

وقال تعالى : (أولئِك الذينَ اشترَوُا الضلالةَ بالهُدى والعذابَ بالمغفِرة فمَا أصبرهُم علَى النارِ) .

وقال تعالى : (إنَّ الذِين كفروا بآياتنا سوفَ نُصليهم ناراً كلما نضجتْ جلودُهم بدلناهُم جلوداً غيرهَا ليذوقُوا العذابُ إنَّ الله كانَ عزيزاً حكيماً) .

وقال تعالى : (إنَّ الذينَ كفرُوا وظلموُا لم يكنِ اللهُ

ليغفرَ لهمْ ولاَ ليَهْديهم طريقاً إلاَّ طريقَ جهنَّم خالدينَ فيهاَ أبداً وكانَ ذلكَ عَلَى اللهِ يسيراً) .

وفى المعنى آيات كثيرة .

قال ابن المبارك أنبأنا محمد بن مطرف عن الثقة أن فتى من الأنصار دخلته خشيةٌ من النار فكان يبكى عند ذكر النار حتى حبسه ذلك فى البيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فى البيت فلما دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم اعْتَنَقَه الفتى وخرَّ ميتاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جَهِّزوا صاحبكم فإن الفرقَ من النار فلَذَ كَبِدَه .

وروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بأربعة آلاف امرأة متغيِّرات الألوان عليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام ما الذى غير ألوانكن معاشر النسوة قُلن ذكر النار غيَّر ألواننا يابن مريم إن من دخل النار (لا يذوق فيها برداً ولا شراباً إلا حميا وغساقا) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نارُكم هذه ما يوقد بنو آدم جزءاً واحداً من سبعين

جزءاً من حر نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله قال فإنها فُضِّلتَ عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها .

وعن عدى بن عدى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فى حين لم يكن يأتى فيه فقال ياجبريل مالى أراك مُتَغيِّر اللون فقال إنى لم آتك حتى أمر الله بفتح النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل صف لى النار وانعت لى جهنم فقال إن الله أمر بها فأوقد عليها ألفُ عام حتى ابيضَّت ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يُضىء شررها ولا يُطفَي لهبها وقال والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من السلسلة التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لأذابتها فقال النبى صلى الله عليه وسلم حسبى ياجبريل لا يتَصدَّع قلبى فنظر صلى الله عليه وسلم إليه يبكى فقال ياجبريل تبكى وأنت من الله بالمكان الذى أنت به قال وما يمنعنى أن أبكىَ وأنا لا أدرى لعلى أن أكون فى علم الله

على غير هذه الحال فقد كان إبليس مع الملائكة وقد كان هاروت وماروت من الملائكة فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يبكى وجبريل حتى نُودِيا يامحمد وياجبريل إن الله قد أمَّنَكُما أن تعصياه قال فارتفع جبريل وخرج النبى صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من أصحابه يتحدثون ويضحكون فقال تضحكون وجهنم من ورائكم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله تعالى فأوحى الله يامحمد إنى بعثتك مبشراً قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا وسددوا وقاربوا قال الضياء قال الحافظ هذا حديث حسن وإسناده جيد وقال ابن رجب إسناده ضعيف.

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أدنى أهل النار عذاباً من ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضاً فنفِّسْنِى فأذن لها فى كل عام بنفسين فأشَدُّ ما تجدون من البرد

من زمهرير جهنم وأشدُّ ما تجدون من الحر من حر جهنم . أخرجه البخارى ومسلم من حديث الزهرى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُؤتى بالرجل من أهل الجنة فيُقال له يابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب خير منزل فيقول سل وتمنَّ فيقول لا أسأل وأتمنى إلا أن تَرُدَّنى إلى الدنيا وأقتل فى سبيلك عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة ويُؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول أى رب شر منزل فيقول له أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبا فيقول أى رب نعم فيقول كذبتَ لقد سألتُك أقلَّ من ذلك وأيسر فلم تفعل ويرد إلى النار .

اتساع جهنم وبعد قعرها

قال الله تعالى : (إنَّ المنافقينَ فى الدركِ الأسفلِ منَ النارِ ولنْ تجدَ لهمْ نصيراً).

وقال تعالى : (لهمْ منْ جهنَّم مهادٌ ومنْ فوقهمْ غواشٍ وكذلِك نجزى الظالمينَ) .

وقد ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تزال جهنم يُلْقَى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب العزة قدمه فيَنْزوِى بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك .

وقال مسلم وساق الحديث بإسناده إلى أبو هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن ما فيها يهوِى بها فى النار أبْعَد ما بين المشرق والمغرب .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضْحِك بها جلساءه يهوِى بها أبْعَد من الثريا .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هائلا فأتاه جبريل فقال ما هذا الصوت يا جبريل قال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها أحب الله أن يسمعك صوتها قال فما رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اليوم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل.

وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها، وروى الترمذي باسناده عن ابن عباس قال أتدرون ما سعة جهنم فقلنا لا فقال أجَلْ والله ماتدرون إن ما بين شحيمةِ أذُن أحدِهم وبين عاتقه مسيرةُ سبعين خريفا فيه أودية القيح والدم قال قلنا له أنهارٌ قال بل أودية ثم قال أتدرون ما سعة جهنم قال فقلنا لا قال أجل ما تدرون. حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (والأرضُ جميعا قبضتَه يومَ القيامةِ والسموات مطويات بيمينه) أين الناس يومئذ قال على جسر جهنم وإنما روى الترمذي المرفوع ورواه النسائي والبيهقي والحافظ أبو نعيم الأصبهاني.

وعن كعب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وأنا عنده يا كعب خوّفنا قلت يا أمير المؤمنين أوليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بلى ولكن خوّفنا قلت يا أمير المومنين إعمل عمل رجل لو وافيتَ القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملَك مما ترى فأطرق عمر مليًّا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقلت يا أمير المؤمنين لوفتح من جهنم قدْرُ منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيلَ من حرْها ، فأطرق عمر مليًّا ثم أفاق فقال زدنا يا كعب فقلت يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرَة لا يبقى ملَك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : يُلقى على أهل النار الجوع فيعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيُغاثون بطعام ذى غُصَّةٍ فيذكرون أنهم يُجيزون الغصة بالشراب فيستغيثون بالشراب فيغاثون بالحميم يتناولون بكلاليبَ من حديد فإذا دنا منهم شوى وجوهَهم وإذا دخل فى بطونهم قطَّع أمعاءهم ، فيطلبون إلى خزنة

جهنم أن (ادعوا ربكم يُخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال فيقولون سلوا مالكا يامالك ليقضْ علينا ربك فيقول إنكم ماكثون فيقولون لا أحدَ خيرٌ لكم من ربكم فيقولون (ربنا أخرجنا منها فإن عُدْنا فإنا ظالمون) فيقول الله عزوجل (إخسئُوا فيها ولا تُكلِّمون) فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخُذون فى الشهيق والويل والثبور . قال كعب الفلق بيت فى النار إذا فتح صاح منه جميع أهل النار .

وقال شفى بن نافع إن فى جهنم واديا فيه حيات وعقارب فى فقار إحداهن مقدار سبعين قلة سم والعقرب منهن مثل البغلة .

وقال أبو مثنى الأملوكى إن النار فى أقواما يُرْبطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير مالهم فيها راحة ولا فترة ، قال أحمد بن أبى الحوارى قال لى أبو سليمان الدارانى ربما مُثِّل لى رأسى بين جبلين من نار وربما رأيتنى أموت بينهما فكيف يَهنأ بالدنيا

من هذه صفته قال فحدثته أن الحسن قال ما فى جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة إلا واسم صاحبها مكتوب عليها فبكى وعدت إليه فى بعض الأيام وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال أبكى لذلك الغم الذى ليس فيه فرج ولذلك الأمد الذى ليس له انقطاع .

ذكر حيات جهنم وعقاربها

قال الله تعالي (ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يبخلون بِمَا آتاهم الله مِن فَضْلِهِ هوَ خيراً لهُم بَلْ هوَ شرٌّ لهُم سَيُطوَّقونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ) .

وثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من صاحب كنز لا يودّى زكاته إلا مثّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلِهزَمتيهِ فيقول أنا مالك أنا كَنْزُكَ ، وفى رواية يفر منه وهو يتبعه ويتقى منه فيُلقمه يده ثم يَطوّقه وقرأ الآية المتقدمة .

وعن الحارث بن جزء الزبيدى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن فى النار لحيات أمثال أعناق البخت يلسَعن اللَّسعة فيجد حموها أربعين

خريفا وإن فيها لمقارب كالبذال الوكيفه يلمسمن السمة فيجد ريحها أربعين خريفا .

وروى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم عن إبراهيم بن مروان بن عمر عن سعيد بن عامر عن شعبة قال كتب إلى المنصور وقرىء عليه ، عن مجاهد عن يزيد بن شجرة رجل من الزهاد وكان معاوية يستعمله على الجيوش فخطب يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس أذكروا نعمة الله عليكم ما أحسن أثر نعمة الله عليكم لو ترون ما أرى من بين أحمر وأصفر ومن كل لون ومن الرحال ما فيها إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحورُ العين فيطلعن فإذا أقبل أحدكم بوجهه إلى القتال قلن اللهم ثبته اللهم انصره وإذا أدبر احتجبن عنه وقلن اللهم له فانهكوا بوجوه القوم فداكم أبى وأمى فإن أول قطرة تقطر من دم أحدكم يحط الله بها عنه خطاياه كما يحط الغصن ورق الشجر ؛ ويبتدره اثنتان من الحور العين وتمسحان التراب عن وجهه وتقولان فدانا لك ويقول فدانا لكما ويكسى مائة حلة لو وضعت بين أصبعى هاتين لوسعتهن ليست من نسج

ابن آدم لبستموها من ثياب الجنة أنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وبسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يافلان لانورلك وإن لجهنم جبابا من ساحل كساحل البحر فيه هوام حيات كالبختاتى وعقارب كالبغال الدلم أو كالدلم البغال فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وبما شاء الله من ذلك فتكشطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النار ويُسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم يحك جلده حتى يبدو العظم فيقال يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيُقال له ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين .

آخر من يخرج من النار برحمة الله

ثبت فى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة رضى الله عنه أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تُضارُّون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله، قال هل تضارُّون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب. قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعْه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويُضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أول من يُجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللّهم سلِّم سلِّم وفى جهنم كلاليب مثل شوك

السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بعمله ومنهم المجازَى حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرِج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرِجوا من النار من كان لا يشركُ بالله شيئاً ، ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم كل شىء إلا أثر السجود ، حرَّم الله أن تأكل أثر السجود إلى آخر الحديث وقد تقدم بتمامه فى هذا الكتاب .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين سلوه هل بقى من الخلائق أحد ، وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى فى كتابه الرواة عن مالك ، وذكره القرطبي فى التذكرة وجزم به وذكره السهيلى ولم يضعفه .

وعن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلَّب على الصراط ظهر البطن

كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول رب بلّغ بى الجنة ونجّنى من النار ، فيوحى الله إليه عبدى إن أنا نجيتُك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك ، فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفنّ لك بذنوبي وخطاياى فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفتُ له بذنوبى وخطاياى ليردّنى إلى النار فيوحى الله إليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأُدخِلك الجنة ، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط ، فيوحى الله إليه عبدى إن لى عليك بيّنة فيلتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحد ، فيقول يارب أرِنى بيِّنتك فيستَنطِق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد يقول يارب عندى وعزتك العظائم ، ثم يوحى الله إليه عبدى أنا أعرَفُ بها منك اعْتَرِف لى بها أغفرها لك وأُدخلك الجنة ، فيعترف العبد بذنوبه فيدخله الجنة ، ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه .

خلود الكافرين فى النار

قال الله تعالى (إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُم سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا ولاَ نَصيراً) .

وقال تعالى (إنَّ الَّذِين كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طرِيقاً إلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّم خَالِدِين فِيهَا أبداً وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يسَيراً) وقال تعالى : (إنَّ الله لايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به ، ويَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمنْ يَشاء) فهذه آيات فيهن الحكم على الكافرين بالخلود الأَبَدِيِّ فى النار .

وأما قوله تعالى (قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِين فيها إلاَّ ما شَاء اللهُ إنَّ ربَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

وقوله تعالى (وأمَّا الَّذِين شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا ما دَامَتِ السَّموَاتُ والأرض إلاَّ مَاشاءَ رَبُّك إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) فقد تكلم ابن جرير وغيره من المفسرين وجاءت آثار عن الصحابة غريبة ، ذكر ذلك ابن كثير وليس هذا موضعه .

فالخلود للكافرين فى النار أبَدِى إذا خرج أهل المعاصى

ولم يبق غير الـكافرين فلا يموتون فيها ولا يحيون وليس لهم خروج منها ولا محيد خالدين فيها أبداً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادى منادياً يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فازداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم وازداد أهل النار حزنا على حزنهم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلمون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا قالوا نعم ربنا هذا الموت. ثم يقال يا أهل النار فيطلمون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت ، فيأمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كليهما خلود فيما تجدون لا موت فيه أبداً، إسناده جيد قوى على شرط الصحيح .

من أهل النار

كان مما يلفت النظر فى ميدان القتال رجل حديد المراس يُقْبِل ويُدْبِر فى براعة وقوة ويحمل على المشركين حملات عنيفة ولم يشك أحد فى إيمانه وقوة عقيدته وصفاء روحه ونقاء سريرته ، وكم كثير من المسلمين تمنى أن يكون مثل هذا الشجاع فى حملته على المشركين حملة تُشَتِّت شملَهم وتدفعهم إلى التفكُّك والتَّفرق ، وتناقل الناس أخباره وذاع صيته فى الميدان وصُموده فى المعارك وجُرْأته ولكن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين ما بلغه أمرُ هذا الرجل ورآه قال هذا من أهل النار، وأخذت الأفكار تسْبح فى مُحِيط كله الشك والريبة والحيرة والارتباك فكيف يكون هذا الرجل من أهل النار ، إذن فأين أهل الجنة إذا لم يكن هذا من أهلها بل ومن أوائل أهلها الذين يدخلونها ، استيقَظتْ دوافع النفوس وثارت عواملُ استِجْلاء الخفي فاتجهت الأنظار إلى هذا الرجل كلما أتى بعمل عظيم من أعمال البطولة حينما يشتد الوطيس ويستفحل القتال .

بيد أن عبارة الرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تُعَكِّر

العفو التى تتصوره النفوس فإنه قول من لا ينطق عن الهوى وهو بأحوال النفوس خبير وجُرِح الرجلُ فى ميدان القتال واعتقد كل من رآه ولم يسمع بحديث الرسول عنه أنه من أوسمة الشرف التى ينالها المجاهد وإنها مفتاح الجنة حيث النعيم المقيم .

ومات الرجل متأثراً بجراحه بعد أن شهد له بالبطولة وحَمل هذا النبأ كثير من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى عجب ودهشة ، وقال قائلهم يارسول الله إن الرجل الذى قلت إنه من أهل النار لم يمت فى الميدان إذن فكيف مات ، قال لقد جُرِح فى الميدان جراحا بالغة تألم منها وما كان أجدَرَه بالصبر ولكنه لم يصبر فما كاد يقبل عليه الليل حتى قتل نفسه ، وسرت هذه العبارة بين الصحابة وضجت الأصوات ودوت ناقمة ساخطة على هذا الرجل لم يرض بقضاء الله ولم يصبر على البلاء ، فقال الرسول الكريم الله أكبر وكبّر الناس إجلالا لهذا الصوت الذي ارتفع فى قوة وإخلاص فذكّر منهم ناسياً وأيقظ غافلا ورجع كل منهم على نفسه لائما معاتباً لأنه أدركه بعض

الشك وناله شيء من الريبة عندما استمع إلى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك الرجل العجيب .

وهدأت النفوس واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى فى الناس معلنا العقيدة الإسلامية فى جلاء ووضوح إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وعُرِفت نهايةُ الرجل وردَّد كل واحد من السامعين (إنه من أهل النار) وقعت هذه العبارة من الناس موقعاً شديداً هزَّ نفوسهم هزاً وصدم أحاسيسَهم فى قوة وجبروت وكأنما أفاقوا من سُبات عميق وعلموا أن الأمور ليست بظواهرها وأن وراء الظواهر بواطن لا يمكن أن تكون على هذه الحال .

كان الشك يعصف عصفاً بالنفوس الضعيفة ويفتِك بالنفوس المريضة أو يُلقِي بها فى عوالم الرِّيبة ، والشك ، ولكنه لم يجد طريقاً إلى النفوس القوية التى سلمت بهذا القول الصادر من الرسول الذى لا ينطق عن الهوى (إنْ هُو إلاَّ وحْى يُوحَى) .

لقد آمنت به واعتقدت أنه لابد وأن تحققه الأيام مهما تطاولت بإذن الله فتحققت فعلا بقتله نفسه بعد أن آلمته الجراح فكان من أهل النار .

ذكر الجنة وما أعد الله فيها من النعيم

قال الله تعالى (وسِيقَ الَّذِين اتَّقَوا رَبَّهُم إلَي الْجَنَّة زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وفتحت أبْوابُها وقَالَ لهُم خزَنَتُهَا سَلامٌ عليكُمْ طِبْتُمُ فَادْخُلُوها خَالدِين وَقالوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وأوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتبوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أجْرُ الْعَامِلِينَ) .

وقال تعالى (جنَّاتُ عدْنٍ مُفَتَّحةً لَهُمُ الأَبْوابُ) .

وقال تعالى (وَالْملائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيهِم مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَي الدَّارِ) .

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دُعِى من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دُعِى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دُعِى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِى من باب الجهاد ، فقال أبو بكر يارسول الله والله ما على أحد من ضرورة دُعى من أيها فهل يُدْعَى منها كلها أحد يارسول الله ؛ قال نعم وأرجو أن تكون منهم مخرج فى الصحيحين من حديث الزهرى به .

وفى صحيح مسلم عن خالد بن عمير العدوى أن عتبة بن غزوان خطبهم فقال بعد حمْدِ الله والثناء عليه ، أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم وولّت حذاء وإنما بقى منها صَبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم إلى أن قال فلقد ذُكِر لنا أن ما بين مصراعين

من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتينّ عليه يوم وإنه لـكظيظ ، ورواه البيهقي من طريق على بن عاصم عن سعيد الجريرى عن حكيم بن معاوية به وقال مسيرة سبع سنين ، وقال يعقوب بن سفيان حدثنا الفضل بن الصباح أبو العباس حدثنا معن بن عيسى حدثنا خالد بن أبى بكر بن عبيد الله بن عمر عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بابَ أمتي الذى تدخل منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الْمُجَوِّدِ ثلاثا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول ، وقد رواه الترمذى من حديث خالد هذا ومن الحديث المتفق عليه حديث أبى زرعة عن أبى هريرة فى حديث الشفاعة قال فيه ، فيقول الله يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء للناس فى الأبواب الأخرى والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ما بين عُضَادَتَى الباب لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى .

ذكر ما يكون الأدنى أهل الجنة من الملك

قال الله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى ينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمه وسرره من مسيرة ألف سنة وإن أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الآية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

وروى مسلم والطبرانى أن موسى قال يارب أخبرنى عن أدنى أهل الجنة منزلة قال نعم ، هو رجل يجىء بعد ما نُزِّل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أدخل الجنة فيقول يارب وكيف أدخلها وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقول ما ترضى أن تكون لك مثل ما كان للملك من ملوك الدنيا ، فيقول رب رضيت ، فيقول إن لك مثله ومثله ومثله ومثله وعقد سفيان أصابعه الخمس فيقول رضيت ربّ فيقول فإن لك هذا وما اشتهت نفسك ولذّت عينك فيقول رضيت رب قال قال موسى يارب فأخبرنى عن أعلى أهل الجنة منزلة قال نعم ،

أولئك الذين أردت خيرك عنهم غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

وثبت فى الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّرِّى الغابر مِن الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما تتراءون الكوكب فى الأفق .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تتراءون أو ترون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات ، قالوا يارسول الله أولئك النبيون قال بلى والذى نفسى بيده

وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، قال الحافظ الضياء وهذا على شرط البخارى .

وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المتحابين لتُرى غرفُهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى فيُقال هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل .

بيان قصور الجنة وخيامها وأنهارها

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله جنة عدن بيده لبِنة من درة بيضاء ولبِنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء مِلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها أنطقى فقالت (قد أفْلح المُؤْمِنُونَ) فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا يُجاوِرُنى فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

وعن بن عمر رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس : لا تبلى ثيابُه ولا يفنى شبابُه قيل يا رسول الله كيف

بناؤها قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أحدثكم بغُرَف الجنة قال قلنا بلى يارسول الله : بأبينا أنتَ وأمنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم واللذات والشرف مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، قلت يارسول الله لمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ، قال قلنا يارسول الله ومن يُطيق ذلك قال أمتي تُطيق ذلك وسأُخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم أو ردّ عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله حتى يُشبعهُم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى الليل والناس نيام ، اليهود والنصارى والمجوس .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال قصر من اللؤلؤة فى ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة ، وفى كل دار سبعون بيتاً

من زمردة خضراء، فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، فى كل بيت سبعون وصِيفَة ويُعْطى المؤمنُ فى كل غداة من القوة ما يأتى على ذلك كله أجمع. وهذا الحديث غريب.

وأما الخيام فى الجنة فقال تعالى (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِى الْخِيَام فَبِأَىِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

قال ابن عباس رضى الله عنه الخيمة من درة مجوَّفة طولها فرسخٌ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها فراسخ دوره خمسون فرسخاً يدخل عليك من كل باب ملك بهدية من عند ربه عز وجل وذلك قوله تعالى (والْمَلائِكَةُ يدْخُلُونَ عَلَيهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ). وأما الأنهار فقال تعالى (تَجْرِى مِن تَحْتِهِم الأنْهَارُ). وقال تعالى (مَثَلُ الجَنةِ التِّى وُعِدَ المُتَّقُون فيها أَنْهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لذة للشَّارِبِينَ وأَنْهَار مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهاَ مِنْ كُلِّ الثَّمرات وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ).

وقال تعالى (مَثَلُ الجَنَّةِ التَّى وُعِدَ المُتَّقُون تَجْرِى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة خدُود فى الأرض لا والله إنها لسابِحة على وجه الأرض حافتاها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر ، قيل يارسول الله وما الأذفر قال الذى لا خلْط معه ، وأشهر أنهارها الكوثر .

قال تعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) .

وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه سورة (الكوثر) قال أتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير .

سوق الجنة وكرامة أهلها

قال الله تعالى « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ » .

أخرج الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا بسند رواته ثقات أن أبا هريرة قال لسعيد بن المسيب أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة قال سعيد أوفيها سوق ؟ قال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدّى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتوضع لهم منابرُ من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان مسك وكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى أفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة قلت يارسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا ، قال صلى الله عليه وسلم كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم عز وجل ولا يبقَ فى ذلك المجلس أحد إلا حاضَرَه الله محاضرة حتى إنه ليقول يارب ألم تغفر لى ؟ فيقول بلى فبِسَعَةَ مغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، ثم يقول ربُنا تبارك

وتعالى قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم قال فنأتى سوقا قد حُفَّت به الملائكةُ فيه مالم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، قال فيُحمل لنا ما اشتهينا ليس يُباع فيه شيء ولا يُشترى وفى ذلك السوق يَلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال فيُقبل الرجل ذو المنزلة المُرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنىء فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما يقضى آخر حديثه حتى يتمثل له أن ما عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقُلْن مرحبا وأهلا لقد جئتَ وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم الجبار عز وجل ويحِقُّ لنا أن ننقلِب بمثل ما انقلبنا .

ذكر من يدخل الجنة بغير حساب

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدخل الجنة من أمتى زُمرة هم سبعون ألفا تُضىء وجوهُهم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرةً عليه، فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلنى

منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من الأنصار فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال ليدْخُلَنَّ الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب أو سبعمائة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر .

فهذه هى الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب، والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم، حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا خصيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد ابن جبير فقال أيكم الذى رأى الكوكب الذى انْقَضَّ البارحة ؟ قلت أنا ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لُدِغت، قال فما صنعت قلت استَرْقَيت ،قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبى : قال وما حدثكم الشعبى : قلت حدثنا عن بريدة ابن الحصيب الأسلمى أنه قال لا رُقية إلاَّ من عين أو حُمَه فقال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: عُرِضت على الأمم فرأيت النبى

ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، ورُفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم فلعلهم الذين وُلِدوا فى الإسلام فلم يُشْرِكوا بالله شيئا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما الَّذِى تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال هم الذين لا يرْقُون ولا يسْتَرقون ولا يتَطَيَّرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة. وليس عِند البخارى لا يسترقون وهو الصواب. فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده لله وحده فلا يسألون غيرهم أن يُرْقيهم، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطِيَرةُ

نوع من الشرك، قال ابن مسعود رضى الله عنه وما منا إلاّ من تطير ولكن الله يُذهِبُه بالتوكل، أما رُقية العين فهى إحسان من الراق وقد رَقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريلُ وأذن فى الرُّقى، وقال لا بأس بها مالم يكن فيها شرك واستأذنوه فيها فقال من استطاع أن ينفع أخاه منكم فلْيَنفعْه .

وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران ابن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ولاّ عذاب قيل ومنهم ؟ قال هم الذين لا يكتوُون ولا يَسْتَرقون ولا يَتطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون ، فإن قيل فعائشة رقَتِ النبى صلى الله عليه وسلم وجبريلُ قد رقاه قيل أجل، ولكن هو لم يَسْتَرق وهو لم يقلْ ولا يُرْقِيهم ، راق وإنما قال لا يطلبون من أحد أن يَرْقِيهم .

وعن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى عز وجل أن يدخل من أمتى الجنة مائة ألف فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قال، وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يارسول الله زدنا فقال عمر إن الله قادر أن يُدْخِل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر ، رواه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدى وفيه ضعف .

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وعدنى أن يُدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف قال أبو بكر زدنا يارسول الله قال وهكذا وجمع بين يديه قال زدنا يارسول الله قال وهكذا فقال عمر حسبُك ياأبا بكر فقال أبو بكر دعنى وما عليك أن يُدخِلنا الجنة كلنا فقال عمر إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق عمر .

أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم

قال الله تعالى (تِلكَ الرُسُل فضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْض مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ وآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مريَمَ البَيِّنَاتِ) قال مجاهد منهم من كلم الله هو موسى ورفع بعضهم درجات هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها

عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلاَّ لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة .

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، إن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال رجل يجىء بعد ما يدخل أهل الجنة فيُقَال له أدخُل الجنة ، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتهم فيُقَال له أترضى أن يكون لك مثل مِلك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رب رضيت فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى وختمتُ عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر .

وعن ابن عمر مرفوعا إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى مُلْكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسُرُره وخدَمِه . الحديث رواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير . قال سمعت ابن عمر يقول قال إسرائيل لا أعلم ثويرا إلا رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلاثمائة خادم ويُغْدَى عليه ويُرَاح كل يوم بثلاثمائة ، صحفة ، ولا أعلمه قال إلا من ذهب فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى وأنه ليلَذُّ أوله كما يلَذُّ آخره ، ومن الأشربة بثلاثمائة إناء فى كل إناء لون ليس فى الآخَر وإنه ليلَذُّ أوله كما يلَذُّ آخِره ، وأنه ليقول يارب لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتَهم لم ينقُص مما عندى شىء ، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض وفى رواة الحديث سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائى وشهرة بن حوشب ، ضعيف .

والذى فى الصحيحين إن أول زُمرة تلج الجنة لكل إمرىء منهم زوجتان من الحور العين فكيف يكون لأدنى أهل الجنة اثنتان وسبعون من الحور وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقَين

من الليل ، فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينظر فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى سكنه الذى يسكن فيه ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقيون وفيها مالم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر ، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألاَ مُستغفر يستغفرنى فاغفرَ له إلا سائل يسألنى فأعطيَه ألا داع يدعونى فاستجيبَ له حتى يطلعَ الفجر قال تعالى (وقرآنَ الْفَجْرِ إنَّ قُرآن الفجر كانَ مَشْهُوداً) فيشهده الله تعالى وملائكته .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل الدرجات . قالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغارب وفى حديث أبى سعيد الخدرى (الغابر) ولعله أصح والله أعلم .

سدرة المنتهى وغراس الجنة وثمارها

قال الله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) .

وفى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى حديث المعراج ثم رفعت لى سدرة المنتهى فى السماء السابعة فإذا نبقها مثل قلال هجَر وورقها مثل آذان الفيلة وإذا يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ياجبريل ما هذا فقال أما النهران الباطنان ففى الجنة ، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير فى ظل الفَنَن منها الراكب مائة سنة أو قال يستظل بظل الفَنَنِ منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال .

وعن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، قال أقبل

أعرابى يوماً فقال يارسول الله لقد ذكر الله فى الجنه شجرة مُؤْذِيةً وما كنت أرى فى الجنه شجرة تُؤْذِى صاحبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى ، قال السّدر فإن له شوكا مُؤْذيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس كلُّ شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمرة تفتِق الثمرة منها على إثنتين وسبعين طُعْما ما فيه لون يشبه الآخر .

وعن عتبه بن عبد السلمى قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابى فقال يارسول الله أسمعك تذكر شجرة فى الجنة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يجعل مكان كل شوكة ثمر مثل خصوة الشوك الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يُشْبِه لون آخر .

وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال يامحمد أقرِىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنه طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة .

أما ثمـار الجنة قال تعالى (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ) .

وقال تعالى (فيهما فاكِهَةٌ ونَخْلٌ ورمَّانٌ) .

وقال تعالى (وذُلِّلَتْ قطُوفُهَا تَذْلِيلا) .

أى أُدْنِيَت حتى يتناولها من يريدها من أهل الجنة .

وقال تعالى (وفَاكِهَةً وأَبًّا) .

وقال تعالى (وفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون) .

وفى الصحيحين من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن عبد الله بن عباس فى حديث صلاة الكسوف قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت ، فقال إنى رأيت أو أُريت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا .

وعن زيد بن أرقم قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود فقال ياأبا القاسم ألستَ تزعم إن أهل الجنة يأكلون

فيها ويشربون وقال لأصحابه إنْ أقرَّ بهذه خصَمْتُه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسى بيده إن أحدَهم ليُعطَى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع قال قال اليهودى إن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة أحدهم عرَق يفَيض من جلُودهم مثل ريح المسك فإذا البطن قد ضمر .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يبزقون طعـــامهم جشَأ ورشح كرشح المسك .

فصـــل فى صفة جنات عدن

عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين النظر إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن أخرجاه فى الصحيحين.

وفيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل قال أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وفيهما من حديث أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن فى الجنة خيمة من درة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الحديث بتمامه .

وعنه رضى الله عنه أن أدنى أهل الجنة منزله من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا معه طرفة ليس مع صاحبه .

وأعلم أن الله عز وجل ذكر نعيم الجنة مبسوطا فى مواضع من القرآن ثم جمعه فى آيات منها قوله تعالى (وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعيُن) . وقال تعالى (لا يبغون عنها حولا) . وقال تعالى (أولئك لهم الأمن) فهذه الآيات الثلاث قد جمعت كل نعيم .

واعلم أن الجنه التى قد سمعت وصفها محفوفة بالمكاره فمتى أردتها فاصبر على ما تكره لعلك تنال ما تحب .

اللّهم يامن فتح بابه للطالبين وأظهر غناه للراغبين نسألك أن تسلُك بنا مسلك الصادقين وأن تلحقنا بعبادك الصالحين .

اللهم أحْيِ قلوبا أماتها البُعد عن بابك ولا تعذبْها بأليم عِقابك يا أكرم من سَمح بالنَّوال وأوسَع من جاد بالإفضال فاغْفِر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميّتين برحمتك ياأرحم الراحمين .

(تم بحمـــد الله)

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوعات	الصفحة

تم الفهرس

مراجع الكتاب

تفسير ابن كثير للعماد بن كثير

تفسير سيد قطب (فى ظلال القرآن)

دعوة الرسل

رياض الصالحين

مختصر التبصرة لابن الجوزى

السنن والمبتدعات

من فيض النبوة

إغاثة اللهفان لابن القيم

بدع الفوائد لابن القيم

دواء القلوب لابن عباد

الكبائر

الزواجر عن اقتراف الكبائر

النهضة الإصلاحية لمصطفى الحمامى

النهاية لابن كثير

الإشاعة فى أخبار الساعة

حادى الأرواح لابن القيم

التخويف من النار لابن رجب

فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية

بهجة القلوب لابن سعدى

مؤلفاته

١ — التطفلات الأدبية
٢ — أخلاق التلميذ
٣ — حاشية على الأربعين النووية
٤ — ثمن الكفاح
٥ — فى سبيل الكفاح
٦ — نظرات فى الشريعة الإسلامية
٧ — هدية الواعظين
٨ عقد الجمان فى وظائف رمضان
٩ — المجموعة البهية فى الأشعار النبطية
١٠ — الحديث للصفين ٦ ، ٥

رقم الإيداع ٢٠٢١/٧٧
الترقيم الدولى ٢ - ٠٤٦ - ٣٠٦ - ٩٧٧ ISBN

دار التراث العربى للطباعة
ت ٩٣٦١٤٥ — القاهرة